

زينب محمد طه

رواية

أجرام السمكة

جريمة في القصر الملكي II



دار الرسم بالكلمات



<http://elrasm-blkalemat.com>



[FB.com/elrasm.blkalemaat](https://www.facebook.com/elrasm.blkalemaat)



[Instagram.com/elrasmblkalemat](https://www.instagram.com/elrasmblkalemat)



<http://elrasm-blkalemat.com>

**أجراس السماء "الجزء الثاني من رواية: "جريمة
في القصر الملكي"
زينب محمد طه
٢٠٢٥.**



حسن العربي

عنوان الكتاب:

المؤلف:

الطبعة الأولى:

المراجعة اللغوية:

والإخراج الداخلي:

تصميم الغلاف:

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©

وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء
والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير

إلى ضحايا التنمر والعنصرية، وإلى الباكين في دُجى الليل أهدي
إليكم روايتي لعلها تُضيء الأمل في غياهب اليأس!

رقصة الوحوش

وقف رجل في العقد الثالث من عمره على متن السفينة ينظر إلى الأفق أمامه مراقبًا الأمواج التي هاجت قليلًا بعدما تكدست السحب في السماء واشتدت سرعة الرياح. ترنحت السفينة يمينًا تارة ويسارًا تارة أخرى، وهطل المطر فوق رؤوس البحارة فأصبح الجو باردًا حقًا لا يبعث على الاطمئنان أبدًا.

لم يكن القمر ظاهرًا في السماء كعادته بل اختبأ خلف السحب وكأنه يخشى وحشًا ما. أنارت المصابيح السفينة التي راحت تخرق أمواج البحر العاتية كما يخرق الجنود الصفوف الأولى للعدو في حربٍ ضروس. انطلقت السفينة من ميناء مملكة بيورين متجهةً إلى مملكة الشمال فسارت في البحر الأزرق تحمل البضائع على متنها وبعض البحارة وقبطانها إلى جانب الرجل الذي دفع مبلغًا ماليًا كبيرًا للسماح له بالسفر معهم.

قال أحد البحارة وهو يمسك بزجاجة الخمر في يده:

- هذا الطقس كثيبٌ للغاية، لماذا لا يسمحون بوجود النساء في البحر؟ ستكون الرحلة ممتعة بحق!

تعالّت ضحكات البحارة الجالسين على سطح السفينة في حين ما يزال الرجل واقفًا مراقبًا لأمواج البحر أمامهم. انتفض أحد البحارة فجأة ثم نهض من مكانه ينظر حوله وكأنه يبحث عن شيء ما.

استغرب البحارة الآخرون مما فعله فسأله أحدهم:

- هل لدغك ثعبانٌ أو ماذا يا "بيلين"؟

ما زال "بيلين" ينظر حوله بترقبٍ وخوفٍ ولكن زملاؤه نظروا إليه نظراتٍ ساخرة ضاحكين على أفعاله الغريبة التي ظنوا أنها بسبب تأثير الخمر. لم يهتم بما يفعله "بيلين" سوى الرجل الذي راقب تصرفاته استعدادًا لما هو قادم.

قال بحارٌ ثملٌ تفوح من فمه رائحة الخمر الكريهة:

- يذكرني بيلين بشخصٍ عجيبٍ أبحرت معه من قبل، تصرف الرجل تصرفات مجنونة طوال الرحلة حتى ظننتُ أنه فقد عقله.

سأل الرجل الذي لم تبتعد أنظاره عن الأفق أمامه:

- هل كانت الرحلة البحرية متجهة إلى مملكة الشمال؟

أجابه البحار صاحب رائحة الفم الكريهة:

- نعم، ذلك البحار أصابه الخبل كصديقنا هنا.

تمتم بيلين بكلماتٍ غير مفهومةٍ وهو يتلفت حوله وكأنه يرى أشياء لا يستطيع أحد أن يراها سواه. عاد البحار الثمل يقول:

- كم أخشى البحر! إنه عجيب، تحدث فيه أشياء غير منطقية أبدًا بين الحين والآخر.

سأله الرجل ولم تتزعزع عيناه عن مراقبة الأفق:

- مثل ماذا؟

- لا أدري، ربما كذلك الصوت الذي همس باسمي أثناء الرحلة السابقة.

صاح بيلين بخوف:

- لا تقتليني رجاء!

سأل أحد البحارة الذين لم يشاركوهم شرب الخمر:

- من أين أتيتم بهذا الشراب القوي يا رجل؟ إنه يجعل المسكين يرى أشياء لا وجود لها، هل من الممكن أن...

لم ينته البحار من جملته لأن الرجل الذي يجلس في ساري السفينة صاح قائلاً:

- سفينة!

تحولت الأنظار إلى السفينة التي راحت تترنج كالسكارى فوق الأمواج وكأنها انبعثت من العدم. مروا بجانب السفينة ليتفاجأوا أنها خالية تمامًا لا يوجد بها أحد؛ لذا سأل أحد البحارة:

- هل تظنون أنها تعرضت للقرصنة؟

أجابه بحار آخر:

- لا أظن هذا، إن كانوا قراصنة لكانت هناك دماء على الأرضية بسبب المقاومة ولعمّت الفوضى السفينة، ولكن هذا لم يحدث، فتلک السفينة خالية تمامًا ومصابيحها منطفئة، هذا يعبت أن من كانوا على متنها لم يعد لهم أثر، وكأن البحر انشق وابتلعهم!

تبادل طاقم السفينة نظرات الحيرة والخوف، ولكن القبطان صعد على سطح السفينة وهو يقول بحزم:

- ليعد الجميع إلى...

لم يكمل القبطان جملته أبدًا لأن المصابيح انطفأت فلم يعد أحد يرى أي شيء في هذا الظلام الكالح. ظهر القمر أخيرًا متبخرًا فأضاء وجه السماء، مما جعل البحارة يتعجبون غير مستوعبين لما يحدث حولهم، في حين ما يزال الرجل يقف في هدوء وعلى ثغره ارتسم شبح ابتسامة مرعبة وهو ينظر إلى الثقب الذي تدور موجة ثائرة حوله!

صاح أحد البحارة مشيرًا إلى القمر:

- هل ترون ما أراه؟

التفتت الرؤوس جميعًا إلى حيث أشار البحار فكانت المفاجأة؛ أصبح القمر قريبًا منهم وكأنه مصباح يتدلى فوق رؤوسهم فأصبح حجمه كبيرًا للغاية ورؤيته أفضل بكثير. هناك ثلاث كائنات غريبة الشكل تطير في حلقة دائرية أمام القمر المنير بلونه الأبيض المميز وكأنها تحتفل، تلك الكائنات تشبه الوطاويط، ولكنها أكبر وأبشع من أي وطواط من الممكن أن يراه المرء في حياته!

كان لها أجنحة كأجنحة الوطاويط تنتهي بمخالب حادة طويلة على استعداد لجرح ضحاياها، أما الوجه فهو أشبه بوجه الذئب منه للوطواط، يتساقط اللعاب من فمها المرعب وهي تكشر عن أنيابها الحادة.

في تلك اللحظة فقط ظهر الخوف على وجه الرجل وهو يراقب القمر ووحوشه الجائعة. خرجت كرة من النيران البيضاء من يده ثم سبحت في الهواء لتنير المكان والكل ينظر إليها باستغراب.

قال أحد البحارة بخوف:

- إنه واحد منهم، إنه واحد من سحرة النور، لقد قادنا إلى فخ!
صاح بحار آخر وهو يشير إلى الثقب الذي دارت حوله الموجهة:
- هل ترون ذلك الشيء؟

التفت رؤوسهم إلى الثقب يراقبونه بفزع وقلوبهم تخفق باضطراب في حلوقهم. أحاط البحارة ذلك الرجل من كل اتجاه مرتجفين من الخوف، فلم يجرؤ أحدهم على الاقتراب منه. توهج جسده بالنيران البيضاء المميزة لسحرة النور استعدادًا لحرق من يقترب منه.

تحولت أنظارهم فجأة إلى الثقب الذي اقترب منهم كثيرًا وأصبحت رؤيته سهلة أكثر من ذي قبل. صاح البحارة في القبطان ومساعدته لأن السفينة كانت تتجه ناحية الثقب بدلًا من الفرار منه.

تقدمت السفينة من الثقب كرها فلم يكن القبطان أو مساعدته قادرين على السيطرة عليها. سيدخلون في الثقب الأسود المحاط بموجة البحر العاتية عاجلاً أو آجلاً. تمايلت السفينة فوق الأمواج التي هاجت كثيرًا فاختل توازن من على متنها مما أدى إلى سقوط بعضهم في البحر.

صرخ البحارة وهم يتساقطون من السفينة إلى البحر واحدًا تلو الآخر. لقد اشتعلت النيران في السفينة ولا يدري أحدهم كيف أو متى حدث هذا. دارت الكائنات حول القمر وكأنها ترقص احتفالاً بالوليمة التي ستوضع على مائدتها بعد قليل.

أطلق الرجل الكرات النارية نحو الكائنات ولكنها تفادتها ببراعة. أثارت النيران استفزازها أكثر من ذي قبل فحلقت في السماء مندفعة نحو الرجل الذي سرعان ما فتح ثقبًا أسود دخل فيه بسرعة قبل أن تتمكن منه ثم اختفى بداخله على الفور.

أدرك القبطان أن محاولاته البائسة للسيطرة على دفعة السفينة ما هي إلا مضيعة للوقت، وأنه لا محالة سيغرق أو سيموت محروقًا. ترك الدفعة ثم قفز بسرعة إلى المياه. ظل ينظر إلى السفينة التي صاحبتة في رحلاته ومغامراته في البحر طوال عشرين عامًا. هذا ليس بالوقت المناسب للحزن أبدًا؛ لذا نظر حوله محاولًا إيجاد أي شيء ليتشبث به حتى يتفادى الثقب الأسود أمامه أو تلك الكائنات الجحيمية. عثر على لوح خشبي بعيد نسبيًا عنه، فحاول جاهدًا أن يسبح نحوه. تعالت أصوات الكائنات المخيفة وهي تتجه ناحية البحارة لتنهش لحم أي رجل تراه أمامها.

كانت صرخات الرجال أعلى من صرخات الكائنات وهي تلتهمهم وهم ما يزالون أحياء! شعر القبطان بالهلع؛ لذا سبح بسرعة إلى اللوح الخشبي وكأن الخوف هو الوقود الذي يجبره على السباحة مبتعدًا. نبض قلبه بالخوف وارتعشت أوصاله وهو يحاول في استماتة لأن يبلغ وجهته. سيموت لا محالة، فليس هناك سبيل لإنقاذه؛ حيث يبعد الميناء الملكي لمملكة "بيورين" عن هذه البقعة بمسافة كبيرة ولن يتمكن هو من السباحة إليه أو إلى أية جزيرة مجاورة. سيموت في عرض البحر بلا رفيق يخفف عنه هول الموت وسكراته.

لا بد أن يختفي أسفل مياه البحر المظلمة والباردة، أو يسبح

مبتعدًا، أو يفعل أي شيء ليتفادى الكائنات وذلك الثقب الأسود الذي كان يسحبه إليه رُغمًا عنه. لقد شلّ تفكيره الآن، فأصبحت جميع الحلول غير منطقية وعديمة الفائدة.

التفتت إحدى الكائنات إليه وكأنها المرة الأولى التي تلاحظ وجوده فيها ثم اتجهت نحوه وهي تسير فوق مياه البحر وكأن ما أسفلها يابسًا وليس مياه. اتسعت عيناه من الفزع وكاد قلبه أن ينفجر من فرط الخوف؛ لذا سبح مبتعدًا عن الكائن في محاولة بائسة لأن يبلغ أية يابسة لم تكن قريبة منه من الأساس. تمكن منه الكائن أخيرًا وجرحه بمخالبه فنزفت دماؤه في البحر. لم يكتف بجرحه بل غرس أنيابه في لحمه ينهش فيه وكأنه وجبة دسمة وضعت أمامه.

صرخ القبطان في عرض البحر ولكن لم يكن هناك من يستطيع إنقاذه. حاول أن يلکم الكائن الذي اتسع فوه ليغرس أنيابه الحادة في يد القبطان الذي خارت قواه تمامًا فاستسلم لقبلة الموت. بدأت مياه البحر تتسرب إلى جوفه فابتلعها رُغمًا عنه، فعانى المسكين من الاختناق إلى جانب الجروح التي تسببت فيها أنياب الكائن فأصبحت المعاناة لا تُحتمل. ما هي إلا لحظات قليلة حتى استرخى جسده وتوقف قلبه النابض بالخوف أخيرًا، فأنهى الكائن وجبته ثم حلق مبتعدًا إلى القمر ثانية مع الكائنات الأخرى ثم اختفوا جميعًا.

جلست "بيري" على عرشها الذهبي المطعم بأحجار الألماس، ويزين رأسها تاج الملوك الذي توارثته عن أجدادها وأبيها الراحل ثم نظرت إلى نائبها السيد "أرغد" بترقبٍ لأنها خمنت ما سيقوله لها. أدرك

السيد "أرغد" أن الأنباء التي يحملها إلى مليكته سيئة بالقدر الذي جعله يفكر في رد فعلها أكثر من التفكير في إيجاد حلول مناسبة لها.

تولت "بيري" السلطة بعد انتهاء معركة النبلاء التي اشتعلت في مملكة الشمال في العام الماضي. لقد أطلق الناس عليها هذا الاسم لأن الكثير من أهل المدينة الملكية قد مات في تلك المعركة وهم لا يعلمون الخطأ الذي اقترفوه ليعاقبوا عليه!

حاولت بيري برجاجة عقلي أن تنفذ مطالب القرويين قدر استطاعتها لتتفادى الحرب الأهلية التي كانت على وشك الاندلاع لولا ذكاؤها، ولكن نائبها يحمل لها أخبارًا غير سارة أبدًا، فيبدو أن الأمر أكبر بكثير مما توقعت.

كانت القاعة الملكية أكبر بكثير من تلك التي في مملكة الشمال، زينت الأزهار كل ركن فيها، وغُلِّقت مشاعل النيران الخشبية على الجدران مما زاد من جو الغموض في القاعة.

قال السيد "أرغد" أخيرًا:

- أخشى أن الأنباء هذه المرة عجيبة يا مليكتي!

قالت بيري بنفاد صبر:

- تحدث يا سيد أرغد رجاءً!

قال السيد أرغد بحذر:

- هناك شيء غامض يحدث في عرض البحر.

نظرت إليه بيري نظرة متساءلة، فاستطرد السيد أرغد:

- أبحرت سفينة في الأسبوع الماضي من ميناء مملكة بيورين قاصدةً مملكة الشمال، ولكنها لم تصل إلى هناك أبدًا حتى الآن، كما أن هناك سفينة خاوية من طاقمها لا يوجد بها كائنٌ حي رست هذا الصباح في ميناء مملكة بيورين وكانت متجهة أيضًا إلى مملكة الشمال، والأغرب هو أن تلك السفينة عادت محملة بالبضائع وهذا يعني أنها لم تتعرض للقرصنة بل هناك ما حدث لطاقمها وهذا ما لا نفهمه حتى الآن.

يعلم السيد أرغد ما عانت به بيوري في مملكة الشمال أثناء معركة النبلاء؛ لذا فقد كان يتوقع رد فعل مغاير لذلك الذي أظهرته بيوري. نهضت من على عرشها الكبير وسارت إلى السيد أرغد، ثم قالت وهي تقف أمامه:

- ما الذي ترمي إليه بالضبط؟

تطلع إلى وجهها للحظاتٍ قبل أن يقول بترقب:

- لم ينتهِ الشر في عالمنا، جلالتيك تدركين هذا، أليس كذلك؟

تراقصت الذكريات في عقلها فتذكرت مشهد الجثث المحترقة الملقاة في كل حدبٍ وصوب، وتذكرت شعورها بالعجز والضياع وهي في السبات العميق. نظرت إلى السيد أرغد وقالت بملامح جامدة:

- أظن أن السفينة التي لم تعد قد غرقت في البحر، أما التي عادت خاوية فهجرها طاقمها وهربوا من المملكة.

إنه يعلم أنها لا ترغب في الاعتراف بأن ما يحدث غريبٌ وله علاقة

بما حدث في مملكة الشمال؛ لذا قال لها مجادلًا:

- ربما، ولكنني أظن أننا يجب أن نتواصل مع ملك مملكة الشمال،
فربما يملك من الإجابات ما يكفي لإراحة عقولنا.

لم تَر بيدي ابن عمته منذ أن غادرت مملكة الشمال ولكنها ظلت
تتواصل معه عبر الرسائل التي حملها الحمام الزاجل إليه، ولكنها لم
تتلّق رسالة واحدة منه مما أثار غيظها وقلقها في الوقت ذاته. كانت
"شيرين" من ترد على رسائلها، فكانت تخبرها فيها أن "مراد" قد
تغير كثيرًا وأصبح عدوانيًا بشكلٍ مخيف. بعد تفكيرٍ دام لفترةٍ ليست
بالقصيرة استسلمت قائلةً:

- سنبعث برسالةٍ إلى مملكة الشمال نخبرهم فيها بهذه الأنباء،
ولنتنظر رأيهم في هذا الأمر.

انحنى السيد أرغد احترامًا لمليكته ثم اتجه إلى برج الحمام
الزاجل ليكتب الرسالة ثم ربطها بساق الحمام الذي طار متجهًا إلى
مملكة الشمال.

نيران الغضب

جلس مراد أعلى البرج يراقب السفن كما اعتادت "لومينا" أن تفعل وهي تعمل بالقصر. مر عام كامل منذ رحيلها، ولكنه يتذكر ملامحها جيدًا ويتذكر شعوره وهي واقفة أمامه تنظر إليه بعينيها المتمردتين. عامٌ كامل وهو يحاول كبح جماح حبه لها وغضبه منها، فلم يرغب في البحث عمّن تركته وحيدًا وتخلت عنه. حاول أن يكرهها ولكنه فشل، فكان يصنع ثقبًا أسودًا في كل ليلة ليعود بالزمن إلى تلك اللحظات التي اعتادت أن تجلس فيها أعلى البرج ليشاهدها وهي تتحدث معه. كاد يكسر قواعد السفر عبر الزمن في تلك المرة عندما أوشك على التحدث معها ونهرها عن سفرها وتركها له، ولكنه تراجع على الفور عن ارتكاب هذه الحماقة. لم يسمح له كبرياؤه بالبحث عنها؛ إذ حاولت مرارًا وتكرارًا الابتعاد عنه في الماضي إلا أنه ظل يتقرب منها رُغمًا عنها، ولكنه لن يفعل هذه المرة.

هبط الدرج ثم توجه إلى الحديقة فوجد شقيقته تنتظره وعلى وجهها أمارات الغضب. تقدم منها بوجه عبوس متساءلاً بنظراته عن غضبها غير المبرر على الإطلاق، فأراحته من عناء التفكير قائلةً بحدة:

- ما هذا الذي سمعته؟

تأمل ملامح وجهها الغاضبة، ثم سألها مستفسرًا:

- وما الذي سمعته بالضبط؟

زفرت بقوة ثم قالت:

- لقد هربت الفتاة المسكينة من الحديقة وخرجت من القصر وهي تبكي فراها الجميع، وخمن ماذا؟ لقد انتشرت الأنباء في المملكة بأسرها.

ابتسم ببرود ثم قال:

- لقد خافت، وأنا لن أتزوج من فتاة تخاف مني!

صاحت شيرين قائلة:

- خافت لأنك لم تعد تتحكم في قواك يا مراد، فأنت تصر على إفزع من حولك بتوهج جسدك بالنيران الغريبة التي تخرج منه. هل ظننت أنها ستصفق لك وستركع أسفل قدميك قائلة "مولاي، أرجو أن تتزوجني في الحال"؟ هل تمازحني؟ حتى أنا أخاف من قواك يا مراد!

اقترب منها ثم قال بعبوس:

- ما مشكلتك بالضبط؟

- أظن أن ما تعنيه هو: ما مشكلتك أنت يا عزيزي؟

ابتسم بسخرية وهو يجلس على عرشه الصغير بالحديقة:

- حسنًا، ما هي مشكلتي؟

قالت بحنق:

- مشكلتك هي أفعالك التي ستزج بنا في قبورنا قبل أوانها.

رفع حاجبيه استنكارًا ثم قال:

- وما بالضبط الذي فعلته فجعلك غاضبةً هكذا؟

كزت على أسنانها وهي تقول:

- لا تختبر صبري يا مراد! لأنك تعلم جيدًا أن غضبك واستعراضك لقواك الغربية أمام أي شخص يعترض على كلامك لهو سبب كاف للزج بنا في السجن. هل نسيت ما فعلته في تلك المرة عندما عارضك أحد النبلاء وأخبرك أنه ليس من الفطنة أن ترفض تلك الشحنة القادمة من مملكة الشرق؟

نهض من على عرشه وقد توهج جسده غضبًا ثم قال:

- هل نسيت أنني الملك وأن أي قرار أتخذه هو في مصلحة المملكة في المقام الأول؟

تراجعت بضعة خطوات إلى الخلف عندما رأت وهج جسده ولكنها قالت بحدة على الرغم من هذا:

- أنت الملك الذي اختاره أهل المدينة.. نعم، لن أنكر، ولكن لا تنس أن بإمكانهم أن يقلبوا عالمك رأسًا على عقب إن شعروا للحظة أنك مصدر تهديد لهم، فلا تنس يا عزيزي أن سحرة النور مكروهين في كل مكان وفي أي زمن.. حتى لو اختارك الشعب في لحظة حزن وغفلة، فلا بد أن يفيقوا منها يومًا ما، ومن يدري؟ لعل ذلك اليوم أقرب مما تظن!

انفجر مراد قائلًا بغضب وقد توهج جسده بالنيران في مشهد أصاب شقيقته بالفزع:

- ما الذي تهذين به؟

ضحكت شيرين باستهزاء وهي تتصنع الشجاعة أثناء تقديمها بتودة من عرش الملك لاستفزازة، فكانت كل خطوة تتخذها تشعل نيران غضبه أكثر من ذي قبل. استدارت شيرين لتنظر إلى شقيقها بتحدٍ ثم جلست على عرشه متعمدة إثارة غيظه. قالت ببرود وهي تبتسم:

- أرى أنك بدأت في فقد السيطرة على غضبك يا عزيزي، هل يجب أن نقلق أو ماذا؟

ساد الصمت وهما يتبادلان نظرات الوعيد فيما بينهما. أدرك مراد ما تفعله شقيقته وما ترمي إليه، فأهل المدينة يخشون قوى سحرة النور، وعلى الرغم من أنهم وافقوا على توليه عرش مملكة الشمال فإنهم أفاقوا ذات يوم من غفلتهم عندما أدركوا أنهم نصبوا واحدًا من ألد أعدائهم وأسلافهم على العرش بهذه البساطة. ظنوا حينها أن قواه ستردع الممالك الأخرى، ولكن هيهات! لم يستطع حاشيته التحكم فيه كما فعلوا فيمن سبقوه!

اعترض مراد كخيرًا على قراراتهم التي لم تكن في صالح أهل القرية في معظم الأحيان، فما انتهى اجتماع لهم إلا وتوهج جسده بالنيران التي بعت الهلع في نفوسهم كخيرًا!

اقترب منها ثم قال بهدوء مصطنع بعد أن خفت وهج النيران:

- لا أبالي!

ساد الصمت بينهما قليلًا، قطعت شيرين بكلامها:

- حسنًا، ما يهم الآن هو أنك يجب أن تعيد النظر حقًا في التحكم

في تلك القوى التي تثير الهلع في نفوسنا أجمعين وإلا كانت العواقب وخيمة.

استشعر مراد نبرة تهديد في كلامها ولكنه ابتسم بسماجة ليثير إغاضتها، وقد نجح بالفعل لأنها استدارت غاضبة ثم سارت إلى باب القصر تاركة إياه وحده.

جلست شيرين على فراشها تقرأ الخطابات التي اعتاد زوجها الراحل أن يرسلها إليها وعيناها مغرورتين بدموع الاشتياق والحزن. لا تدري السبب في رغبة مراد في تنفيذ قرارات غبية غير منطقية في نظرها لن تجلب لهما سوى الخراب. لقد حفر شقيقها قبره مسبقًا عندما عاند واتخذ قرارات لم يستحسنها النبلاء.

إنها تعلم جيدًا أن حاشية الملك لم يتمكنوا من وضع السم في طعامه لكي تصعد هي على العرش ولن يفعلوا؛ فالأمر غير مجد لأن الشخص المعني بتذوق الطعام قبل الأسرة الحاكمة سيقتل على الفور، وبالتالي لن يمس الملك طعامه، وما زاد من صعوبة قتله هي تلك القوى المخيفة التي راح يستعرضها أمام الكل غير عابثًا بالعواقب.

استلقت شيرين على فراشها وحاولت أن تنام. كان القمر خارج غرفتها منيرًا بضوء قوي على غير عادته مما جعلها تستعجب! قطبت جبينها وهي تنهض من فراشها ثم ارتدت ثوبها البني المصنوع من القطن فوق ملابس النوم وتوجهت إلى الشرفة تنظر إلى القمر، ولكنها انتفضت هلعًا عندما سمعت الصوت الذي دوى صداه في

أرجاء المملكة واستيقظ أهلها على أثره في الحال.

ليلة باردة

توهج القمر ولمعت النجوم في سماء مملكة الشمال في تلك الليلة الباردة. هبت الرياح فارتفع صفيherا الذي راح يتردد في الأفق ليعزف سيمفونية غريبة تثير الرعب في الأفئدة. وقفت امرأة عجوز أمام كوخها في القرية وهي تتطلع إلى السماء وتراقب نجومها اللامعة بانتظار ابنها الذي تأخر كثيرًا. جلست على الأرض وهي تتذكر الليالي الباردة كهذه، عندما كانت تلعب مع أصدقاءها من أبناء القرية على الرغم من تحذيرات أولياء أمورهم، ولكنهم لم يلقوا لها بالًا وقتها؛ لذا ابتسمت وذاكرات الماضي تتراقص أمام عينيها.

زفرت المرأة فخرجت سحب دخانية أمامها سبحت في الهواء مبتعدة عنها. كانت المرأة تنتظر عودة ابنها من المدينة فهو معتاد على الرجوع في مثل هذه الأوقات المتأخرة، ولكن هذه الليلة باردة بحق، فخشيت عليه ولا تدري السبب في هذا الشعور الغريب الذي انتابها منذ قليل. كان معظم سكان مملكة الشمال ينعمون بالراحة في أسرّتهم، فمنهم من يراوده كابوس ما ومنهم من تحلق روحه فوق المروج الخضراء الجميلة، ولكن البعض مستيقظ في منزله يتسامر أو يتشاجر.

هيمن الصمت على طرق المملكة وأزقتها، فمن النادر أن تسمع صوت حيوان شارد يسير في القرية أو صوت فارس يتسامر مع أصدقاءه فوق السور على مشارف المدينة. وعلى الرغم من ذلك الهدوء فإن الصوت الذي انبعث من السماء جعل الجميع يستيقظون من سباتهم بلا استثناء. توقف من كان يتشاجر على الفور، واستيقظ

مباشرةً من كان نائماً، وانعقد لسان من يتسامر في الحال بعد الصوت المدوي فوق سماء المملكة.

بلغت القلوب الحناجر وارتعدت الأوصال هلعًا وخشيةً من هول ما سمعوه. لم يشبه الصوت أي شيء سمعوه من قبل بل هو الأكثر فزعًا ورعبًا على الإطلاق. ربما يشبه أصوات الجنود وهم يتقدمون من جيش العدو صارخين في وجوههم قبل الانقضاض عليهم، وربما يشبه ذلك الصوت المنبعث من الأعاصير الضخمة وهي تكنس كل ما يعترض طريقها، ولكنه سيظل الصوت الأكثر هيبةً على الإطلاق.

رفعت العجوز عينيها إلى السماء التي لم تعد كما تألفها. انشقت السماء المظلمة إلى نصفين وقد خرج من ذلك الانشقاق كتلة ظلامية يظنها المرء لوهلة أنها دخان ولكنها ليست مثله في شيء. لم يكن الانشقاق كبيرًا ولكنه ما زال مشهدًا غريبًا يثير الهلع في النفوس.

خرج الجميع من أكواخهم فاغرين أفواههم يتأملون السماء المنشقة فوقهم قاطبين أجبتهم دهشةً واستغرابًا. لم يكن هذا هو الحال في القرية بل عمت حالة من الهلع والشغب في المدينة التي راح أهلها يصرخون وهم ينظرون إلى الانشقاق السماوي. صرخ الصغار وبكوا من الخوف وتجمع الفرسان في مشهد مهيب استعدادًا لأي هجوم لم يعلموا عنه شيئًا من الأساس. لم يعد ابن المرأة العجوز إلى القرية حتى الآن فغاص قلبها في غياهب القلق والخوف؛ لذا هرعت تنادي عليه بصوتٍ مبحوح لعله على مقربة منها، ولكنها لا تدري أن ابنها ما زال في المدينة، ولن يتمكن أحد من المغادرة منها

أو الدخول إليها.

عم الهرج والمرج في القرية التي راح أهلها يصيحون بفزع متسائلين عما يحدث ولكن لم يمتلك أحد منهم إجابة شافية لفضولهم جميعًا. صاح أحد القرويين وهو يراقب الانشقاق في السماء:

- رُحماك يا إلهي! هل العالم ينتهي؟ هل سنموت جميعًا؟!

تأججت نيران الفزع والهلع بداخل نفوسهم المضطربة، فراح بعضهم يختبئ في كوخه، أما البعض الآخر فقد خز راکعًا أسفل السماء يتضرع إلى الإله طمعًا في النجاة والغفران.

في هذه الأثناء استيقظ مراد فزعًا من نومه بعد انطلاق الصوت المدوي في السماء وهو ينظر إلى الستائر التي تطايرت بسبب الرياح، فاعتدل على فراشه ثم نهض وتوجه إلى الشرفة ليتفاجأ أن حديقة القصر تعج بالفرسان والحراس والخدم الذين وقفوا يشاهدون السماء المنشقة. تطلع إلى السماء ولكنه عبس لأنه تذكر شيئًا ما قرأه في مكتبة "مملكة ليموريا" بالكهف يشير إلى ذلك الانشقاق الغريب الذي أصابها. لم يكن ما قرأه في ذلك الكتاب مطمئنًا على الإطلاق؛ فهو لا يشير إلا إلى هلاك البشرية بأسرها.

ارتدى ملابسه بسرعة ثم خرج من جناحه وهبط الدرج إلى القاعة الملكية ثم أمر أحد الحراس باستدعاء نائبه ليتناقش معه في أمر السماء المنشقة. غاب الحارس لدقائق ثم عاد ومعه نائب الملك الذي

انحنى احترامًا لمراد. كان مراد يقف أمام النافذة الكبيرة يراقب الانشقاق السماوي، التفت إلى نائبه ثم قال بتجهم:

- ابعث برسائل إلى جميع الممالك واسألهم فيها عن أية حوادث غريبة حدثت مؤخرًا.

انحنى نائب الملك ثم انصرف على الفور خارج القاعة ليكتب الرسائل التي سيطير بها الحمام الزاجل إلى الممالك الأخرى. استدار مراد بمجرد أن خرج نائبه من القاعة ثم تابع النظر بعبوس إلى السماء المنشقة وهو يفكر في هذه المصيبة التي راحت تقرر أبوابهم كالموت. أعلن الحارس عن قدوم شيرين التي دخلت القاعة وهي تقول بلامح جادة مذعورة:

- ما الذي يحدث بالضبط؟ كاد قلبي يتوقف هلعًا!

تنهد مراد ثم قال:

- لنأمل ألا يكون ما أفكر فيه حقيقيًا! ستكون نهاية الكون حقًا.

سألته شيرين بتجهم:

- ماذا؟ أنا لا أفهم!

التفت إليها ثم قال بجدية:

- نهاية الكون يا شيرين، أي نهايتنا جميعًا.

تاهت الكلمات في حلقها فلم تعرف بماذا تعلق على كلامه الغريب هذا. استدارت على الفور غير مبالية بما قاله ثم صعدت إلى غرفتها وجلست على فراشها وهي ترتعش من البرد والخوف معًا. إنها تظن

أن مراد وراء كل شيء شرير يحدث في المملكة، فسحرة النور لم يأت من ورائهم سوى الشر والموت دائمًا. إنها ترغب في التخلص من شقيقتها ولكنها لا تدري كيف، فمحاولة قتله صعبة طالما لم يعثروا على تلك الأداة التي تكبح جماح قواهم بعد.

خرجت من غرفتها ثم سارت في الممر المؤدي إلى المكتبة، ووقفت أمامها تلقي نظرة عليها فتذكرت على الفور ما حدث في العام الماضي. استغرق الأمر منهم شهرًا حتى رمموا القصر ليعيدوه إلى سابق عهده، فالنيران التي راحت تحرق أهل المملكة ومنازلهم قضت على كل شيء جميل بها. دلفت إلى المكتبة ثم جلست على المكتب الذي اعتاد مراد أن يجلس عليه ونظرت خارج النافذة إلى ذلك الانشقاق في السماء وهي تفكر في الحرب القادمة على مملكتهم.

انطفأت الشموع فجأة فساد الظلام المكان. تنفست شيرين بسرعة وهي تتحسس ما حولها محاولة أن تعثر على المصباح الموضوع فوق المكتب ولكنها لم تعثر على شيء وكأنه اختفى فجأة. نبض قلبها فزعًا فحاولت أن تنادي على الحراس ولكنها تذكرت أنهم لا يقفون خارج المكتبة، فأدركت أخيرًا أنها وحيدة وأن أحدًا لن ينجدها. في هذه اللحظة، وقبل أن تعزم على النهوض رغم خوفها من الظلام، لمست كتفها يد باردة ثم همس شخص ما في أذنها قائلاً:

- ابحي عن الخطاب في خزانته!

تسمرت شيرين مكانها وانعقد لسانها عن الكلام، ولكن صوتها طاوعها على الخروج عندما صرخت صرخةً مدويةً جعلت أحد

الحراس العائدين إلى القاعة الملكية يغير رأيه فتوجه إلى المكتبة على الفور. فتح الباب ثم دخل مستلاً سيفه استعداداً لأي هجوم، فتلك الليلة كانت باردة وغريبة بحق. نظر إلى شيرين الواقفة أمام المكتب ووجهها شاحب، فتقدم منها ببطء وهو يسألها منحنياً:

- سمو الأميرة! هل أصابك مكروه؟

لم تعلم شيرين بماذا تجيبه فهي خائفة، وإن أخبرته الحقيقة سيظن بعقلها الظنون على الأرجح؛ لذا قالت بصوت مرتجف:

- لا، ولكن من الأفضل أن تصطحبني إلى غرفتي في الحال.

انحنى لها الحارس احتراماً للمرة الثانية ثم انتظرها لتأتي إليه. كانت الغرفة مظلمة ولكن الضوء أتى من خارجها فأناها قليلاً. قبل أن تخرج شيرين من الغرفة داست بقدمها شيئاً ما فألقت عليه نظرة لتتفاجأ أنه مفتاح بجانبه خنجر غريب الشكل؛ فمقبضه الذهبي نُقِشت عليه جمجمة يخرج منها ثعبان، ولكن أكثر ما أثار استغرابها هو النصل الغريب لذلك المعدن الذي لم تَرَ مثله من قبل. انحنى وأمسكت بهما ثم تأملت النصل ذو اللون الأسود الغريب في حين حدجها الحارس بنظرات متساءلة فهذه هي المرة الأولى التي يرى فيها خنجراً بهذا الشكل واللون. تفحصت شيرين المفتاح فلاحظت أنه يشبه تلك المفاتيح التي تفتح غرفهم. ربطت شيرين الأمور ببعضها البعض فأدركت أن من همس في أذنها منذ قليل هو الشخص نفسه الذي ترك هذا المفتاح الذي لا بد أنه يفتح جناح شقيقها.

سارت إلى الباب ثم خرجت من المكتبة فاصطحبها الحارس إلى غرفتها. دخلت الغرفة والصوت يتردد في أذنها، فظلت تفكر فيما

حدث وهي جالسة على فراشها والستائر تتطاير في الشرفة. بعد تفكير استغرق منها الكثير عازمت على البحث عن ذلك الخطاب في خزانة شقيقها. بالطبع ستكون خزائنه هو، لأنه الشخص الوحيد المختلف عنهم ولم ينبغ أن يتواجد معهم في المقام الأول. على الرغم من الذعر الذي أصابها لمجرد التفكير في أن هناك شيء شرير يحدث بالمكتبة فإنها تشعر بالامتنان لذلك الصوت؛ فلا بد أنه سمع أفكارها وشعر بمخاوفها فحاول مساعدتها.

أجراس السماء

راقبت ذلك الانشقاق في السماء وأنا أقف أمام الحانة التي أعمل بها الآن. أتذكر ذلك اليوم جيدًا عندما دوى صوتٌ مرعب أفزعنا جميعًا فجعلنا نخرج من مساكننا ننظر بهلعٍ إلى السماء. لم ننعم بالراحة منذ تلك الليلة فما حدث أصبح حديث المملكة بأسرها.

خاف الجميع وتناثرت الأقاويل هنا وهناك، ولكن ما أثار هلعي هو رؤية من يعيش بمملكة الشمال لذلك الانشقاق؛ فلم نكن وحدنا من نراه بل رآه الكثير في الممالك الأخرى. تنهدت بتعبٍ ثم نظرت إلى الحانة القذرة التي كانت بمثابة جنة الكثيرين في القرية بمملكة بيورين!

بعدما أرسلت الخطاب إلى مراد صعدت على متن السفينة المتجهة إلى مملكة بيورين لأنني علمت أن بيرى ستكون هناك. ستحاول أن تحكم المملكة بقليلٍ من العدل الذي سيُخمد نيران الكراهية والغضب في قلوب القرويين، ولهذا السبب توجهت إلى هذه المملكة فربما أعيش حياة هادئة.

من خلفي سمعت صوت مألوف يقول:

- مشهد مرعب، أليس كذلك؟

استدرت وقلت بابتسامةٍ باهتة:

- مرحبًا يا "تولاي".

تقدم مني ثم قال مبتسمًا:

-مرحبًا يا "لومينا"، لماذا تحديقين بالسماء؟ ألن تعملين اليوم؟
ابتسمت ثم قلت:

- لقد كنت أراقب الانشقاق فقط، سأدخل إلى الحانة الآن.
- ولماذا تراقبينه؟

كان تولاي شاب طويل، عريض المنكبين، له شعر بني كلون عينيه، وله لحية خفيفة زادت من وسامته. لقد ذكرني بـ "أنس" كثيرًا كلما نظرت إليه. كان يشبهه، أو كنت أنا من تراه هكذا. كان فارسًا يعمل بالجيش الملكي ويعيش في الكوخ المجاور لكوخنا.

لقد رحلت عن مملكة الشمال قبل عام من الآن، وعشت بكوخ قديم مهترئ أثاثه مع والدتي. لم أدخل المدينة الملكية أبدًا منذ قدومي إلى هنا ولن أفعل بالطبع؛ فأنا لن أظهر في أي مكان تتواجد فيه بييري أو مراد.

لم أتوقف قط عن حبه وأظن أنني لن أتوقف أبدًا. لا أعلم ما دار أو يدور في مملكة الشمال بعد رحيلي، وللحق لا أرغب في المعرفة. سأتألم إن سألت أحدهم "هل تزوج الملك؟" بالطبع لن تعجبني الإجابة، ولهذا السبب لم أسأل، ولن أسأل.

سألني تولاي:

- أين شرد ذهنك يا لومينا؟

انتبهت إلى صوته فعدت إلى الواقع بعد شرودي الذي كان يحدث كثيرًا مؤخرًا. أمسكت بالقلادة التي أهداها لي مراد أثناء الحرب على

أهل المدينة الملكية فشعرت بغصة في قلبي. لقد أصبحت هذه عادة أفعالها مؤخرًا، ولا أدري السبب في هذا. هل أشعر بالاطمئنان لأن مراد هو من أهداها إليّ وكأنه يخبرني بأنه بجانبني دائمًا إن شعرت بأي خطر؟

سألني تولاي:

- هل أنت بخير؟

قلت بوجه خالٍ من أي تعبير:

- نعم، أنا بخير يا تولاي. سأدخل الحانة الآن قبل أن يأتي صاحبها ليهديني خطابًا مملًا عن أهمية الوقت والعمل.

لا توجد حانات أخرى في القرية سوى هذه، ولم يجعلها هذا مميزة بل على العكس. إنها مقززة للغاية، لا يأتي إليها سوى القرويين الذين يمتلكون مالًا أكثر منا جميعًا بسبب العمل في المدينة الملكية ومن ضمنهم تولاي.

انتهيت من طهي الحساء الذي اشتهرت بصنعه في القصر بمملكة الشمال، وأصبح مشهورًا هنا بين أبناء القرية. جلس تولاي على مقعد خشبي أمام الطاولة بانتظار الحساء عندما خرجت من المطبخ فتاة جميلة ذات شعر بني كلون عينيها تدعى "أسيليا" وهي شقيقة تولاي. قالت "أسيليا" بحماس:

- أفضل حساء في المملكة لأفضل شقيق في العالم بأكمله.

كانت أسيليا تعمل معي في الحانة، فهي تساعدني في الطهي

والتنظيف. ذكرتني علاقتها بتولاي بتلك التي كانت بيني وبين
أنس. لطالما اختلطت مشاعر الحزن والحسد بداخلي كلما نظرت
إليهما. كرهت نفسي كثيرًا لأنني أحسدهما على الشيء الوحيد الذي
حرمته منه الحياة، وهو أن يكون لي عائلة. أعيش الآن بلا أب، أو
أخ، والمضحك في الأمر أنه لم يكن أخي. شعرت كثيرًا بالغضب كلما
تذكرت أنني كنت مغفلة لإحدى وعشرين عامًا، عشت في ظلال كذبة
عظيمة ويا لها من كذبة!

قالت أسيليا بحماس:

- لن تصدق يا تولاي ما سمعته منذ قليل.

نظر إليها ثم سأل وهو يمضغ قطع الفطر:

- ماذا؟

أجابته أسيليا وما زال الحماس باديًا على وجهها:

- لقد سمعت أحد الرجال في الحانة يتحدث عن السماح للقرويين
بالدخول إلى المدينة غدًا لمشاهدة الاحتفال بيوم الموتى في
الميناء.

سألته بامتنعاض:

- وما المثير للحماس هكذا؟ ذلك الانشقاق في السماء لا يوحى
بالخير وأنت تشعرين بالحماس لأن الملكة ستسمح لكم بدخول
المدينة للاحتفال بيوم الموتى، لا يبدو الأمر منطقيًا على الإطلاق!

اتسعت عيناها دهشة ثم قالت:

- ما المثير للحماس؟ هل تمزحين معي؟ سنذهب إلى الميناء لنرى البحر أيتها البائسة.

- بمقابل مادي، أليس كذلك؟ أي إنك إن كنت لا تملكين المال فلا يحق لك رؤية البحر، ولهذا السبب لا أظن أن أحدًا من القرية يمتلك المال الكافي للذهاب إليه، ناهيك عن التوقيت الغريب للسماح بمثل هذه الاحتفالات.

قالت أسيليا بتذمر:

- بربك الآن! ألا تملكين بضعة عملات ذهبية للاستمتاع برؤية البحر والسفن؟

أجبتها على الفور:

- لا، ولن أذهب حتى لو امتلكت بعضًا من العملات الذهبية.

سألني تولاي باستغراب:

- لماذا ترفضين الاقتراب من المدينة؟

يا له من سؤال! ويا لي من جبانة لن تبوح بما يعقل كاهلها! هل أخبره أنني شقيقة القاتل المشهور الذي شن معركة دامية على أهل مملكة الشمال؟ هل أخبره أنني وقعت في غرام الملك الذي أظهر لي من الرحمة ما لم يظهره أحد سواه؟ هل أخبره أنني ما زلت أفقد شقيقي القاتل؟ هل أخبره أنني أخشى المدينة حتى لا يراني أحد هناك فيبلغ بي عن مكاني التي ربما ستخبر مراد بدورها؟

قال تولاي وهو ينظر إليّ بعبوس:

- أنتِ لستِ على ما يرام يا لومينا، هل ترغبين في الحديث عما
يجول بخاطرك؟

قالت أسيليا بابتسامةٍ سمجة:

- لا تحاول يا تولاي فهي شخصٌ كثيبٌ غامض لا يبوح بأسراره
لأحد.

لم يزعجني كلامها، بل على العكس ظننت أنها محقة إلى حدٍ ما،
ولكنني قلت على كل حال:

- أنتِ لا تعرفين عني شيئًا يا أسيليا حتى تنعتيني بالشخص
الكثير. ربما أخفي عنك أهوالًا لو حدثت لك لأصبحت مثلي أو
أسوأ!

أوشكت على قول شيء ما، ولكن تولاي نظر إليها نظرةً ذات معنى
جعلتها تبلع تعليقها ولم تبح به أبدًا. اتجهت أسيليا إلى المنضدة التي
يجلس أمامها شقيقها ثم أخذت الطبق الفارغ واتجهت إلى المطبخ.

قال تولاي في محاولةٍ منه للتخفيف عني:

- بإمكانك أن تتقي بي إن احتجتِ للبوح بأي شيء.

تنهدت بتعبٍ ثم أمسكت بقلادتي وقلت بلا وعي:

- بعض الأسرار لا ينبغي أن يكشف عنها الستار أبدًا.

لم يعلق تولاي واكتفى بابتسامةٍ ثم قال:

- حسنًا يا لومينا، سأذهب إلى المدينة متمنيًا أن تعيدي النظر في
الذهاب إلى احتفالية يوم الموتى غدًا.

راقبت تولاي وهو يخرج من الحانة فهربت دمةً وجرت على
وجنتي لأنني أراه يشبه أنس كثيرًا، ولكم اشتقت إليه! لماذا تعاقبني
الحياة؟ إن كنت فعلت شيئًا سيئًا لتعاقبني عليه الحياة فما أنا ذي
أعترف الآن أنني قد دفعت ثمن أخطائي. هنيئًا لك أيتها الحياة
البائسة، هنيئًا لك بالفوز بمعركة أخسر فيها دائمًا!

عدت إلى الكوخ بعد يوم عمل شاق وطرقت بابه فلم تستجب
والدتي للطرق من المرة الأولى. شعرت بالقلق كثيرًا ولكنني شعرت
بالاطمئنان عندما فتحت أخيرًا وهي تنظر لي بوجهها الهزيل الحزين.
ضممتها وقبّلت جبينها ثم دخلت الكوخ وأغلقت الباب خلفي. جلست
على الأرض ورفعت الغطاء عن الإناء الصغير الذي وضعت بداخله
القليل من الحساء المتبقي بعد أخذ الإذن من صاحب الحانة بالطبع.
قلت لها:

- هذا الحساء لك يا أمي، لم لا تجلسين بجانبني حتى أطعمكِ؟

لم تكن أمي تتناول الطعام بنفسها، فهي ترفضه مؤخرًا بسبب
الحزن الشديد الذي أصابها، ولهذا السبب أطعمها كما اعتادت أن
تفعل عندما كنت صغيرة. نظرت لي بعبوس، فسألتها:

- ماذا هناك؟

قالت بصوت منخفض:

- لقد أتى إلى هنا.

سألتها بتجهم:

- من الذي أتى؟

همست:

- أنس!

سقطت الملعقة من يدي في الإناء من هول الصدمة. نظرت إليها
بجدية ثم قلت:

- لقد مات أنس يا أمي!

ابتسمت ابتسامةً مرعبةً ثم تعالت أصوات ضحكاتها حتى أدمعت
عينها. كنت أشاهدها ودموعي محتشدة بالفعل في مقلتي. أشعر
بالغضب كثيرًا، أرغب في أن أصبح في وجهها الآن لتفريق من نوبة
الحزن والجنون هذه ولكنني لن أفعل. إنها مريضة حقًا وتحتاج إلى
المساعدة. بعد الانتهاء من تناول الطعام نامت أمي فتركتها وخرجت
من الكوخ لأجلس أمامه على الأرض. راقبت ذلك الانشقاق في
السماء كعادتي مؤخرًا عندما قال صوت مألوف:

- ما زلت تنظرين إلى السماء!

التفت أنظر إلى تولاي أتأمل ملامح وجهه التي تشبه ملامح أنس
كثيرًا. أظن أنني جعلته يشعر بالخجل لأنه نظر إلى السماء حين
أطلت النظر إليه، ثم قال محاولاً أن يبعد نظراتي عنه:

- إن كنت لا تملكين المال للذهاب غدًا إلى الميناء فبإمكاني
إقراضك إياه.. إن رغبت في هذا بالطبع.

لو كان أنس هنا لفعل الشيء نفسه. أطلت النظر في ملامح تولاي هذه المرة حتى أدمعت عيناى فلاحظ بالطبع وقطب جبينه ثم قال بقلق:

- هل أنت بخير؟ أعتذر إن أحزنتك بطريقة ما ولكنني حاولت المساعدة ليس إلا.

لقد بكيت كما لم أبك في حياتي، بكيت وكأنني طفل صغير اكتشف أنه تائه وأنه لن يرى والدته مرة أخرى. كانت يداى ترتعشان من فرط الحزن والغضب. تطلع تولاي إلى وجهي باستغراب شديد ولكنه فاجأني عندما سألني:

- هل فقدت أحدهم في معركة النبلاء؟

جففت دمعي وأنا أبتسم لطرحه هذا السؤال. إنه ذكي للغاية فهو يعلم جيدًا أنني لن أبكي بهذه الدرجة إلا لفقد أحدهم في المعركة التي أتيت بعدها مباشرة إلى هنا. أجبتة وأنا أنظر إلى السماء مرة أخرى:

- لقد قُتل والدي عندما كنت صغيرة.. تعرفت على صديقة رائعة كانت تحمل طفلًا بداخلها ولكنها ماتت بين يدي، كما أنني أحببت شخصًا لم ينبغ أن أقع في غرامه ثم تركته على كل حال، و...

توقفت عن الكلام فجأة، فأنا لن أجرؤ على البوح أكثر من هذا. لن أقول أنني وثقت في شقيقى اكتشفت أنه قاتل. تفاجأ تولاي كثيرًا بما قلته فنظرة الدهشة والحيرة على وجهه كانت واضحة للغاية؛ لذا قال وهو ينظر إلى السماء معلى:

- يا إلهي! هذا حِمْلٌ ثَقِيلٌ للغاية.

ساد الصمت بيننا للحظات قبل أن أنهض من مكاني فجأة وكأن
تعبانٍ لدغني. سألني تولاي بتجهم:

- ماذا الآن؟

سألته بتعجب:

- ألم تستمع إلى الصوت؟

ازداد تجهم وجهه وهو يقول:

- الصوت؟ عن أي صوت تتحدثين؟!

نظرت حولي بترقبٍ وكأنني أنتظر ظهور شيءٍ ما. لقد سمعت
صوت فتاة تهمس باسمي، أو أنني أتوهم؟! لم أعد أعرف أي شيء.
أنا بائسة أكره حياتي وأتمنى لو أنني مِتُّ في المعركة! هذه الحياة
التي أعيشها ليست سوى مزحة سخيفة لا أحتمل خداع نفسي ومن
حولي بها أكثر من هذا، فلماذا لا أموت؟ لِمَ لا أذهب غدًا إلى المدينة
ثم ألقى بنفسي في البحر؟ أنا لا أستطيع السباحة وسأغرق على
الفور. تبدو خطة جيدة للغاية ينبغي أن أفكر فيها.

نهض تولاي ثم وقف أمامي، وقال مشفقًا على حالي:

- ما حدث لك كان قاسيًا للغاية، وللحق إن كنت مكانك لفقدت
صوابي، وهذا ما يجعلني أشعر بالإعجاب بك كثيرًا؛ فأنت شخص
شجاع صمد أمام أهوال ما تزال تلاحقه حتى الآن. أنت شخص قوي
يا لومينا، فلا تجعلني أحزان الماضي وأشباحه تطاردك.

مسحت دموعي ثم قلت بصوت مهزوزٍ قليلًا:

- دائمًا ما تكافئني الحياة بأصدقاء رائعين. أعلم أنك شخص رائع حقًا وأنا ممتنة للغاية لعرضك السخي، ولكن أخشى أنني لا أستطيع قبوله، فأنا لا أرغب في الدخول إلى المدينة على الإطلاق. ليلة هنيئة يا تولاي!

تركته ودخلت الكوخ على الفور ثم نظرت إلى والدتي التي كانت تجلس على الأرض محمقة في السقف الخشبي باهتمام. لقد فقدت صوابها.. تجاهلتها لأنني لم أعد أحتمل أكثر من هذا. توجهت إلى الفراش ثم استلقيت لأنام.

صرخت وأنا نائمة حتى أيقظني صراخي. المكان مظلم للغاية من حولي. أين ذهبت أمي؟ ناديت عليها كثيرًا حتى آلمني حلقي.. أين أنا؟ هاجمتني موجة البرد اللعينة فاصطكت أسناني. نهضت من على الفراش وسرت إلى الأمام عني أهتدي إلى أي شيء. مشيت لبضعة ثوان وأنا أرتعش من البرد القارس ولا أعلم إلى أين أتجه. المكان مظلم كالقبور فلا أستطيع أن أرى بقعة ضوء واحدة. هناك صوت أنعوي قادم من بعيد يهمس باسمي. تجمدت في مكاني ولم أتحرك خطوة إلى الأمام!

كتمت أنفاسي لئوانٍ حتى أتمكن من سماعها مرة أخرى. كانت تناديني وكأنها تستغيث بي. مشيت باتجاه الصوت حتى رأيت بقعة ضوء قادمة من بعيد جعلت الرؤية ممكنة قليلًا. على عرش كبير لونه أسود وكأن نيرانًا قد أحرقتة منذ زمنٍ يجلس عليه رجل يرتدي

عباءة سوداء أخفت ملامحه جيدًا أسفل غطاءها. رأيت فتاة راكعة على الأرض أسفل قدميه التفت حول رقبتها سلسلة معدنية، أمسك الرجل المخيف بنهايتها وهو يجذبها إليه فتختنق الفتاة وتصرخ ثم تهمس باسمي مجددًا.

تنفست بسرعة شديدة من هول المشهد أمامي ثم تراجعته إلى الخلف لأنني لست على استعداد لخوض تلك التجارب المرعبة ثانية. استدرت وجريت وكأن الموت يلاحقني غير مبالية لاستغاثات الفتاة الراكعة أمام عرش الرجل المخيف. لقد فقدت شجاعتي التي جعلتني أرى أهوالًا في القصر الملكي، فها أنا ذي أصبحت فتاة جبانة تدير ظهرها لمن يستغيث بها.

تعثرت وأنا أجري فوقعت على الأرض. وقفت بصعوبة أستند على يدي ولكن هناك من أخرج يده من أسفلي وأمسك بهما ثم سحبني إلى داخل جوف الأرض الباردة. بينما كنت أصرخ دخلت حفنة من التراب في فمي فجعلتني أختنق فلم أعد أستطيع التنفس. كانت اليد تجرني إلى الأسفل إلى مكانٍ يستعر بالنيران المتوهجة باللون الأحمر والأسود معًا.

وقبل أن أصل إلى النيران أيقظتني أمي وهي تقول:

- هل جننت؟

فتحت عيني ثم بصقت حفنة التراب التي كانت في فمي. هذا لم يكن حلًا أبدًا بل كنت هناك بالفعل! نهضت وأنا أسعل بقوة ثم اتجهت إلى المرحاض لأغسل وجهي فتفاجأت أن قلادتي كانت تتوهج كثيرًا. أمسكت بها فحقت توهجها قليلًا حتى اختفى تمامًا

وعادت كما كانت من قبل كأية قلادة أخرى.

وقفت أمام الحانة أنظر إلى السماء مجددًا فأصبحت هذه عادة غريبة أفعالها مؤخرًا. اقتربت مني أسيليا ثم نظرت لي باستغراب ولكنها أكملت طريقها إلى داخل الحانة في حين كان تولاي يتأملني فانتبهت إليه.

قال:

- يؤلمني شرودك كثيرًا يا لومينا، والمؤلم أكثر هو أنني لا أعرف كيف أجعلك تبترسمين. أتعرفين؟ أظن أنني لم أرك تبترسمين قط!

تجاهلته ثم دخلت الحانة غير مبالية بأي شيء. دار الكثير بداخل عقلي وأنا أباشر عملي المعتاد. جلس أحد الحراس على المقعد وهو يحتسي الخمر فوضعت الطبق أمامه بذهنٍ شارد مما جعل يدي ترتعشان قليلًا فانسكب الحساء على ذراعه المسنود على الطاولة الخشبية. تأوه من فرط الألم ثم نهض من مقعده ورفع يده اليمنى التي هبطت على وجنتي بصفعةٍ لن أنساها أبدًا! وضعت يدي مكان الصفعة المؤلمة أتحنسها وأنا أنظر إليه بتحدٍ فرفع يده ثانية ليصفعني مرةً أخرى ولكن يدًا قوية أمسكت بها قبل أن تفعل.

قال تولاي وهو يضغط على كل حرف:

- إن كنت مكانك فلن أفعل!

بوجهٍ ممتعض التفت الحارس إلى تولاي ثم دفعه إلى الخلف ولكن الأخير تقدم منه ثانية لينهال عليه باللكمات حتى طرحه أرضًا.

كان تولاي قويًا للغاية فهو أقوى فارس رأيته في حياتي. تطايرت الدماء من فم الحارس الممدد على الأرض غارقًا في بحيرة من الألم. ذكرتني الدماء بمعركة النبلاء فلم أعد أحتمل المشهد فاغرورقت عيناى بالدموع.

قلت بوهن:

- كفى يا تولاي، كفى رجاء!

لم يمنعه كلامي عن التوقف لأنه استمر في لكم الرجل الذي فقد الوعي. لم أحتمل المشهد أكثر من هذا فخرجت من الحانة وأجهشت بالبكاء. جلست القرفصاء ثم خبأت رأسي بين يديّ لأدفن دموعي التي تساقطت باستسلام على وجنتي. لم أكن أذرف الدموع بل الذكريات المؤلمة التي لم أستطع تخطيها قط.

انتشلتني صوت الأجراس من غياهب الحزن فرفعت رأسي أنظر يمينًا ويسارًا لأبحث عن مصدره. توقف الصوت للحظات ثم عاد ثانية ولكنه عاد بقوة وكأن من يقرعه يرى الموت أمامه. الغريب في الأمر هو عدم اكتراث المارة بما يسمعون، أو أنني فقط من تسمعه؟!

سمعت صاحب الحانة يصيح في وجه تولاي الذي وقف أمامه كالجبل الشامخ الذي لا ينحني. قال بعبات:

- أنت لا ترغب في تحدي فارس من الجيش الملكي يا سيد "أرسين"، أليس كذلك؟

تراجع السيد "أرسين" بضعة خطوات إلى الخلف وهو ينظر بتوعد إلى تولاي قبل أن يدخل الحانة. تقدم مني تولاي وهو ينظر

لي بتعجب لأنني جالسة على الأرض وعياني حمراوين من البكاء الشديد. قال لي مشفقًا:

- أعتذر عما بدر مني بالداخل، لقد فقدت السيطرة على غضبي.

تحولت أنظاري إلى السماء فأضاف:

- ألن تأتي اليوم إلى الميناء؟

أجبت به بانزعاج:

- لا، لن أدخل إلى المدينة أبدًا.

- لماذا تخشين الدخول إليها؟

لم أجبه، فقال باستسلام:

- حسنًا، لا تدخلوها. أتعلمين؟ سنحتفل جميعًا بيوم الموتى في

القرية، ما رأيك؟

وعلى الرغم من رغبتني في عدم الذهاب والتفوق في شرنقة

أحزاني، أومأت موافقة. تهلت أسارير وجهه ثم قال:

- لن تندمي، أعدك.

نهضت مفزوعة كمن لدغه عقرب عندما سمعت صوت الأجراس

ثانية. تسمرت مكاني وأنا أستمع بترقب إلى الصوت الذي كان قادمًا

من بعيد. إنه يأتي من السماء! سألت تولاي بعبوس:

- أخبرني أنك تسمعها!

قطب جبينه وهو ينظر لي بتعجب ثم قال:

- أسمع ماذا بالضبط؟

إنه لا يسمع الأجراس معلما أفعل! لماذا لست مندهشة؟ هناك أمر غريب يحدث وأظن أن ذلك الانشقاق في السماء هو السبب في هذا، أو أن هناك شيء آخر؟

المادة المظلمة

جلس مراد في المكتبة للمرة الأولى بعد رحيل لومينا يتأملها بمشاعرٍ مختلطة تتصارع بداخله؛ فهي المكان الذي جمع بينه وبين لومينا، وهي أيضًا المكان الذي مارس فيه أنس طقوس السحر الأسود الذي تسبب في مقتل عائلته وإراقة دماء الأبرياء في المعركة.

تأججت نيران الغضب بداخله مع مرور الوقت، فجل ما كان يعرفه مراد هو أنه غاضبٌ إلى حدٍ كبير وأنه بدأ في فقد السيطرة على غضبه وقواه معًا. انتشلت طرقات على الباب من التفكير فاستدار لمواجهة الحارس الذي دخل بعد سماحه له بالدخول. تقدم منه الحارس قائلاً وهو ينحني:

- لقد وصلت هذه الرسالة من مملكة بيورين يا سيدي.

أمسك مراد بالرسالة ثم فتحها وقرأ ما بداخلها فظهرت علامات الاستغراب على وجهه! أمر الحارس بالرحيل ثم جلس على المقعد يفكر في كل الاحتمالات. من المفترض أن المعركة انتهت وأن جسد القاتل في الكهف ووعيه محبوس في متاهة الزمن. إذن، ما الذي يحدث في عرض البحر بالضبط؟ بل من المتسبب في حدوثه؟ وما هو السبب؟

لم ينتظر مراد كثيرًا ففتح ثقبًا أسودًا إلى المقابر ووقف أمام شواهدا بانتظار ساحر النور الأعظم. ظل واقفًا لفترة ليست بالقليلة حتى رآه قادمًا إليه. تقدم منه الرجل العجوز وظل ينظر إلى مراد

يتأمله وكأنه لم يمضِ العام المنصرم في تعليمه قوانين السحر الأبيض وكيفية التصدي للسحر الأسود.

قال ساحر النور الأعظم:

- هناك ما يعقل كاهلك. أفصح عما بصدرك يا ساحر النور.

قال مراد على الفور:

- لقد انشقت السماء وهناك ما يحدث في عرض البحر.

أخبره مراد بمحتوى الرسالة التي وصلتته من مملكة بيورين فأصبح وجه ساحر النور الأعظم أكثر شحوبًا من ذي قبل. ساد الصمت ثقيلًا بينهما لفترة من الزمن. قال العجوز أخيرًا:

- إن كانت الأسطورة حقيقية فأنت بحاجة إلى القلادة التي أهديتها إلى لومينا.

مشاعر مختلطة غريبة يشعر بها مراد ولا يفهمها. هل يشعر بالسعادة لأن هناك سبب سيضطره إلى البحث عن لومينا، أو يشعر بالقلق لأن الأمر يستدعي ذلك حقًا؟

سأل مراد بترقب:

- الأسطورة؟

أجابه ساحر النور الأعظم على الفور:

- ماذا تعرف عن نهاية الزمن يا ساحر النور؟

ضيّق مراد عينيه باستغراب وقال متساءلاً:

- هل تقصد نهاية الكون أو...

قاطعه ساحر النور الأعظم قائلًا:

- ما الذي تعرفه عن عرش الزمن؟

- بعض التوضيح سيفيدني الآن يا "كيرال"!

قال "كيرال" بجدية:

- ابحث عن القلادة ثم ابحث عن كتاب "عين الإعصار" قبل أن يعثر عليهما "النكرومانسر".

تعجب مراد كثيرًا مما سمعه، فسأل بنفاد صبرٍ ممزوج بالكثير من الحنق:

- "النكرومانسر"؟ أنا لا أستطيع إيجاد القلادة، لقد بحثت مرارًا عن ترتديها ولكنني لم أجدها في أي من الممالك أو الجزر المجاورة!

قال ساحر النور الأعظم بصرامة:

- إنها في مملكة بيورين. اذهب إليها ستجدها تعمل بالحانة التي في القرية، يجب أن تقنعها بالسفر عبر الزمن.

اندهش مراد من معرفة كيرال لمكان لومينا فقال بعصبية:

- هل كنت تعلم طوال تلك المدة ولم تخبرني؟ ألم تشفق على قلبي المفطور؟

- صدقني أنا لم أرغب أن...

كاد ساحر النور الأعظم يكمل جملمته ولكنه لم يفعل أبدًا لأن هناك ثقبًا أسودَ ظهر من خلفه خرج منه رجلٌ ملثم يرتدي سترة جلدية بلا أكمام تُظهر عضلات ذراعيه المفتولة. توهج جسد مراد بالنيران المميزة لسحرة النور ثم خرجت من يده كرة نارية بيضاء على الاستعداد للانطلاق ناحية الرجل الملثم. لم يستطع مراد فعل أي شيء لأن مادة من الظلام خرجت من جسد الملثم ثم ابتلعت ساحر النور الأعظم الذي لم يمتلك قوى سحرة النور لأنه ليس على قيد الحياة من الأساس!

أطلق مراد الكرة النارية باتجاه الملثم فتفادها الأخير وهو يطلق واحدةً تشبهها فاتجهت إلى الأول بسرعةٍ لتدفع به إلى الخلف فاصطدمت رأسه بإحدى شواهد القبور وسقط مغشيًا عليه.

اقترب الملثم من مراد ثم نظر إليه بعينين تقدحان بالشر. تأمل وجه مراد وهو ينحني ثم اقترب من أذنه ليهمس قائلاً:

- والآن، فليبدأ المرح!

لم ينطق بكلمةٍ أخرى لأنه فتح ثقبًا أسودَ ثم غادر تاركًا مراد على الأرض. فتح مراد عينيه بعد دقائق قليلة فداهمته موجة من الألم الحاد في رأسه. حاول جاهدًا الاعتدال في جلسته ثم تحسس مؤخرة رأسه ونظر إلى يده فرأى القليل من الدماء. ظل يبحث بعينيه حوله عله يرى ساحر النور الأعظم ولكنه اختفى، حتى الملثم لم يعد له أثر. نهض بصعوبة فشعر بالدوار وكاد يفقد اتزانه ولكنه ثبت قدميه في الأرض حتى لا يقع ثانيةً.

صاح قائلاً:

- كيرال! أين أنت يا ساحر النور الأعظم؟

لم يُجِبْهُ سوى الصمت الذي جعله يشعر باليأس؛ لذا فتح ثقبًا أسود دخل فيه إلى جناحه. مضت دقائق قليلة حتى أتى الطبيب وضمّد جرحه ثم غادر ليتركه مع نائبه الذي قال فور دخوله:

- هل أنت بخير جلالتك؟ ما الذي حدث بالضبط؟

أجابه مراد:

- لقد تعثرت ثم سقطت فارتطمت رأسي بإحدى شواهد القبور عندما كنت أزور قبر والدتي.

نظر إليه السيد "إياس" بريب، ولكنه قال على الرغم من عدم تصديقه:

- حسنًا، الجيد في الأمر هو أنك بخير.

لم يرغب مراد في الإفصاح عما حدث بالمقابر لنائبه فهو لم يثق بأحد ممن يعيشون معه بالقصر. قال السيد إياس وهو ينظر بارتباك في وجه مراد:

- هناك شيء غريب يحدث للتربة يا سيدي!

تطلع مراد إلى وجهه العبوس وهو يفكر فيما سمعه. انتظر التوضيح من نائبه الذي أضاف قائلًا:

- هناك سائل أسود يخرج من التربة وكأنها تنزف دماء جلالتك، ولكن هذا ليس هو المرعب في الأمر بل ما اكتشفه المزارعون هو المثير للفرع. لقد أخبروني أنهم عثروا على ثعابين سوداء صغيرة

الحجم كالديدان بداخل المحاصيل. لم أصدق بالطبع فذهبت بنفسني إلى القرية لأتحري الدقة في كلامهم. لقد ضدمت عندما اكتشفت أنهم لم يكذبوا جلالتك.

حدجه مراد بنظرات الشك والقلق! إن هذا لا يعني سوى شيئًا واحدًا؛ ستحدث مجاعة في المملكة! انتظر نائب الملك أن يخبره مليكه بالخطوة القادمة، ولكنه تفاجأ عندما أمره بالانصراف!

غادر نائب الملك الجناح تاركًا مراد وحده يفكر فيما سيفعله في الأيام القادمة. كان أول ما يرغب في فعله هو الذهاب إلى الكهف للبحث عن كتاب "عين الإعصار" حتى يقرأه. فكر في الرجل الملمم وفي المادة المظلمة التي خرجت من جسده ثم ابتلعت كيرال! إنها المرة الأولى التي يشهد فيها شيئًا كهذا.

تذكر ما قاله كيرال عن مكان لومينا فتعجب كثيرًا. لم يتوقع أنها سترحل إلى المملكة الوحيدة التي من المحتمل أن يتواجد فيها. ألم تخش أن تراها بيدي؟! ألم تخش أن يقابلها صدفة هناك؟ دارت أسئلة كثيرة في عقله، ولكنه تجاهلها عندما فتح ثقبًا إلى الكهف وهو يحاول جاهدًا لأن يحتمل الألم الذي يضرب مؤخرة رأسه كالمطرقة.

عندما خرج من الثقب وقعت عيناه على الجسد الجالس على الأرض يتنفس وهو ينظر بعينين خاويتين أمامه وكأن الحياة انثزعت منهما نزعًا. اقترب منه وظل ينظر في عينيه البضاوين اللتين خلا منهما البؤبؤ المميز للجنس البشري، ثم وضع كلتا يديه على جبينه فابيضت عيناه موله.

إنه يرى أنس يحلق بعيدًا في متاهة الزمن وهو يتسم كالأبله.

عندما لاحظته أنس لم يقترب منه بل تجاهله وظل يحلق في متاهة الزمن التي طار فيها بلا جناحين. ظل مراد يبحث عن كيرال ولكنه لم يعثر عليه؛ لذا اتجه إلى أنس وقال بعبوس:

- ما الذي تعرفه عن كتاب "عين الإعصار"؟

توقف أنس عن التحديق في متاهة الزمن ثم استدار إلى مراد واقترب منه قائلاً بوجه مكفهر:

- وما الذي تعرفه أنت عن نهاية الزمن؟

تفاجأ مراد بسؤاله كثيرًا، فسأل بدوره:

- كيف عرفت؟

اندفع أنس نحو مراد ثم قال:

- احذر من "الناريت" يا ساحر النور!

عقد مراد حاجبيه استغرابًا لما يقوله أنس، ثم قال:

- ما الذي تتحدث عنه يا هذا؟

نظر أنس إلى مراد بعين يملؤها التحدي، ثم ضحك بصوت عالٍ وقال:

- كيف حال لومينا؟

لم يرد مراد، فتحدث أنس بالنيابة عنه:

- تخبرني ملامحك أن لومينا هجرتك ورحلت، أليس كذلك؟

يعلم مراد أن قواه لن تعمل في متاهة الزمن ولكنه شعر بالغضب

كثيرًا؛ لذا سأله مجددًا متجنبًا الحديث عن لومينا:

- ما الذي تعرفه عن "عين الإعصار"؟

نظر له أنس بعبوس ثم قال بجدية:

- أين كيرال؟ ما الذي حدث له؟

- لِمَ لا تجيب عن أسئلتني، وسأجيب عن سؤالك بدوري؟

ابتسم أنس ببطء ثم قال:

- مفاوضة؟ أنا لا أتفاوض!

أدرك مراد أنه لا طائل من التحدث مع أنس فغادر متاهة الزمن ثم عاد وعيه إلى الواقع ليبحث عن كتاب "عين الإعصار" في الكهف.

يوم الموتى

كانت الحانة في ذلك اليوم مكتظة كبرميل امتلأ بالأرز فاض عن آخره لتتساقط حباته على الأرض. يحتسي الحراس وأصدقاؤهم الخمر غير مباليين لذهاب العقل وألم الرأس الذي سيعانون منه بعد قليل. ها هي ذي الشمس تغيب على استحياء، وها هو ذا الليل كالملوك يزحف متبخترًا! ظللت أقدم الحساء إليهم بمساعدة أسيليا التي أصبح وجهها كلون الدم بسبب شدة الحرارة في الحانة.

جلس تولاي على إحدى الموائد بصحبة خمسة من الحراس المخمورين يتسامرون تارة وتتعالى ضحكاتهم تارة أخرى، في حين تتردد ألحان الموسيقى الهادئة في الحانة فتراقص البعض على أنغامها وكأنهم يحتفلون بالأحياء وليس الأموات! وقفت أنظر إليهم بذهن شارد أفكر في الحلم الغريب الذي راودني بالأمس. من كانت تلك الفتاة المسلسلة؟ وما سر توهج قلادتي مؤخرًا؟ هل من جلس على العرش الأسود هو النكرومانسر؟ ألم يغلق مراد العقب المؤدي إلى بوابة مملكة الجحيم؟ ألم تنته المعركة؟ هل سيعود النكرومانسر مجددًا؟ أسئلة كثيرة دارت في ذهني ولكنني لم أجد لها إجابات.

تعالى أصوات الضحكات في أرجاء الحانة، ولكن ما أثار انتباهي حقًا هو أحد الحراس عندما قال بخبيث:

- ألن تعترف لها يا تولاي؟ أراهنك أنها تنتظرك الآن!

لم أفهم ما الذي يعنيه الحارس أو عمن يتحدث. حاول تولاي أن يكتم الكلام الذي ينبعث من فم صديقه عندما وضع يده على ثغره

قائلًا بحرج:

- هذا الفم المخمور يتفوه بأشياء عجيبة الآن، أليس كذلك يا صديقي؟

ضحكت أسيليا ثم قالت وهي تغمز بعينها:

- أوافق مع صديقك يا تولاي، فنحن الفتيات نحتاج إلى أن يتخذ العاشق لنا الخطوة الأولى، فلا تتوقع أن تأتي المسكينة زاحفة إليك لتخبرك أنها تتألم من فرط العشق.

لم أتمالك نفسي من الابتسام ولكن سرعان ما اختفت ابتسامتي عندما شاهدت شيئًا غريبًا! جلس رجل يرتدي عباءة سوداء وحيثًا في ركنٍ بعيدٍ من أركان الحانة، كانت ملامحه مخفية أسفل غطاء الرأس فلم أشاهد وجهه. انتفض قلبي هلعًا في صدري فهو يذكرني بالرجل ذي العباءة السوداء بالقصر الذي اكتشفت في النهاية أنه لم يكن سوى شقيقي. إنه ينظر نحوي.. ارتعشت أوصالي من الخوف والبرد معًا وكأن أحدهم أسقط دلوًا ممتلئًا بالعلاج فوق رأسي. كان جسدي ينتفض وأنا أنظر إليه وأشباح الماضي تتحرك حولي لتعيد مشاهد الدماء والجثث المحترقة الملقاة هنا وهناك في القصر الملكي. تساقطت دموع الخوف والألم على وجنتي وأنا أنظر إلى الرجل الذي يجلس ساكنًا لا يتحرك وكأنه يراقبني. هل كانت أُمي صديقة عندما أخبرتني أنها رأت أنسًا؟ لقد ظننت أنها جن جنونها ولكنه يجلس أمامي الآن ينظر نحوي على الأغلب!

تبادلنا النظرات لفترة وجيزة من الزمن عندما رأيت تولاي قادمًا نحوي يقول وقد ارتسمت على ثغره ابتسامة بلهاء:

- هذه الزهرة من أجلك.

قطبت جبيني وأنا أنظر إليه باستغراب ثم نظرت خلفه لاكتشف أن الرجل ذو العباءة السوداء اختفى! انطلقت خارج الحانة مسرعة أنظر يمينًا ويسارًا ولكنني لم أعر عليه. إن ما يحدث لي غريب ولا يبعث على الراحة أبدًا.

خرج تولاي من الحانة وهو يقول:

- لومينا؟ هل أصبتك بالحرّج؟ معذرةً فأنا لم أقصد أبدًا، لقد رغبت فقط في إهداء هذه الزهرة إليك لأنك كنت...

قاطعته قائلةً:

- هل رأيت رجلًا يرتدي عباءة سوداء اللون تغطي ملامح وجهه منذ قليل؟

نظر إليّ بحيرة، ولكنه أجاب على كل حال:

- نعم، لقد كان يجلس في ذلك الركن البعيد من الحانة.

لقد رآه مثلي.. لم أكن أحلم! ابتلعت ريقِي ثم بدأت أتنفس بصعوبة حتى شعرت أن العالم بأكمله يدور من حولي، مما جعل تولاي يقترب مني استعدادًا للإمساك بي في أي لحظة سأفقد فيها وعيي! لم أكن أفكر في شيء سوى أن أبشع كوابيسي كانت تتحقق. لقد هرب أنس من الكهف، فهل سيحاول فتح البوابة ثانيةً ليعبر النكرومانسر وجيشه؟ هل هذا هو ما سأعيشه في الأيام التالية؟ كابوس آخر؟ لم أنتبه إلى أن تولاي ما يزال قريبًا مني إلا عندما قال:

- لومينا، هل تسمعينني؟ هل أنت بخير؟

ابتعدت عنه على الفور لشعوري بالإحراج الشديد ثم قلت بخجل:

- نعم، أنا بخير. معذرة، سأذهب الآن.

تركته واتجهت بسرعة إلى الحانة لأحضر حقيبتني استعدادًا للرحيل، ولكن السيد أرسين اعترض طريقي بنظرات متساءلة ثم قال:

- هل تدركين أن اليوم هو الوحيد الذي نجني منه الأموال الكثيرة طوال العام؟

لم أكن على استعداد أبدًا لسماع سخافته هذه فقلت له بنفاد صبر:

- يجب أن أذهب إلى المقابر لزيارة عائلتي.

اقترب مني بجسده الضخم ثم قال بغیظ:

- هل تمزحين معي؟ إن أجساد عائلتك تتعفن في مقابر مملكة الشمال!

احتشد الدم في رأسي، ولكنني قلت وأنا أحاول أن أبدو هادئة:

- ومن أخبرك بهذا؟

- أخبرتني أسيليا.

نظرت إلى أسيليا الواقفة في أحد الأركان تستند بظهرها على الحائط وساعديها معقودين معًا تنظر لي بتحدٍ وعلى مَحياها ارتسمت ابتسامة سمجة جعلتني أنظر إليها وأنا أتخيل نفسي أمزقها

إربًا كما يمزق الذئب فريسته!

قلت للسيد أرسين بهدوءٍ مصطنع:

- بالطبع أخبرتك أسيليا التي تأتي إلى الحانة متأخرة كل يوم.

اعتدلت أسيليا في وقفاتها ثم قالت بعصبية:

- إنها كاذبة! ما دليلك؟

قال السيد أرسين وهو يصيح بوجهينا:

- اسمعاني جيدًا، من الآن فصاعدًا سثراقبان، ومن تفعل أي شيء

لا يعجبني سأخضم الكثير من راتبها.

قلت باستنكار:

- تتحدث وكأنك تدفع لنا آلافًا من العملات الذهبية حتى تخضم

منها الكثير!

اقترب السيد أرسين مني، وقال بصوتٍ منخفض:

- إن لم يعجبك العمل هنا، بإمكانك الخروج من ذلك الباب.. إنه

ينتظر رحيلك.

إنه يعلم أنني لا أجيد فعل أي شيء سوى طهي الحساء، بل يعلم

أن والدتي المريضة لم تعد تعمل كما كانت في السابق وأنني من

أنفق عليها كما أنني بحاجة إلى المال. نظرت إلى أسيليا بامتعاضٍ

ثم اتجهت إلى المطبخ لمباشرة عملي فيه ونيران الغضب تتأجج

بداخلي كالبركان.

انتهيت من إطعام المغمورين الذين ما إن انتهوا من الحساء حتى نهضوا يترنحون وهم يغادرون الحانة، ثم اتجهت إلى الخارج. فوجئت بتولاي جالسًا على إحدى الحجارة ولكنه نهض فور رؤيتي وقال بتعب:

- هل ستأتين معي إلى المقابر للاحتفال بيوم الموتى؟

لا أدري لماذا وافقت بهذه السرعة، ربما حزنت لرؤية محاولاته المستميتة لدعوتي للتسكع معه؟ سرّث معه إلى المقابر يصاحبنا الصمت الثقيل فلم ينطق أحدنا بكلمة. ما إن وقفنا عند المقابر حتى سرت قشعريرة في جسدي لرؤية ذلك الاحتفال الذي لم نكن نحتفل به في مملكة الشمال. تجمهر جمعٌ من القرويين أمام شواهد القبور يشعلون مصابيحًا يمسكون بها، ومنهم من يضعها بجانب الشواهد في مشهدٍ مرعبٍ غير مريحٍ أبدًا، ولكن ما أثار هلعي حقًا هو أصوات ترانيمهم التي أخافتني بشكلٍ كبير. استدرت لأرحل لأنني لم أحتمل تلك الترانيم، ولكن تولاي اقترب مني كثيرًا وهو ينظر إلى قلادتي قائلاً:

- ما بال قلادتك؟ إنها تتوهج كالنجوم!

أمسكت بقلادتي لأخفي وهجها، ولكن هيهات! توهجت القلادة أكثر فأكثر في حين ازدادت ضربات قلبي مع كل همهمة أسمعها تصدر من المحتفلين بموتاهم عند القبور.

عاد تولاي يسألني:

- لومينا، ماذا هناك؟ ولماذا تتوهج قلادتك هكذا؟

لم أجبه لأن أجراس السماء عادت مرة أخرى يتردد صداها في الأفق فقلت على الفور:

- أخبرني أنك تسمعها!

قطب جبينه ثم قال:

- أسمع ماذا؟ أنا لم أسمع شيئًا!

علت أصوات الأجراس القادمة من السماء وكأن من يقرعها يحاول تحذيري من شيء ما. انتفضت في مكاني عندما علت أصوات الأجراس لدرجة كادت تصيبني بالصمم.

استدرت قائلة لتولاي:

- إن الأجراس قادمة من...

لم أكمل جملتي لأن تولاي اختفى تمامًا. التفث كالمجانين يمينًا ويسارًا من حولي وأنا أنادي بصوت عالٍ عليه يسمعي. نظرت إلى المقابر فوجدتها فارغة إلا من شواهد القبور! أين ذهب الجميع؟ ولماذا عم الهدوء والظلام المخيف المكان؟ نبض قلبي في حلقي من فرط الرعب والهلع. عادت أجراس السماء تُقرع مجددًا ولكنها تُقرع بقوة وبجنون هذه المرة. استدرت عندما شعرت أن هناك شخص يقف خلفي! وقف الشخص الغريب الذي رأيته في الحانة بجانب إحدى شواهد القبور. إنه الرجل ذي العباءة السوداء يقف هناك في المقابر ينظر لي وكأنه يتحدثني لملاحقته!

تراجعت بضعة خطوات إلى الخلف وأنا ألث من فرط الخوف. استدار الرجل ثم سار بين شواهد القبور وكأنه يريدني أن أتبعه،

وعلى عكس المتوقع تَبَغُّثُه بالفعل. سرت إليه لا أبالي شيئًا، لأنني رغبت في معرفة حقيقته، أو ربما تمنيت أن يكون أنس!

ارتفعت أصوات الأجراس وكأنها تحذرنني من الاقتراب ولكنني تقدمت منه كالمسحورين حتى لم يفصل بيننا سوى بضعة خطوات قليلة. بيد مرتعشة أمسكت قلادتي التي ربما إن نظرت إليها مباشرة لأصابني توهجها بالعمى. أزاح الرجل ذو العباءة السوداء غطاء رأسه ببطء فأصبحت ملامح وجهه واضحة. لم يكن أنس أو مراد! إنه رجل طويل مفتول العضلات له شعر بني وبشرة حنطية لامعة. اتسعت عيناه البنيتان دهشة عندما نظر خلفي فالتفت لأنظر بدوري لأجد رجلًا ملحمًا بلحاح أسود يقف خلفي مباشرة. وضع ذراعه القوية المفتولة عضلاتها حول عنقي وهو يتراجع إلى الخلف.

قال الرجل الغريب ذي العباءة السوداء:

- أفلتها الآن وإلا كانت العواقب وخيمة.

ارتفعت أصوات الأجراس ثانية فاضطربت نبضات قلبي الذي راح يدق بقوة إلى تلك الدرجة التي جعلتني أتألم. حاول الملحم أن ينتزع القلادة مني ولكنها أطاحت به إلى الخلف عدة أمتار عنا فأتجهت إلى الرجل ذي العباءة السوداء وكأنني ألتمس منه الحماية.

نهض الملحم من على الأرض ثم نظر لي بغضبٍ واتجه ناحيتي غير مبالي بحقيقة وجود الرجل ذي العباءة السوداء أمامي لحمايتي. خرجت حزم ضوئية زرقاء اللون من يد الرجل الغريب اتجهت إلى الملحم ولكنها بدلًا من أن تكبله عادت أدراجها إلى الأول فكبلته! اتسعت عيناى رعبًا عندما رأيته يتلوى على الأرض من الألم وكأن

الحزم الضوئية تحرقه. نظرتُ إلى الملمع الذي تقدم مني وعيناه
تقدحان بالشر فأمسكت بقلادتي التي تتوهج كثيرًا ثم تراجعت إلى
الخلف وقلبي ينبض هلعًا!

اقترب مني للغاية فابتلعت ربقي وما زالت يدي تمسك بالقلادة
فتحولت نظراته إليها ثم قطب جبينه وكأنه لم يفهم سبب توهجها
أو دفعه إلى الخلف عندما حاول إمساكها، وعلى حين غرة منا ألقى
الرجل ذو العباءة السوداء بكرة نارية اتجهت إلى ظهر الملمع ولكنها
لم تفعل له شيئًا سوى إثارة غيظه! استدار وهو يرفع يده إلى السماء
لتستجيب له السحب المظلمة التي سارت في الهواء وهي تتشكل
على هيئة ثعبان ضخم تتخللها صواعق البرق المخيفة. اتسعت
عيناي دهشةً لذلك المشهد الغريب الذي لم يسبق لي رؤية مثيلاً له
من قبل!

كان المشهد أشبه بإعصارٍ شديد وقوي يدور حول الرجل ذي
العباءة السوداء فراحت السحب تلف حوله وكأنها تحاول اعتصار
جسده. تراجعت إلى الخلف وأنا أرتجف هلعًا من الخوف. تقدم مني
الملمع ثانيةً فخارت قواي وجلست على الأرض ممسكةً بقلادتي
وأنا أبكي من الخوف أنادي على أنس دون وعي مني. توقف الملمع
لبرهة عندما سمع اسم أنس ولكنه تقدم مني ثانيةً ثم أمسك بعنقي
ليرفعني بيد واحدة فأصبحت معلقة في الهواء وأنا أختنق. لم
أستطع التنفس وهو يحكم قبضته حول عنقي في حين توهجت
قلادتي كثيرًا، ولكنني تفاجأت عندما سمعت صوت أنين يصدر منها!
أشعر بالدوار وأني سأموت لا محالة. سمعت أصواتًا غريبة تصدر

من حولي ثم رأيت شواهد القبور ترتفع عن الأرض متجهةً إلى الملمم
الذي أفلتني من قبضته على الفور ليتفادها ثم فتح ثقبًا أسود دخل
فيه واختفى. وقعت على الأرض وفقدت الوعي، ولكنني سمعت
صوت أنثى تهمس باسمي قبل أن أغلق عيني!

النبته الفاسدة

استغرق البحث عن كتاب "عين الإعصار" نحو الساعتين ولكن دون جدوى! جلس مراد على إحدى الصخور وهو يلتقط أنفاسه ثم وضع يده على مؤخرة رأسه التي تؤلمه بشدة يتحسس الجرح. شرد ذهنه إلى الرجل الملعن الذي لم يعرف من أين أتى أو ما الذي فعله بكيرال وأين أخفاه، ثم لاحت في عقله صورة لومينا بابتسامتها الساحرة وداعبت مخيلته فانتشلتته من أفكاره التي كانت تترنح في عقله كالسكاري، فهو يتذكر ملامحها وكأنها تقف أمامه الآن. تأجج شعور الغضب في قلبه طوال العام الماضي، ولكن مشاعر الاشتياق والحب الآن هي من تسلمت زمام الأمور بعد أن أخبره كيرال عن مكانها.

لم يخبره كيرال عن مكان كتاب "عين الإعصار"، لذا جرب حظه في البحث عنه هنا في الكهف ولكنه لم يتوصل إلى أي شيء. نهض من مكانه ثم فتح ثقباً أسودَ ليعود إلى القصر فتفاجأ بنائبه الذي أمسك برسالة في يده وعلى وجهه أشد ملامح القلق. اتجه مراد إليه وأمسك بالرسالة ثم فتحها بوجه عبوس ليقرأ بصوت عالٍ:

- "من مملكة الشرق إلى مملكة الشمال، تحية طيبة وبعد،

نكتب إليكم لنحيطكم علماً بأن هناك شيئاً غريباً يحدث في سمائنا! لقد أقسم عدد من البحارة أنهم شاهدوا وحوشاً تطير حول القمر الذي أصبح متوهجاً لدرجة غريبة لم نشهد لها مثيلاً من قبل، كما أن السفن المتجهة إليكم لم يعد البعض منها حتى الآن. نحن نعلم أن جلالتم واحد من سحرة النور، وندرك ما حدث لمملكتكم المعظمة في العام الماضي في معركة الثبلاء، وإننا لنخشى أن يتكرر الأمر

ثانية".

نظر مراد إلى نائبه، ثم قال ولم تفارق نظرة العبوس وجهه:

- ما هذا الهراء؟ هل يشير بأصابع الاتهام إليّ؟

لم يُجبه السيد إياس فهو على وشك الانفجار فيه بسبب إخفائه لأشياء غريبة تحدث معه مؤخرًا كالجرح في مؤخرة رأسه واختفائه غير المبرر أبدًا في الآونة الأخيرة داخل العقوب السوداء التي كانت تثير رعبه كثيرًا. ألقى مراد بالرسالة على الأرض بعد تمزيقها إلى قصاصات صغيرة وتجاهل نائبه ثم اتجه إلى غرفته.

جلس على فراشه يفكر في تلك الرسالة الغريبة التي أتت من مملكة الشرق. عن أي وحوش يتحدثون؟ هل القمر الذي يظهر فوق سماء مملكة الشمال مختلف عن ذلك الذي ينير سماء مملكة الشرق؟ لقد كان بحاجة إلى من يجيبه عن تلك الأسئلة، ولكنه تذكر أن كيرال لم يعد هنا في عالمهم. استلقى على فراشه محاولاً أن ينفذ تلك الأفكار عن عقله ولكنه لم يستطع، فنهض من فراشه واتجه إلى أعلى البرج. فتح ثقبًا أسود لتلك اللحظة التي كانت لومينا تجلس فيها وهي تراقب السفن، ثم جلس بجوارها.

إنها المرة الأولى التي يقترب منها هكذا منذ عام، إنها لا تراه لأن ساحر النور يستطيع إخفاء نفسه عن حوله أثناء السفر عبر الزمن إن أراد، ولهذا السبب جلس بجوارها غير مبالي لأي شيء. نظر إليها بعينين حزينتين لفترة طويلة، ولكنها فاجأته عندما نظرت إليه بدورها! اتسعت عيناه دهشة وتسارعت ضربات قلبه هلعًا، ولكنه لم يتحرك قيد أنملة. تأملت وجهه وكأنها تراه، ثم ابتسمت تلك

الابتسامة التي زادت من ضربات قلبه على إثرها. لم تَرَهُ بالطبع، ولكنها فقط كانت تنظر بجانبها ليصبح الأمر برمته مجرد مصادفة حزينة ليس إلا. اقترب منها أكثر وكاد يلمسها ولكنه تراجع في اللحظة الأخيرة ثم نهض وفتح ثقبًا إلى جناحه ثانية.

بمجرد ما أن خرج من الثقب فوجئ بشقيقته وهي تقف أمامه! ضيق عينيه وهو ينظر إليها باستغراب، فكان يتساءل في قرارة نفسه عن كيفية دخولها إلى جناحه وهو من أغلقه بالمفتاح قبل رحيله! وقفت أمامه غاضبةً وهي تمسك بخطابٍ في يدها. اقترب مراد منها ثم قال بريئة:

- ما هذا؟

كانت نظراتها توحى بأن هناك كارثة على وشك الحدوث. نظرت إليه بعبوس وهي تقول:

- ألم تتعرف عليه؟

- كيف دخلتِ إلى هنا؟ لقد كان الباب مغلقًا ومفتاحه معي!

ابتعدت عنه شيرين واتجهت إلى الشرفة لتنظر إلى القمر في السماء، ثم قالت بوجه خالٍ من أي تعبير:

- لقد كذبت عليّ طوال العام الماضي! رأيتني أبكي اشتياقًا له في كل ليلة ولكنك لم تتحلّ بالشجاعة الكافية لإخباري.

خمن مراد ما ترمي إليه، ولكنه حاول تصنع الغباء عندما قال مغتصبًا ابتسامة كاذبة:

- إخبارك ماذا يا عزيزتي؟

استدارت وهي تنظر إليه بعينين مغرورقتين بالدموع ثم قالت:

- ألا تعرف حقًا؟ لقد أخفيت حقيقة القاتل طوال عام كامل لتحمي تلك الطاهية، أليس كذلك؟

تحاشى مراد النظر في عينيها وهو يقول:

- لقد اضطررت إلى إطلاق سراحه.

انفجرت شيرين والدموع تنهمر على وجنتيها:

- اضطررت؟! هل تعني أنك أطلقت سراحه لأنه الحل الوحيد في حين قتله لم يكن خيارًا متاحًا؟ هل هذا ما تعنيه؟

- أنت لا تعين شيئًا يا شيرين، لقد...

صاحت شيرين بصوت عالٍ:

- لقد ماذا؟

بدا مراد وكأنه طفلٌ صغير يُعاقب على ما ارتكبه في حقها. أردفت

شيرين:

- ذلك القاتل هو شقيقها، ذلك القاتل هو من قتل عائلتنا بدمٍ باردٍ،

ذلك القاتل حر طليق لأنك شخص جبان لم تتحل بالشجاعة الكافية للقصاص منه!

ساد الصمت بينهما ثقیلاً لبرهة، تنهد مراد وهو يحاول الاقتراب

منها قائلاً:

- لقد كان قويًا للغاية، لم أكن لأجرؤ على قتله دون أن يقتلني بدوره، لم أتركه لأنه شقيق الفتاة التي ظننت أنني أحبها، بل على العكس تمامًا؛ لقد حاولت قتله مرارًا وتكرارًا بعد رحيلها ولكنني أخفقت!

صاحت بغضب:

- كيف تجرؤ على الكذب الآن؟

- أنا لا أكذب، لقد سجنته في متاهة الزمن، ولكن بعد رحيلها حاولت كثيرًا أن أقتله ولكنني فشلت، هذه هي الحقيقة.

ابتسمت شيرين بسخرية ودموعها لم تجف، ثم قالت:

- أنت وغذ حقير، لا تستحق أن تعيش!

قبل أن ينطق مراد بحرف، فوجئ عندما أخرجت شقيقته بخنجر غريب الشكل من جيب عباءتها وهي تندفع نحوه وهي تصرخ قائلة:

- وغذ حقير!

قبل أن تغرس النصل في صدره أمسك بيدها غير مصدق لما يحدث، ثم قال بذهول:

- هل تكرهيني إلى هذه الدرجة؟

قالت وهي تذرف الدموع أنهارًا:

- أنت السبب في انهيار كل شيء، لقد فقدنا الكثير لأنك كنت مختلفًا عنا طوال الوقت!

حاول مراد أن يحرر النصل من يدها ولكنها كانت قوية بشكل غريب فلم يتمكن من انتزاعه منها، وكأنها تستمد قوتها من كرهها له.

قال بامتعاض:

- لماذا؟ أنا لم أفعل شيئًا أستحق عليه الموت!

انفجرت فيه:

- لم تفعل شيئًا؟ بل أنت المتسبب في كل شيء!

صمتت للحظات وهي تحاول أن تغرس النصل في رقبتة، ثم استطردت:

- أنت البذرة الخبيثة التي غرسها ذلك الساحر منذ سنواتٍ عندما حملت فيك والدتي.. أنت النبتة الفاسدة التي طرحتها أُمي وابتلانا بها الإله.. أنت من تسببت في مقتل عائلتي ومقتل حبيبي الذي لم أعشق سواه.

أردفت وهي تنتحب:

- أنت من استوليت على العرش لأن تلك العاهرة أقنعت الشعب وقتها بتولييك للسلطة.. يا لك من مخادع يا مراد، ويا لنا من حمقى لأننا صدقناك طوال عام كامل!

تاهت الكلمات في حلق مراد فلم يعرف بماذا يعلق على كلامها المسموم. استأنفت شيرين كلامها:

- اتضحَت الصورة الكاملة الآن، فكل اعتراضاتك على اقتراحات النبلاء كان من أجلها، والمضحك في الأمر هو رحيلها عنك وتركها

لك.. هل تسمعي؟ حتى هي لم تُطق العيش بجانبك، أتدري لماذا؟
لأنك مسخٌ يا مراد.. أنت مسخٌ حقير ينفر المرء منه.

حاولت شيرين أن تخترق رقبة مراد بالخنجر ولكنه حاول جاهداً أن يبعده عنه، فكان الآن يلوح فوق كتفه ثم إلى عينيهِ المذعورة. حاول مراد كبح جماح قوته حتى لا يزيد الطين بلة ولكنه أدرك أنه لا بد من تحريرها الآن. توهج جسده بالنيران فتراجعت شيرين إلى الخلف بيد مرتعشة تسببت في سقوط الخنجر على الأرض. خفت وهج جسده ولكنه فوجئ بمن يضع ذراعه المفتولة عضلاتها حول رقبتِه ضاغظاً عليها فكان يختنق وهو ينظر إلى شقيقته التي وقفت أمامه تنظر إليه ببرود قاتل! حاول إخراج كرة نارية من يده ولكنه فشل فشعراً بالذعر!

قال الرجل:

- لا تحاول، فلن تتمكن من التملص من قبضتي أيها المسخ!

ضغط الرجل على عنق مراد الذي حاول فتح ثقباً أسود ودفع نفسه فيه ولكنه فشل ثانية، نظر مراد إلى شيرين يترجاها لمساعدته قائلاً:

- شيرين، أنا شقيقك!

قالت وعيناها مليئتان بالغضب:

- لا، لست شقيقي بعد الآن، لقد ماتت عائلتي العام الماضي ولم يعد لي سوى الأطلال.

ذهل مراد من الموقف برمته فلم يتمكن من التفكير في التصرف

الصحيح لهذه المعضلة. قال الرجل ضاغظًا على كل كلمة تخرج من
ثغره:

- سنتوجه الآن إلى المكان الذي حبست فيه القاتل الذي أحرق
مملكنا في العام الماضي!

لكمه مراد في بطنه مستخدمًا كوعه فأرخى الرجل قبضته ليتحرر
الأول بسهولة ويتوهج جسده بالنيران. تلوى الرجل من الألم ولكنه
حاول التغلب على شعوره هذا عندما انتصب ثانية. أدرك مراد أن
ذلك الرجل قاتل مأجور استعانت به شقيقته لقتله ولكنها ترغب في
معرفة مكان أنس قبل أن تفعل.

صاح مراد في الحراس عليهم يسمعون:

- أيها الحراس، إنها خائنة ترغب في قتل الملك!

لم يتأثر الحراس بما قيل لهم، بل ظلوا واقفين أمام الجناح فهذا
أمر اتخذ من قبل ولن يقبل المناقشة. أدرك مراد أنها مؤامرة حيكت
في الظلام كما هددته شقيقته من قبل.

صاحت شيرين في القاتل المأجور:

- لثفقه الوعي الآن.

تقدم القاتل من مراد الذي توهج جسده بالنيران وهو يتراجع إلى
الخلف باتجاه الشرفة. أدرك أن حكمه قد انتهى في هذه اللحظة،
فظل يتراجع إلى الخلف في حين يتقدم منه القاتل بحذر، فهو يشعر
بالخوف بسبب تلك النيران!

فتح ثقبًا أسودَ حاول أن يدلف إليه بسرعة بعدما خفتت نيرانه، ولكن القاتل حاول اللحاق به فأمسك بسترته لإعادته إلى الخلف. دفعه مراد إلى سور الشرفة والأخير يحاول غرس الخنجر الغريب في جسده. أمسك مراد بالخنجر في محاولة منه لإبعاده عنه حتى سقط على الأرض ثم لكم وجه القاتل المأجور بقبضة متوهجة بالنيران فاحترق وجهه على الفور وهو يصرخ بألم. انتهز مراد الفرصة على الفور فدلف إلى الثقب الأسود بسرعة ولكنه ألقى نظرة أخيرة على وجه شقيقته ثم قال:

- أنا أسامحك! العرش طوع أمرك من الآن فصاعدًا، فأنا لم أرغب به في المقام الأول.

خرج مراد من الثقب الأسود إلى الكهف ثم جلس على الأرض يشعر بألم في قلبه، فهي المرة الأولى التي يشعر فيها بالوحدة. كيف تنعته بالنبذة الفاسدة؟ كيف تكرهه إلى هذه الدرجة؟ لماذا تركته لومينا ورحلت؟ هل أحبته حقًا أو أنها كانت تتظاهر؟ هل خشيت أن يقبض عليها مراد أو نائبه إن علموا أنها شقيقة القاتل؟ ترددت كل هذه التساؤلات في ذهنه. رفع نظره إلى الجسد الجالس بلا روح أمامه وتمنى لو أنه قتله حقًا. لقد حاول أكثر من مرة أن يغرس الخنجر في جسده ولكن النصل كان يأبى أن يدخل فيه دائمًا. لا يعلم السبب في عدم استجابة النصل له، ولكنه بات متأكدًا أن قتل أنس سيحتاج الكثير من الجهد.

تطلع مراد إلى وجهه بكرهٍ وغلي لم يشعر بمثلها من قبل فبسببه

خسر كل شيء؛ عائلته وعرشه وحبيبته، أو لم تكن حبيبته؟ تساءل في قرارة نفسه التي شعرت بالغضب أكثر من أي وقت مضى.

أدرك أنه لا بد أن يذهب إلى مملكة بيورين ليخبر بيرى بكل شيء قبل أن يتمكن الحمام الزاجل من زف الأخبار إليها، ولكنه لم يرغب في الذهاب في وضح النهار بل اضطر للانتظار حتى يحل الليل. مضى الوقت ولكنه شعر بالسأم فلم يعد يحتمل أكثر من هذا؛ لذا فتح الثقب ودخل فيه، خرج منه إلى الحديقة فاختماً في تلك البقعة التي اعتاد أن يجلس فيها مع بيرى بعيداً عن أعين الحراس يتناقشون في أسرارٍ وحكايات.

سمع أحد الحراس الواقفين بعيداً عنه وهو يقول إنه سيذهب إلى المقابر الليلة مع عائلته للاحتفال بيوم الموتى، فأدرك أنه يجب أن يتحدث مع بيرى قبل ذهابها إلى مراسم الاحتفال. اتجه إلى أحد الحراس الذين كانوا يعرفونه، فهي ليست المرة الأولى التي يراه فيها، فأنحنى له الأخير واصطحبه إلى القصر.

فور رؤية بيرى شعر مراد أنه يرغب في الانفجار في البكاء كالأطفال دون أن يوقفه أحد. شعرت بيرى أن هناك خطباً ما فلم تكن نظراته توحى بالاطمئنان أبداً؛ لذا أمرت جميع حراسها بالخروج من القاعة. ارتقى مراد على أحد المقاعد بتعبٍ ثم دفن وجهه بين يديه وزفر بقوة قبل أن يقول:

- أنا متعب للغاية يا بيرى.

اقتربت منه بيرى ثم وضعت يديها على وجنتيه بحنانٍ قائلةً:

- وأنا مصغية يا عزيزي.

قَصَّ عليها مراد كل ما حدث في الأيام الماضية وأخبرها كل شيء عن صراعاته مع النبلاء وعن فقدده للسيطرة على غضبه الذي جعل الناس ينفرون منه، ولكنه تعمد ألا يذكر السبب في تحول شيرين هكذا وكرهها له بهذا الشكل حتى يظل السر الذي حاول جاهداً إخفائه عن الكل في طي الكتمان. كان السر هو أنس شقيق حبيبته التي رحلت عنه بجفاء، فإن علمت بيري ستأمر بقتله على الفور لأنه هو الذي قتل شقيقها وهو أيضاً من وضعها في حالة غريبة من السبات الأشبه بالموت. بعدما أخرج مراد ما ب صدره من أحداث ومشاعر مكبوتة بداخله، وقفت بيري وهي تفكر لبرهة، ثم قالت:

- هل تعرف أي شيء عن ذلك الانشقاق في السماء؟

- الانشقاق السماوي هو بداية نهاية الزمن.. ذكرت إحدى الكتب القديمة أنه إن رأيت السماء انشقت فاهربوا وتضرعوا إلى الإله عله يهون عليكم سكرات الموت!

أغمضت بيري عينيها تفكر فيما يقوله مراد، ثم قالت بعد لحظات من التفكير:

- هناك شيء غريب يحدث يا مراد، وأخشى أن الأسوأ سيحدث في الأيام التالية، ولكنني خائفة للغاية بسبب اختفاء ساحر النور الأعظم؛ فهو من كان السبب في انتهاء معركة النبلاء، ولكننا نسير في الظلام الآن بعد ابتلاع تلك المادة المظلمة له!

تنهد بتعب ثم قال:

- هذه حقيقة مؤسفة!

- إذن؟ ما العمل؟ أنت لا تعرف مكان كتاب "عين الإعصار" ولا تعرف من أين ستبدأ.

تذكر مراد أمرًا غاب عن باله ولكنه مهم للغاية فنهض من مقعده وعلى وجهه ارتسمت ملامح الجدية ثم قال:

- هل حقًا توجد حانة في القرية؟

قالت بيرى بترقب:

- نعم، في الواقع إنها الحانة الوحيدة في القرية، إن ذهبت هناك وسألت فستجد آلفًا يرشدونك إليها.

قال مراد:

- سأحتاج إلى ثياب تشبه تلك التي يرتدونها شباب القرية!

سألت بيرى بحيرة:

- لماذا؟

أجابها بحزم:

- لأنني سأذهب إلى الحانة لاسترداد قلادتي.

قلب محطم

فتحت عينيّ فرأيت تولاي ينظر لي بخوفٍ يشوبه الكثير من القلق،
ساعدني على النهوض ثم سألتني:

- لومينا، هل أنت بخير؟ ما الذي حدث؟

نظرت حولي أتفقد المكان فتفاجأت أننا ما نزال في المقابر،
فبحثت بعينيّ عن الرجل الغريب الذي ارتدى عباءة سوداء، أو ذلك
الملثم الذي تذكرت أنه دخل إلى ثقبٍ أسودٍ ثم هرب من خلاله، أو
تلك الفتاة التي سمعت صوتها وهي تناديني قبل أن أفقد الوعي،
ولكنني لم أجد سوى تولاي ينظر لي بنظراتٍ حائرةٍ للغاية.

قلت له وأنا أتحاشى النظر إليه:

- لقد شرد ذهني وأنا أتجول في المقابر بين المحتفلين بيوم
الموتى ثم شعرت أنني أفقد اتزاني حتى فقدت الوعي ولا أدري
السبب!

عقد تولاي حاجبيه ونظر لي باستنكار ثم قال:

- ولكنك لم تتحركي! لقد كنتِ تقفين بجانبني تتحدثين عن أصوات
غريبة تأتي من السماء وسألتني إن كنت سمعتها أو لا، وحينما
أخبرتكِ أنني لا أسمعها رأيت قلاذك تتوهج كثيرًا ولكنك اختفيتي
بمجرد ما أن أمسكتها!

قطبت جبيني وأنا أسأله:

- اختفيت؟ هل تمزح معي؟

- لا أمزح، بل هذا حقًا ما حدث، لقد اختفيتي عندما أمسكت
قلادتك التي كانت تتوهج كثيرًا.

نظرت إليه بريب ثم قلت:

- إن كنت اختفيت، فلماذا أنا هنا الآن؟

قال بنظرات حائرة:

- بحثت عنك في المقابر بعد اختفائك كالمجانين ولكنني رأيتك
ممدة على الأرض فجأة بعد فترة من بحثي!

- ألم تر رجلًا يرتدي عباءة سوداء أو شخصًا ملثمًا؟

عقد تولاي حاجبيه للمرة الثانية، ثم سألني:

- ما الذي تخفيه عني؟

قلت بتعجب:

- لا أخفي عنك شيئًا يا تولاي، أنا متعبة للغاية وأرغب في العودة
إلى كوخنا.

اغتنب تولاي ابتسامة ثم قال:

- حسنًا، سأصطحبك إليه فأنا لن أشعر بالارتياح إن ذهبت وحدك.

ابتسمت ابتسامة حزينة ولا أدري لماذا يحتل الحزن قلبي كلما
نظرت إليه. سرّث معه إلى الكوخ وهو ينظر لي بين الحين والآخر
ثم يبتسم تلك الابتسامة التي تذكرني بشقيقي كثيرًا عندما تتلاقى
أعيننا؛ لذا اغرورقت عيناى بالدموع عندما تطلعت إليه. اعتلت

نظرات القلق وجهه وهو يقول:

- لماذا تبكين كلما نظرت إليّ؟

يا للسخرية! أليس هذا هو السؤال الذي أسأله لنفسي كلما اقترب مني تولاي؟ لماذا أنظر إليه هكذا وأطيل النظر في عينيه؟ لماذا أشعر بالحزن دائمًا وهو بالجوار؟ جففت دمعة هاربة من عيني ثم قلت له عندما وقفنا أمام الكوخ الذي أعيش فيه:

- ليلة هنيئة يا تولاي.

أوماً بوجه خالٍ من أي تعبير ثم غادر متجهًا إلى الكوخ الذي يعيش فيه، ولكنني وقفت أمام الكوخ رافعة عيني إلى السماء أراقبها. لقد تخطت الساعة الآن منتصف الليل وها هو ذا القمر بغموضه ينير السماء بوجهه الأبيض. تذكرت لونه الدموي في سماء مملكة الشمال قبل مقتل أحدهم، فشعرت بالطمأنينة لأنني هربت من كل شيء، ولكن شعوري بالاطمئنان سرعان ما تبدد كما يبدد الضوء الظلام عندما تذكرت الأشياء الغريبة التي حدثت مؤخرًا.

أغمضت عيني ثم استنشقت الهواء البارد وأنا أحاول أن أتنفس أكبر قدر منه لعل شعور الخوف بداخلي يختفي. فتحت عيني عندما سمعت خطواتٍ متردةً تقترب مني. نظرت يساري باتجاه الصوت فتوقف كل شيء؛ توقف القمر عن الإنارة، وتوقفت الرياح عن الهبوب. توقفت المياه عن الجريان في الأنهار، وتوقف البحر عن الاهتياج. توقفت الطيور عن الطيران في السماء، حتى أنا توقفت عن التنفس!

توقفت خطواته عندما التقت أعيننا في زهول. ظننت أنني لن أراه ثانية، ولكن الحياة لن تتوقف عن إدهاشي أبدًا، فها هو ذا مراد، الملك والصديق والحبيب يقف أمامي وكأنه ذكرى حزينة استطاعت الهرب من غياهب قلبي المحطم لتزيدني بؤسًا. لم تظهر على ملامحنا أي تعبيرات توحى بمورات العشق بداخلنا، بل كانت نظراتنا فاترة وكأننا افترقنا البارحة! وقف أمامي وكأنه حلم جميل لم أرغب في الفناء في تفاصيله بعد. بدأت أنفاسي في التسارع وازدادت نبضات قلبي شيئًا فشيئًا حتى ظننت أن قلبي سينفجر في أي لحظة! تبادلنا النظرات لوقتٍ طويلٍ دون أن ينطق أحدهما بكلمةٍ تعبر عما يدور بداخلنا من صراعات.

غريبة هي هذه الحياة! عندما حاول عقلي إقناعي بأن شرارة الحب في قلبي انطفأت لم ينقصني سوى رؤية مراد لمرةٍ واحدةٍ لأثبت له سذاجة الفكرة. تغير مراد كثيرًا؛ فلقد طال شعره ونمت لحيته قليلًا فزادته التغييرات وسامةً على وسامته. هذه العين حزينة منطفئة، فهي مظلمة كالقمر عندما تغيب عنه الشمس! تفحصت ملابسه التي كانت تشبه ملابس شباب القرية كثيرًا فأدركت أنه لم يستخدم قوى سحرة النور للوصول إلى هنا، وقد جعلني هذا أستغرب كثيرًا، فقطبت جبيني وأنا أسأله بصوتٍ حاولت أن أخرجهِ واثقًا ولكنه كان مهزورًا كثيرًا:

- كيف عرفت مكاني؟!

لا بد أنه يشعر بالمشاعر المضطربة نفسها فنظراته أوحى لي بالكثير. هذا الشاب يعاني من الصدمة مثلي، وعلى الرغم من أنه

قادمٌ إليّ بمحض إرادته فإن رؤيتي جعلته مذهولاً متسمراً في مكانه مثلي.

نظر إلى قلادتي ببرود ثم قال:

- أخبرني ساحر النور الأعظم أنك تعملين في القرية بمملكة بيورين، فأتيت إلى هنا وسألت صاحب الحانة التي تعملين فيها عن مكانك فأخبرني أنك تعيشين هنا.

صمت قليلاً ثم أردف:

- في واقع الأمر، لقد أتيت إلى هنا لاسترداد القلادة.

شعرت أنني سأفقد وعيي من هول الصدمة. هل يمزح معي؟ هل أتى إلى هنا لاسترداد القلادة فقط؟ ما هذا اللقاء البارد الخالي من مشاعر الحب التي اعتاد أن يروي ظمأي بها؟ أجبتة بالبرود نفسه:

- لقد ظننتها هدية، والهدايا لا تُرد، أليس كذلك؟

قال بوجه عبوس:

- نعم، كانت هدية! لن أنكر، ولكن مصير العالم بأجمعه يعتمد على هذه الهدية!

لوهلة ظننته يمزح، ولكن نظراته الجادة ونبرة صوته التي حملت الكثير من الخوف والقلق، إلى جانب الأحداث الغريبة التي حدثت لي في الفترة الأخيرة، أكدت لي أنه لا يمزح مطلقاً.

قلت وأنا أتحاشى النظر في عينيهِ:

- هناك شيء غريب متعلق بهذه القلادة.

ساد الصمت لبرهة، ثم أردفت موضحةً:

- إنها تجعلني أرى وأسمع أشياء غريبة لا يراها أو يسمعها أحد
سواي!

في هذه اللحظة رفعت عينيّ إليه فسرت قشعريرة في جسدي
واجتاحني شعور غريب في قلبي الذي كان يرفرف كأجنحة طير من
فرط الاشتياق إليه. تبادلنا النظرات للحظات حتى قطع حبل عناق
النظرات هذا صوته الذي أوحى لي بنبذة غضب حاول إخفاءها ولكنه
فشل:

- حسنًا، ستتوقف الأشياء الغريبة عن ملاحقتك عندما تعطيني
القلادة.

سيقتلني فتوره هذا، لم لا يصيح في وجهي؟ لم لا ينتزع قلبي
ويسحقه في يديه؟ لماذا لا يحرقني بنيرانهم المميزة؟ لم لا يدفعني
للسقوط في أعماق هاوية على وجه الأرض؟ لماذا يا مراد؟ انتزعت
القلادة ثم مددت يدي إليه لأسلمها له بيد ترتعش من البرد والخوف
معًا. اقترب بضعة خطوات مني ثم بسط يده استعدادًا فوضعت
القلادة بهدوء في يده التي لمستني دون قصد لتجعل نيران
الاشتياق تشتعل بداخلي، ولكنها خمدت عندما حدث ما لم نتوقعه!

اندفعت القلادة ناحية عنقي وكأنني لم أنتزعها من قبل! سعلت
لفترة وجيزة من الزمن لأن اندفاعها ألم حلقي كثيرًا. انتزعتها ثانيةً
وحاولت أن أسلمها لمراد، ولكن الأمر تكرر مجددًا! هل هذه مزحة
ما؟

تبادلنا نظرات الحيرة والقلق، ولكننا أدركنا أخيرًا الحقيقة التي خشيناها كثيرًا. ترفض القلادة الذهاب إليه، ولا أعلم السبب حتى، ولا يعني هذا سوى أننا سنخوض مغامرة أخرى معًا! أظنه أدرك الأمر لأنه قال مبتسمًا بغیظ:

- هذه الحياة تسخر مني! حسنا، أحتاج إلى هذه القلادة لأنها ستساعدني في منع نهاية عالمنا كما قال ساحر النور الأعظم.

قطبت جبيني وأنا أقول:

- نهاية عالمنا؟

قال صوت يأتي من خلف مراد:

- إنها المفتاح العالث لعرش الزمن!

قلت وأنا أنظر إلى الرجل الذي كان يرتدي العباءة السوداء في المقابر:

- عرش ال... ماذا؟

استدار مراد بجسد متوهج وكرة نارية في يده على استعداد للإلقاء في وجه الرجل الغريب الذي رفع يديه في الهواء باستسلام قائلاً:

- لقد أتيت في سلام يا ساحر النور.

قال مراد بعبوس:

- ومن أنت بالضبط؟

قال الرجل وجسده يتوهج ببطء:

- أنا "ميرون"، صديق "كيرال".

خفت توهج جسد مراد وهو ينظر إلى قلادتي ثم سأل ميرون:

- هل تعرف أين اختفى؟

تنهد ميرون بتعب ثم قال:

- أتمنى أن أكون مخطئًا، ولكنني أظن أنه محبوس في قلعة الأرواح!

نظر إليه مراد بريبة ثم سأل:

- لماذا تقول هذا؟

قال ميرون وهو يتقدم مني:

- لأنه جاء في حلم أقرب إلى الكابوس وأخبرني بكل شيء، ولكنه لم يخبرني عن مكانه، لأن هناك من قطع التواصل بيننا، وللحق أظنه النكرومانسرا!

سألته:

- هل قلعة الأرواح تلك في مملكة الجحيم؟

نظر إلى قلادتي ثم قال:

- نعم! أنتِ ترتدين أقوى سلاح في العالم حول عنقك بالمناسبة!

أمسكت بقلادتي وكأنني أرغب في حمايتها ثم ازدردت ريشي وأنا أنظر إلى مراد الذي قال وما زالت نظرات الشك لا تفارق وجهه:

- ما الذي أخبرك به كيرال في الحلم؟

تحولت أنظار ميرون إلى مراد ثم قال:

- أخبرني أن نهاية عالمكم أصبحت وشيكة للغاية، وأننا لا بد أن نعثر على النجوم الثلاث بداخل القلادات إلى جانب كتاب "عين الإعصار" قبل أن يعثر عليهم النكرومانسر.

قالها ميرون ثم نظر لي وكأنه يود تذكيري بما حدث منذ ساعة في المقابر. قلت وقد هرب الدم من وجهي الذي أصبح لونه شاحبًا كالموتى:

- هل تتحدث عن ذلك الملعن الذي حاول قتلي في المقابر اليوم؟ هل هو النكرومانسر؟

انتبه مراد إلى ما أقوله فتحولت أنظاره المتعجبة إلي ثم سأل بعبوس:

- من الذي حاول قتلك؟

أجاب ميرون نيابةً عني:

- إنه المسافر عبر الزمن.

قلت ومراد في صوت واحد:

- المسافر عبر الزمن؟

قال ميرون بهدوء:

- نعم، المسافر عبر الزمن، إنه مشهور في عالمكم باسم

النكرومانسر.

قلت بذهول:

- لقد راودني حلم غريب عن رجل يجلس على عرش مخيف
وامرأة مسلسلة تجلس عند قدميه!

نظر ميرون إلي باهتمام ثم قال:

- حسنًا، تلك القلادة كما أخبرتكما منذ قليل هي الأقوى على
الإطلاق من بين القلادات الأخرى ولهذا السبب سيسعى النكرومانسر
إلى انتزاعها منك طوال الرحلة التي سنخوضها، لذا...

قاطعته معترضًا:

- الرحلة؟! أنا لن أخوض أي مغامرات أخرى فلقد اكتفيت حقًا.

عبس ميرون ثم اقترب مني، في حين توهج جسد مراد وكأنه لا
يتق فيه:

- اسمعيني جيدًا، سيطاردك النكرومانسر حتى وإن ذهبت إلى أبعد
مملكة في الكون بأكمله حتى ينتزع هذه القلادة منك وإن تطلب
الأمر قتلك فلن يتردد.

سألته بعبوس:

- ولكن النكرومانسر محبوس في مملكة الجحيم.

قال ميرون بتجهم:

- النكرومانسر الذي يطاردك الآن هو النسخة البشرية منه، أتى من

الماضي لكي يحقق أمنيات ذلك الذي يتعفن في الجحيم لأن أعوانه جميعًا فشلوا في تحقيقها.

نظرت إلى مراد الذي راقب الحوار بصمت، ثم سألت ميرون:

- وما أهمية هذه القلادة بالضبط؟

- إنها المفتاح العالت لعرش الزمن، وهذا يعني أننا سنبحث عن قلادتين أخرتين مثلها.

سأله مراد:

- وما هو عرش الزمن؟

- عرش الزمن هو الشيء الوحيد الذي سينقذ عالمكم من الهلاك، هذا هو ما فهمته من كيرال، فبعد عثورنا على القلادات سنضعها فيه ومن ثم سيعود أحد منا إلى تلك اللحظة التي فتح فيها النكرومانسر تلك البوابة الزمنية المؤدية إلى جسر الموتى والتي تسببت في انشقاق السماء حتى يمنع من فتحها!

كان وجهه شاحبًا من القلق وهو يخبرنا بهذه المعلومات. شعرت في هذه اللحظة أن الكون بأكمله يدور من حولي وأني على وشك فقدان الوعي. مغامرة أخرى أو كابوس يطاردني؟ أنا لست مستعدة فلم تندمل جراح العام الماضي حتى أضغط عليها ثانيةً لأتعذب من الألم. نظرت إلى مراد الذي كان ينظر لي بدوره محاولاً قراءة أفكاره على الأغلب، فقلت:

- هل تثق به من الأساس؟

قطب ميرون جبينه ثم قال بابتسامة:

- أنا هنا ويمكنني سماعك بالمناسبة.

نظر إليه مراد ثم سأل:

- لماذا سأثق بك؟

قال ميرون بهدوء وكأنه توقع من قبل أن يسأله هذا السؤال:

- حسنًا، هذا سؤال منطقي للغاية. ستثق بي لأنني أعلم ماذا أخبرك به كيرال قبل أن يفتح أنس بوابة مملكة الجحيم.

سأله مراد بتحدٍ:

- وبماذا أخبرني بالضبط؟

- أخبرك بأن تبحث عن الإجابات في الماضي، ولا داعي لذكر سفرك عبر الزمن إلى مملكة "ليموريا" لتحضر كتاب السحر الأبيض، ولكنك لم تعثر عليه لأن كيرال دمره بالفعل، ولكن ابنته هي من أهدت إليك هذه القلادة التي طردت وحوش مملكة الجحيم من عالمكم في معركة النبلاء.

تبادلت مع مراد النظرات، لأنني الوحيدة التي كانت تعرف هذه المعلومات فلا أظنه أخبر مخلوقًا سواي، ولكن وجب عليّ أن أتأكد؛ لذا سألته:

- هل أخبرت أحدًا غيري بهذا؟

أوما مراد بالنفي فنظرت إلى ميرون ثم قلت:

- وما هي نهاية الزمن تلك التي تتحدثون عنها؟

تنهد ميرون ثم قال:

- لقد فتح النكرومانسر بوابة جسر الموتى المؤدية إلى عرش الزمن، ولهذا السبب كانت السفن في البحر تختفي، لأن وحوش النار كانت تهاجمها، وعلى ما يبدو أن النكرومانسر حاول أكثر من مرة الإبحار إلى تلك البوابة ولكنه كان يفشل في دخولها بسبب تلك الوحوش المرعبة.

سألته:

- وكيف سنعرّ على عرش الزمن والقلادتين؟

- هذه الإجابات سنعرفها عندما نعرّ على كتاب "عين الإعصار".

تبادلث ومراد نظرات الحيرة لوهلة قبل أن أقول:

- إذن، سأعيد صياغة ما قلته باختصار.. يجب أن نعرّ على القلادتين الأخرتين، وذلك الكتاب الذي يُطلق عليه "عين الإعصار" ومن ثمّ نعرّ على عرش الزمن لننقذ عالماً من الفناء، أليس كذلك؟
- نعم، هذا صحيح.

دفنت وجهي في يديّ وأنا أفكر في كل شيء مررت به العام الماضي. هذه الجروح الغائرة في قلبي لن تندمل أبداً على ما يبدو. أمعنت التفكير في الأمر برمته، ثم قلت بحدة:

- لا!

ارتفعاً حاجبا ميرون وهو يقول:

- لا؟ لا أفهم!

قلت بحزم:

- لا، لن أذهب معكما إلى أي مكان.

نظر مراد إليّ باستغراب ثم قال بحدّة:

- لومينا، نحن نتحدث عن نهاية العالم هنا، نتحدث عن موتك وموت والدتك والبشر أجمعين.

نظرت إليه بعينين مغرورقتين بالدموع ثم قلت:

- لن أتحمل موت أحدهم بين يديّ ثانية، كما أنني لن أتمكن من ترك والدتي هنا وحدها فيقتلها النكرومانسر.

اقترب مني مراد ثم قال:

- سأطلب من بيرى أن تأمر أحد الحراس بإحضار والدتك إلى القصر لرعايتها، فلا تقلقي من هذا الأمر، ولكن ما نخبرك به الآن خطير ويجب عليك القدوم معنا حتى نتمكن من إيجاد طريقة لنزع هذه القلادة عنك على الأقل، وعندما يحدث هذا أعدك أنني سأحضركِ إلى هنا ولن تري وجهي مرةً أخرى.

تساقطت الدموع بالفعل على وجنتيّ فور انتهائه من الكلام، ربما لأنني لم أكن أرغب في ألا يريني وجهه مرةً أخرى كما وعدني منذ قليل؟ ربما أرغب في ضمه الآن ليشعر كم أشتاق إليه؟ علني أرغب في الهمس في أذنه بكلمةٍ وددت كثيرًا لو أطلقت سراحها حتى يهدأ قلبي قليلًا؟

قلت بعناد:

- ليحترق الكون بأكمله، علّه الأفضل لنا جميعًا.

تبادل مراد النظرات مع ميرون لبرهة، ثم قال الأول بحدة:

- أصغي إلى ما سأقوله الآن، هذه المملكة التي تعيشين فيها بل الممالك أجمعين في خطرٍ محددٍ، ولن يمنعنا عناد شخصٍ مثلك عن مسعانا، وإلا ذهبث الآن إلى مليكتك لأخبرها بأنك ترفضين الامتثال لنداء الواجب تجاه مملكتك التي تحافظ على أمنك حتى الآن، وسيلقى القبض عليك والزج بك في السجن إلى أجلٍ غير مسمى.

تفاجأت كثيرًا بحدة كلامه وبتهديده لي. نظرت إليه بذهولٍ في حين نظر لي بغضبٍ ملحوظ، لقد تغير كثيرًا حقًا عن ذلك الشاب الذي أحببته في العام الماضي. شعرت كأن أحدهم غرس خنجرًا مسمومًا في قلبي ثم تركني أنزف حتى الموت!

نظرت إلى ميرون الذي راقب الحوار بيننا في صمتٍ ولكن ملامح الدهشة ارتسمت على مَحياه مثلي. نظرت إلى السماء فتذكرت أجراسها التي قُرعت الأيام الماضية، كما تذكرت الأنين المنبعث من القلادة والمرأة المسلسلة فأدركت أنني سألعب دورًا مهمًا في هذه المغامرة شئت أم أبيت.

قلت باستسلام:

- حسنًا، ولكنك ستفي بوعدك إزاء السماح لوالدتي بالإقامة في القصر الملكي حتى أعود إليها.

تقدم ميرون من مراد ثم قال:

- سنسافر عبر الزمن إلى أماكن وأزمنة مختلفة.

سأله مراد بملامح جامدة:

- وما الذي سنفعله في تلك الأزمنة؟

أجابه ميرون على الفور:

- سنبحث عن القلادتين وعن كتاب "عين الإعصار" بالطبع.

سأله مراد بعبوس:

- وهل تتوقع أننا سننجح في ذلك؟

رأيت ميرون يبلع ريقه من التوتر، ثم قال:

- كنت على وشك إخبارك بهذا الأمر، سنضطر للاستعانة بأنس!

هل ما سمعته صحيح أو أنني أشاهد كابوسًا آخر؟ فور سماعي لاسمه غرق قلبي في غياهب الحزن والألم فلن يستطيع أحد إنقاذه الآن. تذكرت سنوات من الحب والحنان بحضن شقيقي القاتل الذي جلب الخراب إلى مملكة الشمال، ولكنه لم يجلبه لها فقط، بل جلبه لحياتي ولقلبي التعس. أنا لست مستعدة بعد لمقابلته، سأخبر مراد أن يذهب إلى تلك الرحلة وحده، فلست على استعداد لمقابلة من تمزق قلبي بسببه حزنًا وألمًا.

قال ميرون:

- لومينا؟

انتبهت إلى صوته فقلت بعينين مغرورتين بالدموع:

- ماذا؟

- كنت أقول أنه لا بد من دخولك إلى متاهة الزمن لإقناع أنس
بالسفر معنا!

انفجرت فيه قائلة:

- هل تمازحني؟ كيف تتحدث بهذه البساطة وكأنه شيء عادي
للغاية، فنحن نستيقظ كل يوم في الصباح فرحين بأخبار نهاية
العالم، وضرورة سفرنا في مغامرة مميتة لتغيير أحداث حدثت في
الماضي، بل ما نفعله كل يوم حقًا هو إقناع أشقائنا القتلة بالسفر
معنا عبر الزمن لإنقاذ العالم نفسه الذين رغبوا في تدميره منذ عام
مضى، أليس كذلك؟

قال مراد بعبوس:

- لماذا سنحتاج إليه من الأساس؟ إنه قاتل وهو من تسبب في
إراقة الدماء في العام الماضي. صدقني ذلك الوغد حي فقط لأنني
لم أكتشف طريقة لقتله بعد!

هل ما سمعته صحيح؟ هل حاول قتله وأنا بعيدة عنه؟ هل هذا
انتقام مني يا مراد أو أنك اضطررت حقًا لمحاولة قتله؟ ماذا أصابك
بالضبط وأنا بعيدة عنك؟ هل أنت الشاب الذي وقعت في عشقه أو
أنت شخص آخر؟ لن أذمر إن قتلت أنس يا مراد فهو يستحق، ولكن
هذا التغيير الغريب في شخصيتك جعلني أتساءل كثيرًا عن حقيقة
الشخص الذي دق القلب له وحده!

انتبهت لصوت ميرون وهو يقول:

- صدقني، نحن في أمس الحاجة إليه في هذه الرحلة فهو يعلم أشياء لا يعلمها سواه، كما أن هذه رغبة كيرال على كل حال.

أشعر أن مراد على وشك أن يحرق أي شخص سيعترض طريقه في هذه اللحظة. نظرت إليه ولكنه كان ينظر بعنوين إلى السماء وهو يركز على أسنانه من الغيظ، قال بعصبية:

- هذا اليوم لن يسوء أكثر من هذا!

قال ميرون بهدوء:

- في الواقع، هذا اليوم ربما سيسوء بالفعل لأنني حتى الآن ما زلت أفكر في كيفية العودة إلى الماضي دون أن تحدث مذبحة في الحاضر بسبب ما سيتم تغييره.

قال مراد بضيق:

- يا إلهي! لقد نسيت تمامًا هذا الأمر، فإن كل تغيير في الماضي يجب دفع ثمنه في الحاضر والتمن هو الدم دائمًا.

عمّ الصمت المكان ونحن نتبادل النظرات المتسائلة فيما بيننا، إلا أن ميرون كان يحك ذقنه وكأنه يفكر في أمر ما، قال بعد برهة من التفكير:

- ربما هناك طريقة لتفادي ذلك الثمن، ولكنني لست متأكد من نجاحها.

قلت ومراد في صوت واحد:

- ماذا؟

نظر ميرون إلى مراد ثم قال بترقب:

- يجب أن تتخلى وأنس عن قواكما بوصفكما سحرة نورا!

قطب مراد جبينه ثم قال:

- ماذا؟ هل تمازحني؟!

قال ميرون بحزم:

- لا، بالطبع أنا جاد للغاية فهي الطريقة الوحيدة حتى لا تُسفك
دماء الأبرياء في الحاضر. أترى؟ سنذهب إلى الماضي وسنغير
أحداث حدثت أو سنسهم في حدوث أشياء لم تحدث من الأساس،
وهذا له ثمنٌ في الحاضر وأنت تعلم جيدًا أن الثمن هو الدم دائمًا،
وإن رغبتنا في خوض هذه الرحلة والعودة بلا خسائر في الماضي أو
الحاضر فلا بد من تخليكما عن قواكما ثم استعادتها ثانيةً عند العودة
إلى حاضركما!

أحاط بنا الصمت من كل الاتجاهات، ولكن ميرون أردف:

- ولكنني لست متأكدًا هل سيقبل الزمن بالتضحية أم لا.. للحق
لا أدري! ربما سينتقم منا الزمن بقتل شخصًا أو اثنين عندما نعود،
ولكننا لا نعرف، ولهذا السبب سنجرب حفظنا أفضل من حدوث
مذبحة ما، أليس كذلك؟

وضع مراد كلتا يديه فوق رأسه، ثم زفر بقوة تعبيرًا عن غضبه
ويأسه مما يسمعه، قال بعد برهة:

- ألا توجد طريقة أخرى؟ أنت صديق ساحر النور الأعظم ولا بد

أنك تعلم أمرًا ما لا يعلمه أحد سواك، أليس كذلك؟

قال ميرون باستسلام:

- للأسف، هذه هي الطريقة الوحيدة للسفر عبر الزمن دون إراقة دماء الأبرياء في الحاضر.

- وكيف سنثق بقاتلي يا ميرون؟ ألم يخبرك كيرال بما فعله ذلك الوغد بعائلتي وبنبلاء مملكة الشمال؟ لقد أحرق أطفالاً أبرياء لا ذنب لهم سوى أنهم من نسل الأثرياء!

اشتعلت النيران في جسد مراد الذي توهج وهو يتنفس بقوة من فرط الغضب، لذا اقترب منه ميرون ثم قال بهدوء وهو يربت على كتف مراد:

- أعلم يا ساحر النور، أخبرني كيرال بكل شيء، ولهذا السبب سأجبر أنس على القسم بأنه لن يقتل أحدًا أو يعصي أوامرنا طوال الرحلة وإلا سينقلب القسم عليه.

تعجب مراد وهو ينظر إلى ميرون بعدم فهم فأوضح الأخير:

- هناك قسم لو أقسم به ساحر الظلام ثم حنثه ينقلب عليه فثنفي روحه إلى قلعة الأرواح في مملكة الجحيم لتتعفن هناك إلى الأبد.

ساد الصمت ثانية فبدأت ملامح التفكير على وجه مراد في حين ارتسمت ملامح الذعر على وجهي كلما تحدث ميرون. زفر مراد بقوة ثم التفت إليّ وسألني بعصبية:

- هل ستفعلين ما يطلبه ميرون، أو ماذا؟

حدجني بنظراتٍ لا توحى بالخير أبدًا وكأنه على استعدادٍ لتقييدي وإرغامي على السفر معهما في هذه الرحلة العجيبة! ابتسمت ابتسامة سمجة للغاية تحولت إلى موجة من الضحك غير المبرر على الإطلاق. تعالت ضحكاتي وأنا أنظر إليهما غير مصدقة لما يحدث أو ما سيحدث في الساعات القادمة. كنت أضحك وكأنني أسعد شخص خُلق على الإطلاق! كان الاثنان ينظران إليّ بعدم فهم مقطبين جبينيهما في حين غرقت في موجة من الضحك الذي يعير الغيظ.

لم أتوقف عن الضحك إلا عندما صاح مراد في وجهي قائلاً:

- لومينا، فلتكفي عن هذا الآن.

توقفت عن الضحك على الفور وأنا أشعر بالضيق لأجل ما سأمر به في الأيام التالية، ولكنني يجب أن أخوض معهما هذه المغامرة لأجل والدتي، ولأجل أطفال العالم بأجمعه. أنا لست بطلة خارقة كسحرة النور، ولكنني أدرك الآن أن مصير العالم بأجمعه يقع على عاتقي، لذا قلت أخيرًا عن اقتناع هذه المرة:

- كيف سأدخل إلى متاهة الزمن؟

متاهة الزمن

وقفت أمام بيري وأنا أنظر إلى الأرض فلم أستطع أن أرفع عيني كي أنظر إليها. ها أنا ذي شقيقة القاتل الذي قتل شقيقها العام الماضي وهو أيضًا من وضعها في حالة غريبة تشبه الموت كثيرًا أقف أمامها وكأن شيء لم يحدث. لم تعلم بيري أنني شقيقته، أو أن مراد لم يقتله بل حبسه في متاهة الزمن، وإلا لأمرت حراسها بقتلي ومراد في الحال.

نظرت بيري إلى قلادتي ثم قالت لمراد بعبوس:

- ما الذي تفعله هنا؟ أليست هذه من فطرت...

لم تكمل بالطبع لأنه رمقها بنظرة محذرة فابتلعت كلامها ولم تتفوه به أبدًا. أخبرها مراد بكل ما قاله ميرون وهي تستمع إليه بتركيز يشوبه عدم الفهم أحيانًا. بعدما انتهى زفرت وهي تجلس على عرشها بعدم ارتياح قائلة:

- لماذا يحدث كل هذا؟ لقد ظننت أن ذلك الكابوس انتهى في العام الماضي بقتل ذلك الوغد الحقير الذي أراد الانتقام منا جميعًا، ولكن هيهات، يعيد التاريخ نفسه مجددًا!

تقدم منها مراد ثم طبع قبلة على يدها وهو يقول:

- ستظل مليكتي الجميلة في قصرها الآمن يحيطها الحراس من جميع الاتجاهات لحمايتها.

ابتلعت ربيقي وأنا أنظر إليهما بذهول حاولت إخفاءه قدر الإمكان.

لا أدري ما الذي أشعر به، لقد فقدت الإحساس بكل شيء. الغريب في الأمر هو أنني تسببت في كل هذا العناء لقلبي ولقلبه، فلم الحزن الآن؟ سمعته يطلب منها أن تبعث بحراسها إلى القرية لإحضار والدتي، فوجدتها فرصة سانحة للتحدث قائلة:

- لن أذهب معكما إلا عندما أودع والدتي.

تقدم أحد الحراس قليلاً مني ضاغظاً قبضة يده على سيفه ثم قال بصرامة:

- إياك والتحدث في حضرة جلالتها إلا عندما يُوجه إليك الحديث.

لم يغضبني كلام الحارس ولكنني اشتعلت غضباً عندما سمعت مراد يقول:

- نعم، لن تتحدثي ثانيةً في حضرة جلالتها دون إذن، كما أنني لن أخلف بوعدِي، فأنا رجل نبيل عندما يعد بشيء يسعى في تنفيذه على الفور.

نظرتُ إلى الأرض من أسفلي وأنا أشعر أن جدران القصر تضيق من حولي لتمزق جسدي إرباً إرباً. صفعتني كلماته صفعة آلمت قلبي كثيراً. إنه يتحدث معي بغلظة وكأنني خادمة، ولكنني حتى لا أتذكر أنه عامل أحدهم بهذه القسوة من قبل. حاولت أن أبدو هادئة وأنا أقول وما تزال عيناَي مثبتة على الأرض:

- سامحني جلالتك، لقد نسيت مقامي حقاً، ولن يحدث هذا ثانية!

قال بصرامة:

- لنأمل هذا!

لم تتزحزح عيناى عن الأرض، ولكن أذنى كانتا تصغيان باهتمام
عندما سمعته يقول لبيرى وقد تغيرت نبرة الحنق فى صوته إلى نبرة
أقرب إلى شخص عاشق:

- عزيزتى، ستكون الرحلة طويلة للغاية، ولا أدري إن كنت سأعود
أم لا! ولكننى أتمنى أن تنتبهي إلى سلامتك فهذا يهمنى كثيرا.

نهضت ببرى ثم ارتمت فى حضنه وظلا هكذا لبرهة قصيرة فى
حين يعلو صدري ويهبط من فرط الغضب. اختلست النظر إليهما
فرايت ببرى وهى تحيط وجهه بيديها قائلة:

- سأستدعي أقوى فارس فى الجيش الملكى ليرافقك طوال
الرحلة حتى تعود إليّ بسلام.

ابتسم مراد ثم وضع قبلة أخيرة على يدها واتجه نحوى قائلاً
بتجهم وهو يفتح ثقب أسود:

- سنذهب إلى الكهف الآن، اتبعينى.

تبعته على الفور دون أن أنطق بكلمة، وعندما خرجنا من الثقب
رأيت ميرون ينتظرنا ولكننى تسمرت عندما رأيت أنس جالسا على
الأرض. انهمرت الدموع على وجنتي وكأننى كنت أنتظر الفرصة
المناسبة لاستغلال اللحظة فى البكاء الشديد. وقف مراد بجانب
أنس فلاحظت عينيه الخاليتين من البؤبؤ المميز لهما وهو ينظر بهما
أمامه نظرة خاوية من الحياة. أحاط الظلام والحزن قلبى وأنا أذرف
دموع الاشتياق والحزن والغضب والاستياء. نظر لى مراد بوجه

خالٍ من أي تعبٍ، ولوهلة شعرت أنه يرغب في الانفجار في الضحك
شماتةً بحالي الذي يُرثى له.

قال ميرون:

- اقتربي!

فعلت ما أمرني به على الفور وأنا أجفف دموعي بطرف ثوبي،
فقال ثانيةً:

- سنجلس على الأرض أمامه ثم سأضع يدي فوق جبينكما حتى
أكون الجسر بين وعيكما، فلا تفزعي بسبب ما سترينه!

لم أستفسر أو أعترض، ففعلت كل ما طلبه مني. جلست أمام أنس
وبجانبني مراد على يميني ينظر إلى ميرون الذي وضع يده على
جبیني أنا وأنس، فاخترق كل شيء! ما إن وضع يده حتى أظلم
كل شيء من حولي، ولكنني أرى شيئًا هناك، إنه مكان غريب تسبح
فيه الدوائر البيضاء، مهلاً.. هل أنا أطيّر؟ نظرت حولي إلى الفضاء
المحيط بي وإلى النجوم التي تشع بوهجها أمامي، أو هي ليست
بنجوم؟ نظرت بجانبني فرأيت ميرون ينظر لي وكأنه يحثني على
التقدم من أنس الذي كان يحلق في الفضاء بعيدًا عنا هائلاً على
وجهه كالمجانين.

رغبت في الوصول إليه ولكنني لا أعرف كيف، فلا توجد أرض من
أسفلنا أستطيع السير فوقها، بل نحن نحلق حقًا في الفضاء وكأننا
طيور تطير في السماء. يبدو أن ميرون لاحظ ترددي لذا اقترب مني
وأمسك بيدي ثم سحبني خلفه إلى حيث يوجد أنس.

أوما ميرون لي وكأنها إشارة البدء بالكلام، فقلت بصوتٍ مخنوق:
- أنسر!

لم يتحرك من مكانه ولم يلتفت إليّ ولكن صوتي جعله يتجمد
فتوقف عن الحركة. عدت أقول مجددًا:

- نحن في حاجة إليك.

سألني:

- كيف حال والدتنا؟

لم أتوقع سؤاله، لذا أجبته ببرود:

- لا يحق لك أن تعرف شيئًا عن حالها.

في هذه اللحظة فقط استدار لمواجهتي، كم اشتقت إليه! وددت
أن أرتمي في حضنه وأبكي حتى أتخلص من آلامي وجراح قلبي
الغائرة التي تسبب فيها ولكنني لن أفعل بالطبع. حاولت أن أتماسك
فقلت له بصرامة:

- إن كان أمرها يهمك فينبغي أن تأتي معنا لتساعدنا في العثور
على قلادات عرش الزمن.

ظننت أنه سيتفاجأ بطلبي أو بما أقوله، ولكنه قال بهدوء:

- تلك الرحلة مميتة ولا أضمن نجاحها، يجبوا أن تتوخوا الحذر!

تدخل ميرون قائلاً:

- ولكننا مضطرون إلى خوض تلك المغامرة لأجل البشرية

بأجمعها.

تطلع أنس إلى عيني ميرون لفترة طويلة فتبادل الاثنان نظرات تحمل الكثير، ولكنني لم أفهمها! اقترب منه أنس ثم قطب جبينه وقال بعبوس:

- أنت لست من هذا الزمن! من أي زمن أتيت؟

قال ميرون بعقّة:

- أنا ميرون، صديق ساحر النور الأعظم، وأتيت من مملكة ليموريا لمساعدتكم في العثور على قلادات عرش الزمن بأمرٍ من صديقي كيرال.

اعتلت ابتسامة خبيثة وجه أنس ثم قال بهدوء:

- الماضي يساعد المستقبل، هذا ما لم نسمع به من قبل!

لاحظت أن أنس ينظر إليه نظرات تحمل الكثير من الشك والوعيد، ولكن ميرون كان صارمًا جادًا لم يتأثر بما يقوله الأول، بل قال بحزم:

- سنعقد اتفاقًا بيننا الآن!

قال أنس بحق:

- لقد أخبرت مراد أنني لا أعقد الصفقات!

- ربما لم يعرض عليك مراد الصفقة التي سأعرضها عليك الآن، التي تستحق التفكير فيها وأخذها بعين الاعتبار.

ضيّق أنس عينيه مشككًا في كلام ميرون ثم استدار وكأنه يتجنب كلامه. اندفعث ناحيته وصرخت في وجهه قائلةً:

- أنس! إن كان بداخلك مقال ذرة من الكرامة والنبيل كما كنت تدعي ستساعدنا في العثور على القلادات لأن عالمنا سوف ينتهي.
قال ببرود:

- ليست مشكلتي!

قال ميرون من خلفه:

- استمع إلى العرض الذي سأعرضه عليك فربما يعجبك!

استدار أنس لمواجهته ثم قال بابتسامة ساخرة:

- أنا منصت.

- حسنًا، ستسافر معنا عبر الزمن لتساعدنا في هذه الرحلة وعندما ننتهي منها ستفوز بحريتك، ولكنك ستقسم على ألا تخالف أوامرنا جميعًا وإلا تُنفى روحك في قلعة الأرواح بمملكة الجحيم!

نظرت إلى ميرون غير مصدقة لما يقول، ثم اقتربت منه قائلةً:

- هل تمزح معي الآن؟ هل تظن أن مراد غبي إلى هذه الدرجة؟ بل هل تظن أنني سأوافق على إطلاق سراح هذا الوغد؟

هل حقًا أنا مستاءة لفكرة تحريره من سجنه هذا أو أنني فقط أظهار لأجل مراد؟ ولكن مراد لا يستطيع سماعنا، فلم أظهار إذن؟ تداعبني فكرة تحرير أنس والهرب من كل شيء حتى الحب الضائع الذي لن أناله أبدًا، ولكن السماء منشقة فكيف سأترك العالم ينتهي

هكذا؟ وهل سأظل على قيد الحياة أنا وأنس في حين يطاردا الموت في كل مكان نذهب إليه؟ ماذا لو تركت كل شيء وسافرت مع أنس عبر الزمن؟ ماذا بعد؟ دارت أسئلة كثيرة بعقلي، ولكن صوت ميرون جاء حازماً وهو يقول:

- لم أقل أنني سأعطيه حريته، بل سأهبه هذه الحرية ولكنها لن تكون في عالمكم!

سأله أنس:

- ماذا تقصد؟

- أقصد أنك ستصبح حراً ولكن في زمن آخر وفي مملكة أخرى!

اقترب منه أنس فلم يكن يفصل بين وجهيهما سوى مسافة قصيرة للغاية ثم قال بتجهم:

- لست مهتماً! لقد انتهى كل شيء، حتى أنا انتهيت ولم أعد أبالي.

اقتربت من أنس ثم صحت فيه والدموع تجري على وجنتي:

- أنت وغد حقير بائس وأنا أكرهك كميّراً.

تبادلنا نظرات العتاب والاشتياق معاً. أرغب في أن أضمه حتى أخنقه من فرط الحب الممزوج بالغضب والاستياء معاً! لا أدري لماذا بكيت، ولكنني شعرت براحة كبيرة وبالأخص حينما قلت:

- كنت أحبك كميّراً يا أنس ولكنك فطرت قلبي، هل تعلم ماذا أصاب والدتنا التي سألت عن حالها فور رؤيتك لي منذ قليل؟ لقد جن جنونها وذهب عقلها فهي لم تعد تأكل وتوقفت عن العمل، فكل

ما تفعله هو الحملقة في سقف الكوخ كالمجانين لا تكثرث لأي شيء يحدث من حولها... وهذا بالطبع بفضلك أنت.

نظر بعيدًا عني وكأنه يتحاشى النظر في عيني ولكنني أردفت:

- كيف تجرؤ على رفض لهذا الاقتراح؟ أتعلم أننا لن نخبر مراد بهذا الأمر لأنه لو علم لن يتردد لحظة في قتلك، وخمن ماذا؟ سيتمكن هذه المرة من فعلها لأنه فشل كثيرًا في قتلك في حين كان وعيك محبوبًا في متاهة الزمن، ولكنه سيتمكن من ذلك فور تحريرك من هذا السجن، وهو لن يتردد لحظة في فعل هذا إلا لو ساعدتنا في العثور على القلادات، وقتها فقط ربما يعيد النظر في إطلاق سراحك كما أخبرك ميرون.

لم يعلق فنظرت إلى ميرون بيأس، ثم قلت له:

- نحن نضيع الوقت هنا، هيا بنا.

تنهد ميرون ثم أومأ واقترب مني ثم وضع يده على جبيني ولكن أنس قال قبل أن نخرج من متاهة الزمن:

- انتظرا!

ارتسم شبح ابتسامة على ثغر ميرون في حين نظرت إلى أنس بعبوس منتظرة ما سيقوله، اقترب منا ثم قال:

- حسنًا، سأساعدكم في العثور على القلادات وسأقبل بالقسم، وفي المقابل سأنال حريتي، ولكن...

توقف عن الكلام وهو ينظر إلينا بترقب، ثم استطرد:

- ولكنني لن أقبل بتحريرى من هذا السجن بشرط العيش فى زمن آخر!

تبادلت نظرات الدهشة مع ميرون الذى قال على الفور:
- حسنًا.

صحت فى ميرون:

- ماذا؟ هل أنت جاد؟

صاح ميرون بدوره:

- نعم، أنا جاد، سينتهى العالم يا لومينا، لا يهم إن أطلقنا سراحه أو قتله مراد! المهم الآن هو السفر عبر الزمن إلى الأماكن التى تتواجد فيها القلادتين لمنع فناء عالمكم.

كانا الاثنان ينظران إلى وكأننى من ستقرر كيف ستكون الخطوة التالية. أغمضت عيني لأفكر مليًا فى خطوة القرار الذى سنتخذه جميعًا. إن علم مراد سيقته بل سيقتهنى أيضًا، ولكن هذا غير مهم، لأن الوضع خطير للغاية خارج هذه المتاهة اللعينة ونحن فى حاجة إلى أنس، ولكننا سنقدم بعض التضحيات حتى نمنع نهاية العالم القادمة لا محالة، قلت باستسلام:

- حسنًا، سنحررك ويامكانك الذهاب أينما ومتى شئت ولكن بعد منعنا لنهاية العالم الوشيكة.

داعبت ابتسامة انتصار وجه أنس الذى نظر لى نظرات غريبة لم أعتدها أبدًا وكأنه شخص آخر لا أعرفه! وضع ميرون يده اليمنى

على جبيني واليسرى على جبين أنس، فغرقنا جميعًا في الظلام مرة أخرى. فتحت عيني فرأيت أنس ينظر لي وقد تلاشت ابتسامته. توتر ثقيل يحيط بنا جميعًا مع صمت مطبق وكأننا جميعًا نترقب الخطوة التالية.

نظر مراد بحنق إلى أنس، في حين راقبهما ميرون استعدادًا لأي اشتباك محتمل. كان مراد يمسك بعصا صغيرة الحجم في نهايتها هلال منير، إنها عصا الظلام على ما يبدو التي تحمل في هلالها المنير قوى سحرة النور، والتي باستطاعة أي شخص أن يستخدمها حتى لو لم يكن منهم. سرت قشعريرة في جسدي عندما أعادت هذه العصا الذكريات إلي. تذكرت "أنس وكنان" وهما يمسكان بها في محاولة منهما لفتح المعبر الأحمر المؤدي إلى بوابة مملكة الجحيم في مكتبة القصر بمملكة الشمال.

قطع صوت مراد هذا الصمت الثقيل قائلاً بجسد متوهج استعدادًا للانقضاض على أنس في أية لحظة وما تزال العصا في يده:

- حسناً؟

قال ميرون بترقب:

- أعطني هذه العصا حتى أقسم عليه بها!

نظر إليه مراد متشككًا لبرهة ولكنه سلمها إليه في النهاية، فأخذها ميرون ثم نظر إلى أنس وهو يقول:

- سأوجه الهلال إلى قلبك لأملك القسم فتردد ما تسمعه على الفور!

أوما أنس باستسلام، فوجّه ميرون العصا إلى قلب الأول ثم قال:
- أقسم بعصا الظلام وبقلعة الأرواح بأنني سأسافر معكم
لمساعدتكم في العثور على قلادات عرش الزمن وبأنني سأنصاع
لأوامركم جميعًا، وإلا ينفي القسم روعي لتتعفن في مملكة الجحيم
إلى الأبد!

تردد أنس قليلًا وهو ينظر إليّ، ولكنه ردد القسم أخيرًا، فخرج
خيّط ضوئي من الهلال في نهاية عصا الظلام واخترق قلب أنس ثم
اختفى بداخله!

المملكة المغلقة

عاد مراد ولومينا إلى القصر لتوديع والدتها في حين ظل أنس مع ميرون ولم يكن متواجد معهما. كانت والدة لومينا تظنه ميتًا فصحتها العقلية لن تحتل الاصطدام بالحقيقة التي من شأنها أن تجعل المسكينة في عداد الموتى من هول الصدمة، فكيف ستخبرها لومينا؟ ما الذي ستقوله لها الآن؟ هل ستقول لوالدتها أنها كذبت بشأن شقيقتها وأنه القاتل الذي دمر مملكة الشمال وقتل أطفال النبلاء العام الماضي؟ لم تشأ لومينا المجازفة بكل هذا والوقت يمضي ونهاية العالم تقترب منهم وعليهم السفر بسرعة إلى الماضي. بعدما احتضنت لومينا والدتها الحزن الذي ظنت أنه ربما يكون الأخير تفاجأت بدخول الحارس الذي وقف على باب القاعة الملكية وهو يقول بصوته الأجش:

- الرقيب تولاي جلالتك.

اتسعت عيناها دهشة فور سماعها لاسمه، فمن غيره يدرّب الفرسان في الجيش الملكي؟ من سواه تستطيع بيّري تكلفته بحماية مراد؟ بالطبع لا أحد سواه! إنه تولاي الجار والصديق الذي يشبه أنس إلى درجة مؤلمة وهو من سيرافقهم طوال الرحلة. دخل تولاي ووقف بجانبها تفصلهما بضعة خطوات ثم انحنى لمليكتة قائلاً:

- جلالتك.

قالت بيّري بحزم:

- أيها الرقيب تولاي، سترافق...

لم تكمل بيرى جملتها لأنها لم تعد تعرف كيف تطلق على مراد اللقب المناسب، فهو لم يعد الملك ولا الأمير، ولهذا قالت بعد تفكير:

- سترافق السيد مراد وتلك الطاهية إلى رحلة طويلة عبر الزمن، ستحمي السيد وستفديه بدمائك إن تطلب الأمر.

انحنى تولاي ثانيةً ولومينا تراقبه بطرف عينها، فلاحظ مراد نظراتها الغربية إليه فقطب جبينه استغرابًا. ساد جو ثقيل من التوتر بين الثلاث قطعه دخول أحد الحراس وهو يقول ثانيةً:

- الطيبة "سيلين" جلالتك.

دخلت فتاة في العشرينات من عمرها متوسطة الطول بشرتها سمراء لها عينا خضراوان زاداها جمالاً على جمالها، ولكن ما كان يميزها حقاً هو شعرها البني الكثيف الذي يصل طوله إلى أسفل ظهرها. نظر إليها كل من بالقاعة فاندeshوا من هذا الجمال النادر، حتى بيرى شعرت بقليل من الغيرة عندما شاهدت نظرات الرجال إلى تلك الطيبة الجميلة الساحرة.

انحنت سيلين لبيرى ثم قالت:

- جلالتك.

نهضت بيرى ومشى بتؤدة ثم قالت لمراد:

- لقد اكتمل فريقك الآن. بالمناسبة.. تلك الحقائق بها طعام وملابس ستحتاجونها في تلك الرحلة، كما أنني أمرت بإحضار سيقاً لك ليحميك إن حدث أمر ما.

عنت بيري أن مراد ربما يحتاج السيف إن لم يعد يتحكم في قواه
أو ما شابه. ارتمت في حضنه في حين ربت على ظهرها قائلاً:

- اعتني بنفسك.

- أنت أيضًا.

نظر مراد إلى لومينا التي لم تتزحزح عيناها عن الأرض تفاديًا
لمشهد احتضانه لبيري ثم قال موجهًا كلامه إليها وكأنها الوحيدة
التي سترافقه في هذه الرحلة:

- اقتربوا جميعًا، سأفتح ثقبًا أسود سنذهب من خلاله إلى الكهف
لمقابلة ميرون ومساعدًا له سيساعدنا في رحلتنا، ولكنني أحذركم
من عدم الانصياع إلى أوامري إن رغبتُم في العودة سالمين!

انتهى من كلامه ثم فتح الثقب فدخلت سيلين تبعثها لومينا
بإشارة من مراد، ثم تولاي الذي حمل الحقيبتين الممتلئتين بالطعام
والملابس. كان مراد آخر من خرج من الثقب الذي انغلق فور خروجه
على الفور.

فور رؤيتهم انتصب ميرون ووقف ينظر إلى تولاي وسيلين قاطبًا
جبينه متساءلاً عن وجودهما، فأراحه مراد من عناء التفكير في الأمر
قائلاً:

- الرقيب تولاي سيكون سيفنا، أما الطيبة سيلين فهي دوائنا في
هذه الرحلة.

نظر أنس إلى تولاي نظرات تحمل الكثير مما جعل الأخير يتعجب
كثيرًا لكل ما يحدث حوله. بعد أن ترك لومينا واتجه إلى كوخه

حاول النوم على فراشه ولكن طرقات قوية على الباب منعتة من ذلك، فنهض ليفتحه فتفاجأ بأحد الحراس يخبره بضرورة الذهاب إلى القصر لتلبية نداء الملكة ففعل على الفور وهو لا يفهم شيئًا.

لم تكن سيلين طبيبة القصر، بل كانت فتاة قروية تعمل في إحدى دور الرعاية الصحية بالمدينة واستدعيت منذ قليل فلبت النداء كما فعل تولاي. تكلم ميرون ووضح كل شيء يخص السفر عبر الزمن من قواعد وخطورة، كما أخبرهما عن نهاية العالم وعلاقتها بالظواهر الغريبة التي رُصدت في الأيام الماضية في حين استمع تولاي وسيلين بأعين متسعة دهشة وفزعًا لما يُقال.

لم يملك أيُّ منهما رفاة الاعتراض على السفر معهم عبر الزمن، فالرفض لا يعني سوى قطع رقبتيهما؛ لذا التزم الاثنان الصمت حتى انتهى ميرون من كلامه. التفت ميرون إلى أنس ليسأله:

- ألم يخبرك النكرومانسر من قبل عن مكان كتاب "عين الإعصار"؟
لم يُجبه أنس مباشرة بل فكر قليلًا ثم قال:

- لم يخبرني، ولكنني قرأت في كتاب السحر الأسود شيئًا ربما يشير إلى مكانه.

سأله مراد بنفاد صبر:

- وما هو؟

نظر إليه أنس شزرًا ثم أجاب متجاهلًا إياه، وهو ينظر إلى ميرون:

- كان هناك رسم لقصر أسود كُتب بجانبه "المملكة المغلقة"، وأمام

القصر الأسود يقف رجل تعتلي وجهه ملامح التيه.

قال مراد بنفاد صبر ثانية:

- هذا غير مفيد أبدًا، أعطنا دليلاً نستطيع تتبعه بدلاً من هذه
الألغاز.

نظر أنس إليه بتوعد ولكن ميرون قال:

- أنس، الوقت يداهمنا!

نظر إليه أنس ثم قال بصرامة:

- كانت هناك ملحوظة على هامش الصفحة تقول إن من يرغب في
العثور على شيء يختبئ في مكان ما، فعليه أن يذهب إلى القصر
الأسود في المملكة المغلقة ثم يدخل سرداب التيه ليعرف اسم
المكان الذي يُخبي ذلك الشيء.

سأله ميرون:

- وأين هي تلك المملكة المغلقة؟

- إنها مملكة منسية لا تنتمي لعالمنا، هجرها أهلها بعد انتشار مرض
غريب لم يجدوا له علاجًا، وإن رغبتُم في معرفة كيفية الوصول
إليها يجب عليكم الاستعانة بالسحر الأسود!

حدق الجميع إليه بذهول وبالأخص تولاي والطبيبة سيلين. كانت
لومينا على وشك الاعتراض ولكن ميرون قال قبل أن تفعل:

- هل ستراق الدماء؟

كان أنس يعرف جيدًا ما يعنيه ميرون، لذا قال بجدية:

- ستنزف لومينا دماؤها على عصا الظلام ثم ستكتب بها كلمتي "المملكة المغلقة" على الهواء. ستفتح الدماء ثقبًا أسود إليها!

سأله مراد بتجهم:

- لماذا ستنزف لومينا؟ لماذا لا تنزف أنت على سبيل المثال؟

أجابه أنس متحاشيًا النظر في عينه:

- لأننا بحاجة إلى قلاذتها فكل كائنات الظل تخاف منها!

نظر مراد إلى ميرون بتجهم، ولكن الأخير تجنب النظر إليه. طلب أنس من تولاي أن يجرح كف لومينا بالسيف فنظر الأخير إلى مراد يستأذنه فأومأ الأول على مضض. استل تولاي سيفه من غمده المطلي باللون الذهبي والمطعم بنقوش لجماجم وعظام ثم أحدث جرحًا بسيطًا في يد لومينا التي تفادت النظر في عينه. أخذ أنس عصا الظلام من مراد وهو يتأملها ثم طلب من لومينا أن تتقدم منه، نزفت دماؤها على عصا الظلام فخرج منها شعاع أسود اللون اتجه إلى الأعلى قليلًا فأمسكت لومينا بالعصا لترسم كلمتي "المملكة المغلقة" ففتح ثقب أسود.

قبل أن تدخل لومينا الثقب الأسود قال أنس محذرًا إياها:

- لا يحتمل السحر الأسود الخطأ، فتذكري أنك إن مكمت في المملكة المغلقة لأكثر من ثلاث ساعات سيغلق الثقب الأسود نفسه على الفور وستظلين هناك!

نظرت لومينا إلى أنس باندهاش ولكنها تعلم أنه لا خيار لها في هذه الرحلة، ستفعل ما تُؤمر به إلى حين العثور على طريقة للتخلص من هذه القلادة التي أصبحت كالجبل الذي يجثم على صدرها.

تقدم مراد من الثقب الأسود قائلًا لتولاي وسيلين:

- لا أظن أن وجودكما هناك سيفيدنا، فمن الأفضل أن تنتظرا هنا.

ابتسم أنس بسماجة ثم قال له:

- في الواقع، لن يذهب أحدٌ إلى القصر الأسود سوى لومينا!

قطب مراد وميرون جبينهما ثم قالَا في الوقت نفسه:

- لماذا؟

أجابهما أنس:

- لأن دماء لومينا هي التي رسمت اسم المملكة المغلقة وهي من فتحت الثقب إليها، وليس دماؤنا، ونحن بحاجة إلى لومينا بعينها لأن القلادة هي التي ستحميها من تلك الكائنات الخبيثة.

قال مراد بصرامة ممزوجة بالقلق الذي حاول إخفاءه:

- سأذهب معها!

قال أنس وقد اتسعت ابتسامته أكثر:

- أنت لا تفهم! لقد استعانت لومينا لتوها بالسحر الأسود ولن يرضخ لخدمة أحد سواها، فهي الوحيدة التي ستتمكن من عبور الثقب إلى القصر الأسود ثم العودة منه إلى الكهف، وإن حاول

أحدكم أن يدخل بدلًا منها فلن يستجيب الثقب وسيغلق نفسه على الفور!

ساد الصمت بينهم جميعًا والكل يتبادل النظرات عدا لومينا التي وقفت تنظر إلى الأرض بحزن وكأنها طفل يتيم اكتشف لتوه أنه وحيد في هذه الحياة! شعرت بالخوف والحزن وكل المشاعر المخيفة التي اعتادت الشعور بها وهي في القصر الملكي بمملكة الشمال.

قطع أنس الصمت قائلاً:

- عندما تصلين إلى القصر الأسود ستحاول كائنات الظل استدراجك إلى الداخل فاتبعيها، واطلبي منها أن تنزلي الدرج المؤدي إلى سرداب التيه، عندما تصلين إليه ستبحثين عن الجدار الذي يعكس نور القمر وليس جدارًا آخر، عندما ترينه أسقطي بعضًا من قطرات دمائك على الهلال في نهاية عصا الظلام ثم اكتبي على ذلك الجدار "كتاب عين الإعصار" وتذكري جيدًا اسم المكان الذي سيكتب ولا تنسيه.

أومأت لومينا وهي تبتلع ريقها محاولةً تذكر ما يقوله، ثم اقتربت من الثقب الأسود ودخلت فيه دون أن تنطق بكلمة. كاد مراد أن يتحرك خلفها ليقول شيئًا ما أو لينهرها عن الرحيل للمرة الثانية، فجرحه غائر لم يندمل بعد ولكنه تراجع. أحدث دخولها إلى الثقب غصة في قلبه ولكنه حاول بجدية ألا يظهر مشاعره هذه.

نظر ميرون إلى مراد وأنس ثم قال:

- هذه هي اللحظة التي ستتخليان فيها عن قواكما بوصفكما سحرة نور.

قال أنس ببرود:

- أتفهم أننا نحتاج إلى شخص لديه قوى سحرة النور لسهولة السفر عبر الزمن وأنه يجب على البعض منا أن يتخلى عنها، ولكن لماذا أنت ذلك الشخص الذي لن يفقد قواه؟ لم ليس مراد مثلاً؟
فكر مراد في السؤال نفسه، ولكن ميرون أجابهما قائلاً:

- لأنني جازفت بكل شيء في مملكة ليموريا وسافرت إلى زمنكم متحدثاً إياهم مما سينتج عنه كوارث في عالمي، ولهذا السبب لن يفيدني التخلي عن قوايا الآن لأنني سأدفع الثمن عاجلاً أو آجلاً. لن يقبل الزمن بتمن التخلي عن قوايا مقابل عدم حدوث مذبحة دموية في عالمكم، أو بالأحرى سيقتلني الزمن فور عودتي إلى ليموريا إن تشاركت معكم في تغيير أحداث الماضي.

تطلع إلى وجه أنس لتوان ثم قال:

- ستتخليا عن قواكما الآن لتكتسب الوقت لحين عودة لومينا.

أخرج من جيب سرواله بلورة سوداء خماسية الشكل يشع منها شعاع أسود أمسكها في يده اليمنى ثم وضع اليسرى فوق ذراع أنس الأيمن. خرج شعاع أزرق اللون من ذراع أنس متجهاً إلى الذراع الآخر ليربط بينهما بعقدة تكونت منه. أبعد ميرون يده اليسرى عن ذراع أنس ثم وجه البلورة إلى العقدة فانطلق الشعاع الأسود متجهاً إليها لقطعها. امتصت البلورة السوداء ذلك الشعاع الخارج من ذراع

أنس حتى تغير لونها إلى اللون الأزرق.

نظر أنس إلى ميرون ثم قال:

- هل هذا كل شيء؟ لم أعد من سحرة النور؟

أوما ميرون ثم التفت إلى مراد الذي تقدم منه على الفور فحدث معه الأمر نفسه كما حدث مع أنس. جلسوا جميعًا على الأرض ينظرون إلى الثقب الأسود أمامهم بقلبي منتظرين عودة لومينا. مضت الدقائق طويلة وهم يجلسون بصمت مراقبين ذلك الثقب المفتوح في الهواء بترقب. انتظروا خروج لومينا لما يزيد عن الساعتين ولكنها لم تظهر!

كائنات الظل

خرجت من العقب الأسود لأتفاجأ بأن المكان غارق في الظلام التام! ابتلعت ربيقي وأنا أحاول جاهدة أن أتنفس ببطء حتى يهدأ قلبي الذي راح يدق استعدادًا للمعركة الآتية. تعالت أصوات الرياح فجأة فسرت قشعريرة في جسدي خوفًا من المجهول. كان أصعب شيء هو السير في الظلام دون رؤية ما يمكن أن يعترض طريقي. في هذه اللحظة شعرت أنني ممتنة للغاية لنعمة البصر، فالكفيف يعيش حياته بأكملها في ظلام تام ولا يتذمر، في حين أننا نحن المبصرون لن نقدر قيمة هذه النعمة العظيمة التي أنعم علينا بها الإله إلا عندما نفقدها! علا صدري وهبط من فرط الخوف وأنا أتقدم إلى الأمام ببطء أحاول أن أتحسس طريقي.

كاد قلبي ينخلع من مكانه عندما سمعت نعيق غراب قادمًا من بعيد فانتفض جسدي وارتعدت أوصالي أكثر من ذي قبل. تحسست طريقي كالمجانين باحثة عن أي شيء لينير المكان ولكنني لم أجد. تسمرت في مكاني عندما شعرت بأنفاس باردة تلفح أسفل عنقي من الخلف. شعرت أنني على وشك فقدان الوعي؛ إذ لم تتحمل قدمي الوقوف أكثر من هذا. تحسست يد باردة عنقي فتسمرت مكاني وأنا أتنفس بسرعة من فرط الهلع. ارتعشت يدي وأنا أرفعها لأمسك القلادة علها تتوهج فتبدد الظلام وتطرد كائنات الظل. توهجت كما توقعت فأنارت ما حولي ولكنني صرخت على الفور بسبب ما رأيت!

كنت محاطة بأعداد كثيرة من الظلال المخيفة والطويلة للغاية التي يتعدى طولها المترين في حين وقفت في منتصف الدائرة

التي أحاطوني بها بأجسادهم السوداء وكأنني شجيرة ذابلة في منتصف الغابة. لم تتميز تلك الكائنات بأي شيء سوى باللون الأسود الذي طغى على جسدها وملامح وجهها التي لم تكن موجودة من الأساس! لم أطق النظر إلى تلك الكائنات المربعة فنظرت إلى الأرض وأنا أبكي كالصغار من فرط الخوف.

تذكرت كلمات أنس لي فحاولت أن أتحدث فخرج صوتي مهزورًا
باكياً:

- أرغب في الذهاب إلى سرداب التيه.

ألقيت بطلبي في وجوههم وكأنه صاعقة حارقة أردت التخلص منها بسرعة قبل أن تحرق يدي. تنفست الصعداء عندما تحرك أحدهم ففتحت الدائرة أخيرًا لتلوح في الأفق صورة ظلية لقصر أسود يبدو مهجورًا تفصله عنا بوابة سوداء مرتفعة تسلفتها أفرع الأشجار فحجبت عني الرؤية إلى حد ما. مشيت بين صفي الظلال مطأطئة الرأس ألتمس الحماية من القلادة التي توهجت كلما اقتربت من البوابة السوداء.

فتحت البوابة على مصراعيها بمجرد اقتراب أحد الظلال منها فأصدر صريرها الفزع في نفسي، واثفضت وتراجعت بضعة خطوات إلى الخلف فاصطدمت بإحدى كائنات الظل! تجمدت في مكاني ودموعي تنهمر على وجنتي من الخوف وأنا على وشك الصراخ لأن أيدي تلك الكائنات السوداء المخيفة كانت تلمس جسدي. شعرت أنني لا أستطيع التنفس وكأن هناك من يجثم على صدري، ولا أدري لماذا نزعت القلادة وألقيت بها بعيدًا عني!

عندما ألقيت بالقلادة سقطت من يدي عصا الظلام ولم أستطع التقاطها ثانية من فرط الهلع الذي تسبب فيه مشهد الظلال المحيطة بي من كل مكان.

جلست على الأرض أنظر إلى الظلال التي كانت تبتسم. لماذا تبتسم وهي لا تملك أفواهًا من الأساس؟ هل أتخيل ما يحدث أو أنني جننت؟ مهلاً! لماذا أنا هنا؟ لماذا لا أتذكر شيئًا؟ لماذا أبكي من الأساس؟ نظرت إلى الظلال وأنا أبكي تارة وأصرخ تارة أخرى وهي تتحسس وجهي وعنقي وذراعي وكل ما استطاعت أن تصل أيديها إليه. كلما لمستني أيديها أصبح التذكر أصعب! وها هي ذي نعمة أخرى أنعم علينا بها الإله ولكننا لن نُقدّر قيمتها إلا عندما نفقدها.. إنها نعمة التذكر!

قلت بصوتٍ مخنوق:

- من أنا؟ ما الذي أفعله هنا؟

راقبتهم لعل أحدهم يجيبني ويريحني من هذا العذاب، صرخت فيهم باكيةً بعينين حمراوين من فرط البكاء قائلةً:

- من أنا؟ ليجيبني أحداً!

انتحبت وأنا أنظر إليهم لا أدري ما الذي أتى بي إلى هنا. هل سينقذني أحدهم؟ هل لي عائلة أو أنني يتيمة بلا مأوى؟ أمسكني أحدهم وساعدني على النهوض مبتسماً، أفزع ابتسامه رأيته في حياتي، وما زلت غير مستوعبة لهذه الابتسامات التي تصدر من كائنات بلا أفواه في المقام الأول!

قادتني كائنات الظل المخيفة إلى القصر الأسود الذي كانت نوافذه سوداء محطمة. سرت معهم مسلوحة الإرادة ولا أدري السبب، فلقد نسيت من أكون من الأساس! توقفنا أمام الباب الكبير للقصر الذي أحدث صريرًا مرعبًا وهو يُفتح. عندما دلفت إلى الداخل تفاجأت ببهو أثاثه مهترئ يكسوه الغبار وكأنه ترك في الصحراء منذ القدم. كانت هناك مائدة مستطيلة طويلة للغاية اجتمعت حولها الكائنات المخيفة وهي تنظر نحوي أو كنت أنا من يتخيل أنها تنظر بأعين لم تكن هناك في المقام الأول!

رأيت بابًا مواربًا يقبع في ركنٍ بعيدٍ من هذا البهو الذي أقف فيه ويبدو أن هناك درجًا يؤدي إلى... القبو؟ سرت أجز رجلتي إلى ذلك الباب الموارب فتبعته الظلال. تسمرت مكاني عندما لاحظت أنني لا أرى ظلي، أين ذهب؟ هل كان لي ظل من قبل؟ لماذا أقف أمام الباب الموارب هذا؟ أين أنا؟ نظرت حولي بفزعٍ فرأيت الظلال تحمق بوجهي ولا يفصلها عني سوى بضعة سنتيمترات. كنت أسير إلى الخلف موليةً ظهري للدرج فانزلت قدمي عندما تعثرت ثم تدحرجت لأسفل الدرج وأنا أصرخ بسبب الكدمات التي سببها لي التدحرج هكذا.

يبدو أن رأسي ارتطم بإحدى الدرجات لأنني لاحظت تساقط قطراتٍ من الدم على الأرض. تكورت على نفسي وأنا أستند بظهري على أحد الجدران التي كان هناك خيظ ضعيف من ضوء القمر ينيروها من أعلى.

أحاطتني الظلال من كل اتجاه وجلست وهي تتحسس جسدي

بأياديها الباردة السوداء، وتزفر في وجهي بهواء له رائحة الموت. سألتها كثيرًا عن اسمي فلم ترد بل اقتربت مني أكثر من ذي قبل حتى لم أعد أستطيع التنفس. شعرت فجأة أن الهواء أصبح ثقيلًا وباردًا للغاية فارتعشت أطرافني واصطكت أسناني، ولكنني صرخت عندما رأيت قدمي. لقد اختفت قدمي في الواقع، وأصبحت كأقدام الظلال سوداء باردة لا حياة فيها! ظللت أصرخ وأنا أتحسسها بيدي المرتعشتين والدموع تجري أنهارًا على وجنتي في حين تنظر الكائنات المخيفة لي مبتسمة بسعادة لتحولي إلى ظلي مثلها!

توقف الزمن للحظة وأنا أستمع إلى ذلك الصوت القادم من بعيد وكأنه بقعة أمل في غياهب اليأس. كان الصوت يهمس باسم شخص ما، هل الصوت يناديني؟ لماذا أسمع دقات قلبي؟ هل ذلك صوت أنثى؟ إنها تقول "لومينا"، ولكن من هي لومينا؟ هل هذا هو اسمي؟ سكت الصوت للحظات فتغلغل اليأس إلى روحي واستوطن.

أحيا الصوت الأمل بداخلي ثانية عندما عاد يقول:

- اتبعني صوتي للعثور على القلادة.

كانت الرؤية غير واضحة في هذا الظلام الذي حاول خيط ضعيف من ضوء القمر تبديده ولكنه فشل. استطعت رؤية الدرج بصعوبة فعزمت على النهوض واتباع الصوت الذي أتى من الأعلى. مشيت مترنحة كالسكارى أشعر بالوهن والخدر في رجلي وأنا أتنفس بصعوبة في حين تتبعني الظلال. لاحظت أن الظل يزحف إلى الأعلى حتى أصبح نصف جسدي أشبه بأجساد الظلال! توقفت في منتصف الطريق لأنني نسيت إلى أين أتجه من الأساس! لماذا أرغب في

إغماض عيني والاستسلام للنوم، أو ربما الموت؟

عاد الصوت مجددًا يناديني فتبعته حتى خرجت من بوابة القصر في حين حاولت الظلال عرقلتي وإبعادي وهي تنتحب وتبكي. فتحت الظلال أفواهها فانطلقت الصرخات المفزعة منها أثناء سيرهم بجانبني وخلفي محاولين الإمساك بي حتى لا أخرج خارج البوابة. كلما تقدمت خطوة إلى الأمام أعادوني خطوتين إلى الخلف ليصبح الهرب بعيد المنال.

عندما وصلت إلى البوابة أخيرًا كان ظلام الظلال يزحف إلى كتفي فسمعت أجراس السماء ثقرع بجنون في حين همس الصوت باسمي وكأنه يخشى أن أتحوّل إلى ظلٍ مثلهم. أمرني الصوت بالبحث عن القلادة فرأيت وهجها أخيرًا يشع بالأمل أسفل شجرة عملاقة بجوار البوابة الضخمة. زحفت على بطني بمساعدة يديّ حتى أتمكن من الوصول إليها في حين سحبتني أيادي الكائنات إلى الخلف فظننت أنني لن أتمكن من الوصول إليها أبدًا.

كانت لحظة شديدة الألم وأنا أراقب جسدي يتحوّل إلى ظلٍ فلم يتبقّ سوى يديّ ورأسي! حاربت للوصول إلى القلادة ولكن الظلال حاولت منعي باستماتة من الوصول إليها. كان وهجها يخفت شيئًا فشيئًا وكأنها تظلم كلما أظلم جسدي. وصلت إليها أخيرًا وأمسكتها فزاد توهجها الذي تخلل إلى جسدي وأعاده كما كان تدريجيًا. غمرتني الذكريات كما تغمر مياه الأمطار الزهور الذابلة. لم أكن أعلم أن النسيان وحشٌ مرعب إلا عندما عادت لي الذكريات الحزينة والسعيدة معًا! أيقنت حينها أن المرء ما هو إلا لحم ودم ومجموعة

من الذكريات التي تمثل حياته بأكملها!

أمسكت بالقلادة ثم ارتديتها حول عنقي فتدفق تيار الذكريات إلى عقلي دفعةً واحدةً. تذكرت أنس وما قاله لي، وتذكرت أنهم بانتظاري على الجهة الأخرى من الثقب الأسود الذي يدور حول نفسه خلفي. التقطت عصا الظلام ثم أسرعت بالدخول إلى القصر في حين تلاحقني كائنات الظل التي كانت تصرخ بأفزع الأصوات التي لم أسمع لها مثيلاً من قبل. فور أن دخلت القصر الأسود أغلقت الباب من خلفي ولكنها استطاعت التسلل من خلاله إلى الداخل. جريت بأقصى سرعة إلى الدرج المؤدي إلى سرداب التيه كما أخبرني أنس، ولكنني لم أجد الجدار المنير عندما وصلت إليه! أنا في مازق كبير فلقد انتهى كل شيء!

زحفت الظلال من حولي وهي تئن وتبكي بل وتصرخ أيضاً. تنفست بصعوبة وأنا أفكر في الخطوة التالية. هل أخرج من الثقب الأسود وأضيع فرصة معرفة اسم المكان الذي يختبئ فيه كتاب "عين الإعصار" أو أجازف وأظل هنا حتى أعثر على طريقة لمعرفة الجدار المنشود؟ نظرت إلى عصا الظلام وإلى يدي التي أحدث بها تولاي جرحاً بسيطاً ثم تذكرت أنني يجب أن أنزف بعض القطرات فوق هلال العصا. أخذت نفساً عميقاً ثم أغمضت عيني وأنا أفكر فيما سأفعل، فراودتني فكرة لا بأس بها.

حاولت الظلال بكل ما أوتيت من قوة أن تتحسس عنقي ثانيةً لإجباري على انتزاع القلادة التي تحميني من النسيان ومنها كما يبدو، ولكنني تحليت بالشجاعة ثم غرست طرف الهلال في الجرح

بيدي فتلطح ببضعة قطرات من دمي. أمسكت بالعصا وكتبت على جميع جدران سرداب العذاب هذه الكلمات المنشودة ثم انتظرت بضعة لحظات فرأيت الجدار المقابل للدرج يمحو ما كتبت ليستبدل بها كلمات أخرى. حفظت الكلمات في عقلي ثم تخللت صفوف الظلال بجرأة لا أعرف متى تحليت بها وصعدت الدرج حتى خرجت من القصر. كان الثقب الأسود ينتظرني ولكنني تعمزت ووقعت على الأرض فسقطت من يدي عصا الظلام فشعرت ثانية أنني أختنق وأن القلادة تجثم على قلبي!

لا، لن تنتصري أيتها الظلال الحقيرة، لا ينبغي أن أنسى ثانية، ركزي يا لومينا، يجب أن تعودى إلى مراد وأنس فهما ينتظران عند ذلك الثقب الأسود. سحبتني أيادي الظلال إلى الخلف حتى لا أهرب خارج البوابة فاستسلمت لها؛ يكرهني مراد وأخي ما زال القاتل والعالم سينتهي، فلماذا سأعود؟ لِمَ لا أستسلم إلى البرودة والظلام اللذين يزحفان إلى قلبي؟

عاد الصوت يهمس باسمي مجددًا، توسل وهو يناديني لأنهض ولكنني رغبت في الاستسلام كثيرًا. نظرت إلى قلادتي المتوهجة واستمعت إلى أنينها الذي تعالى في حين تجرني الظلال على الأرض عائدةً بي إلى القصر الأسود. كانت الظلال تسحبني وأنا مستسلمة لا أمانع! انبثق نور قوي من السماء فصرخت الظلال صرخةً كانت كفيلاً لأن تجعلني أدرك مقدار الخطر الذي استسلمت له ولم أحاربه! انبعثت من الظلال صرخات جحيمية تُصمُّ لها الآذان، فانتهزت الفرصة ونهضت أجر رجلي حتى وصلت إلى الثقب الأسود ولكن الظلال حاولت جاهدةً أن تمسك بي لمنعي من الدخول. حاولت

سحبي إلى الخلف ولكنني أدخلت يديّ في الثقب فرأيت مشهدًا
عجيبًا للغاية، فأتسعت عيناى من الذعرا

لعبة سخيفة

وقف أنس أمام الثقب الأسود يفكر في حلٍ فلقد تأخرت لومينا بداخله كثيرًا لما يزيد عن الساعتين فساورهم القلق جميعًا. كان تولاي جالسًا على إحدى صخور الكهف يراقب الثقب عليها تخرج في أية لحظة في حين وقف مراد على شاطئ البحيرة يراقب مياهها في صمت. خيم الهدوء على المكان بشكلٍ مرعبٍ فلم يجد أحدهم الكلمات المناسبة للتخفيف من حدة القلق الذي أحاط بهم من كل حدبٍ وصوب.

حاول مراد بصعوبة بالغة أن يخفي توتره بهدوئه الذي يخدع به من حوله، فهو لا يرغب في إظهار الضعف الآن. لقد اعتاد طوال العام الماضي بعد رحيل لومينا أن يتصنع البرود وعدم الاهتمام بأي شيء، وها هو ذا الآن يكافح للحفاظ على هذا التظاهر، ولكن قلقه زاد بعدما غابت في ذلك الثقب لأكثر من ساعتين!

زفر بقوة ثم توجه إلى أنس وقال بحنق:

- إلى متى سنظل منتظرين هكذا؟

كز أنس على أسنانه، فأخر شيء يحتاج إليه هو الشجار؛ لذا استدار قائلاً بعصبية:

- الفتاة التي في داخل هذا الثقب على الجهة الأخرى من عالمنا هي شقيقتي التي أمضيت عمري بأكمله بجانبها، فلا تتحدث معي وكأنك تشعر بالقلق عليها أكثر مني!

اقترب مراد من أنس مكورًا قبضته ثم قال ضاغظًا على كل حرف

وصدره يعلو ويهبط من فرط الغضب:

- أنا لست قلقًا عليها بل أنا خائف من فقدانها للقلادة فهي المفتاح الأهم لعرش الزمن وهي من...

لم يكمل جملته لأن تولاي نهض من مكانه وهو ينظر إلى الثقب الذي كان يُغلق ببطءٍ متسائلًا بفزع:

- لماذا يُغلق الثقب؟

استدارا مراد وأنس لينظرا إلى الثقب ثم تبعهم ميرون الذي شحب وجهه فنظر إلى أنس متسائلًا، فأجابه الثاني بذهول:

- يا إلهي! لقد تمكنت منها كائنات الظل!

أحاط مراد كلتا يديه حول عنق أنس ضاغظًا بقوةٍ عليه فحاول الأخير التملص من قبضته ولكنه فشل فتقدم تولاي منهما شاهزًا سيفه، صاح فيهم ميرون:

- فلتكفوا عن هذه المهزلة على الفور، لومينا بحاجةٍ إلى عقولنا وليس لذلك الشجار الصبياني!

لم يرخ مراد قبضتيه إلا عندما قالت الطبيبة سيلين وهي تشير بذهولٍ إلى الثقب الأسود صائحةً:

- إنها لومينا، إنها بحاجةٍ لمساعدتكم!

أسرع مراد على الفور إلى الثقب الأسود تبعه ميرون وتولاي في حين ظل أنس يسعل بشدة. أمسك مراد بيدي لومينا ثم حاول سحبها خارج الثقب ولكن كائنات الظل حاولت باستماتةٍ لإبقائها.

صرخت لومينا على الجهة المقابلة من الثقب فحاول مراد أن يسحبها منه بمساعدة تولاي وميرون. ظل المشهد هكذا للحظات حتى تمكن مراد من سحبها خارج الثقب بعد أن أفلتت كائنات الظل قبضتها عنوةً. كاد يتسبب سحب لومينا من الثقب في سقوطها ولكن مراد أحكم ذراعيه حول خصرها. تبادل الاثنان النظرات فلم يفصل بين وجهيهما سوى بضعة سنتيمترات لذا ابتعدت لومينا عنه على الفور بعدما توردت وجنتاها خجلًا. سار مراد إلى البحيرة ليخفي حرجه وليهدئ من قلبه الذي راح يخفق بعنف في صدره.

تقدم أنس من شقيقته ثم قال وهو يحتضنها:

- لقد خفت كثيرًا!

دفعته لومينا عنها وهي تقول بصرامة:

- ابتعد عني!

ابتلع أنس خيبة أمله وأومأ ثم ابتعد عنها بالفعل فتقدم منها ميرون قائلاً:

- لقد ظننا أننا فقدناك، ما الذي حدث بالضبط؟

لم تُجبه لومينا لأنها كانت تنظر إلى تولاي الذي وقف مذهولاً تمامًا ينظر إليها تارةً وإلى أنس تارةً أخرى، لقد ظن أنها حبيبة أنس، فهو لم يكن يعرف بعد أنهما أشقاء وأن من يجب أن يغار منه هو مراد وليس أنس! انتشله صوته من سجن الغيرة عندما قالت له بهدوء:

- هل أنت بخير يا تولاي؟

استفاق تولاي من شروده فأجابها بابتسامة حزينة:

- أنا من يجب أن أسألك السؤال نفسه، كاد قلبي يتوقف من
الخوف لأنني ظننت أنني فقدتك للأبد!

لم يشعر تولاي بأنه لم ينبغ له أن يقول ما قاله إلا عندما لاحظ
نظراتهم جميعًا إليه. ازدرد ريقه وغض طرفه استحياءً لما قاله، ولكن
لومينا أدهشتهم جميعًا عندما قالت:

- لا، لم تفقدني بعد يا تولاي فأنا ما أزال هنا، لقد كان كابوسًا أتمنى
ألا يراود أحدهم أبدًا!

نظر مراد إلى لومينا بتجهيم، فنظرت إليه بدورها لتتأكد من نظراته
ولكنه أشاح بوجهه عنها بسرعة. اقترب ميرون منها ثم قال بنفاد
صبر:

- حسنًا؟

فهمت لومينا أنه يرغب في معرفة اسم المكان الذي يختبئ فيه
كتاب "عين الإعصار" فقالت على الفور:

- إنه في مقابر سحرة النور.

نزل كلامها على ميرون كالصاعقة، فهو يخشى هذا الأمر كثيرًا،
قال مراد بوجه مكفهر:

- لم أكن أعلم من قبل أن لسحرة النور مقابر!

التفت إليه ميرون قائلاً:

- إن مقابر سحرة النور هي أسوأ حقبة زمنية من الممكن أن نسافر

إليها؛ فبعد أن أغرق الساحر الأسود مملكة ليموريا وجاب أهلها العالم باحثين عن موطنٍ لهم، لم يجدوا سوى مملكة الشمال التي رحبت بهم في البداية، ولكن حياتهم انقلبت رأسًا على عقب بعدما اكتشفوا أنهم مختلفين عنهم. صار أهل مملكة الشمال ينصبون الفخاخ لسحرة النور للقبض عليهم بمساعدة الآلات الكابحة لجماح قواهم ومن ثمّ يقتلونهم بأبشع الطرق بعد التعذيب بالطبع! بعد أن تتم المذبحة الجماعية كانوا يتخلصون من الجثث برميها في مستنقعٍ أسموه بمستنقع "الأراكن" ولا أحد يدري حتى الآن ما هو الأراكن ولماذا سُمي المستنقع بذلك الاسم.

قال أنس بشروء:

- الأراكن! لماذا يبدو الاسم مألوفًا؟

تقدم مراد من ميرون ثم سأل باستغراب:

- لماذا تتحدث عن تلك الحقبة وكأنك لم تكن موجودًا بها؟

تنهد ميرون ثم أجابه بوجهٍ حزين:

- عندما أغرق الساحر الأسود مملكة ليموريا رحلت إلى مملكة الجنوب في حين توجه كيرال إلى مملكة الشمال ولكن المسكين لاقى حتفه هو وأسرته!

نظر مراد إلى لومينا ولكنه أشاح بوجهه بعيدًا عنها عندما بادلتها النظرات، فهو لا يرغب في النظر إليها لكي لا يغرق في بحر عشقها ثانية. أغمضت لومينا عينيها وهي تتألم بسبب الجرح بيدها وبجبهتها، ولكن أكثر ما ألمها هو الجرح الغائر في قلبها.

تقدمت الطيبة سيلين منها ثم قالت بابتسامة:

- لومينا، دعيني أضمد جراحك.

ابتسمت إليها لومينا ثم جلست على الأرض فتبعتها سيلين التي أمسكت بحقيبتها التي تحتوي على اللوازم الطبية ثم أخرجت منها الضمادات. بعد أن انتهت من تضميد جروح لومينا، قال ميرون:

- يجب أن نرحل الآن.

لم يضيع ميرون الوقت فانتهاز الفرصة في فتح ثقبًا أسود أمر لومينا وسيلين بالدخول فيه بإشارة منه. قبل أن يدلف مراد إلى الثقب نظر إليه أنس شزراً ثم قال:

- لا تظن أنني سأنسى ما حدث منذ قليل!

نظر إليه مراد بتحدٍ ثم تجاهله ودخل إلى الثقب تبعه ميرون وتولاي وأنس. شعر مراد بالعجز لافتقاده لقوى سحرة النور، وهي المرة الأولى التي يشعر فيها بهذا الشعور الغريب، فهو كالطير بلا جناحين! خرجوا من الثقب ليجدوا أنفسهم واقفين على أعلى هضبة وعلى مقربة منها لاحت بالأسفل مدينة لها سور عالٍ به باب ضخم في منتصفه متصل به جداران يقف فوقهما حراس لحراستها، كانت الشمس ساطعة في كبد السماء والمدينة تعج بالحركة والصخب.

كانت المدينة نظيفة كما هي العادة في أي مدينة ملكية، فبيوتها مصنوعة من الطوب الأبيض وقصر الملك يقف بشموخ بينها، ولكن ما يلفت الانتباه هو انتصاب أوتاد معدنية في منتصف الساحة الملكية ولم يعلم أحدهم سبب وجودها في المقام الأول. ترامت

خارج أسوار المدينة أكواخ الفقراء الخشبية على أطراف المملكة بإهمال. كانت القرية كأي قرية في أي مملكة بالعالم اتسمت بالقذارة وروث الحيوانات في كل ركنٍ منها، فلم يكن هناك ما يميزها على الإطلاق باستثناء المشهد القبيح لها ورائحتها النتنة.

قال مراد:

- لم تختلف المدينة الملكية كثيرًا عما هي عليه في المستقبل.

قال ميرون وهو يراقب المدينة:

- سنمكث هنا حتى مغيب الشمس ومن ثمّ سنهبط من الهضبة إلى القرية لنسأل عن مكان مستنقع الأراكن حتى لا نلفت إلينا الانتباه في وضح النهار.

تنفسوا الصعداء أخيرًا ثم جلسوا على الأرض ليرتاحوا من عناء الليلة الماضية. جلس تولاي على صخرة قريبة من تلك التي جلست عليها لومينا، في حين وقف مراد على حافة الهضبة يراقب المدينة.

قال ميرون:

- يجب أن نأكل حتى لا نموت جوعًا.

لم يلتفت إليه أحدٌ لأنهم كانوا متعبين بحق. اتجه إلى الغابة خلفهم والتي انتصبت أشجارها على الهضبة بحثًا عن المياه. انتهز تولاي الفرصة فقال مخاطبًا لومينا بصوتٍ حاول أن يجعله منخفضًا ولكنه فشل:

- إذن، هل يحق لي الآن أن أعرف كل شيء عنك أم ستخفين

الأسرار كعادتك؟

آخر ما كانت تتمناه لومينا في هذه اللحظة هو البوح بكل شيء، ربما كانت ستبوح له ولكن ليس في حضور مراد الذي يُعد المتسبب الحقيقي في جراح قلبها الدامية؛ لذا اكتفت بتصنع الابتسام قائلة وهي تنظر إليه:

- صدقني يا تولاي ليس هناك ما يستحق أن أبوح به، ما أخبرتك به في تلك الليلة أمام الكوخ كان بمثابة الحقيقة الكاملة بالنسبة إليّ على الأقل، ولم يعد في جعبتي ما يمكن الإفصاح عنه.

استرق مراد السمع إليهما في حين لم تتزحزح عيناه عن الأفق أمامه. شعر تولاي بخيبة الأمل، ولكنه وجد نفسه يتحلى بالشجاعة الكافية ليسألها عن أنس قائلاً بتردد وبصوت منخفض:

- هل أنس هو حبيبك؟

تفاجأت لومينا كثيراً من سؤاله في حين كز مراد على أسنانه عندما تأكدت شكوكه، فصار الآن متأكداً أن تولاي يكن مشاعر الحب لها. إنها المرة الأولى التي يشعر فيها بالامتنان لفقدان قوته لأن نيران الغيرة كانت ستنبعث من جسده بعد سماع ما قاله تولاي.

رفعت لومينا حاجبها متطلعةً إليه بنظرة صامتة ثم قالت بعد وهلة:

- إنه شقيقي.

تنفس تولاي الصعداء ثم ابتسم زغماً عنه وقال بحرج:

- لم أكن أعرف أنه شقيقك فأنتِ لم تذكرني شيئًا عنه من قبل، بل ما ظننته في تلك اللحظة وهو يحتضنك أنه ذلك الشخص الذي وقعتي في غرامه ولم ينبغ أن تفعلني كما أخبرتيني في تلك الليلة أمام الكوخ.

في هذه اللحظة بالذات التفت مراد إليهما ثم نظر إلى لومينا بعبوس ولسوء الحظ بادلتها النظرات مما جعل تولاي ينظر إليهما قاطبًا جبينه. أدرك تولاي في هذه اللحظة أن هناك شيئًا غريبًا بين لومينا ومراد فحاول ربط الخيوط ببعضها. أدرك تولاي الحقيقة التي حاول إنكارها طوال الرحلة؛ إنها واقعة في غرام شخص آخر غيره، ولكنه ليس أنس بل من الممكن أن يكون مراد أو ميرون، ولكنها تنظر إلى الأول نظرات غريبة. نظر تولاي إلى الأرض بشروء وهو يفكر في الحقيقة التي توصل إليها، فربما وقعت في غرام مراد، ولكن من هو مراد؟ كان يتساءل في قرارة نفسه.

شعرت الطيبة سيلين أن هناك جواً ثقيلاً من التوتر يحيط بالمكان، فحاولت أن تقلل من حدته قائلةً:

- ألم يتأخر ميرون؟

لم يرد عليها أحد فهم منخرطون في أحزانهم وأفكارهم المضطربة ومشاعرهم العائرة. ساد الصمت والحزن معًا في المكان فعادت سيلين تقول للتخفيف من الجو الكئيب:

- ما رأيكم أن نلعب لعبة سخيفة حتى يمضي الوقت؟

أجابها مراد:

- لماذا نلعب لعبة سخيقة من الأساس؟ لم لا نلعب لعبة مثيرة للريبة على سبيل المثال؟

نظرت لومينا إليه باستغراب قاطبة جبينها ثم سألته:

- لعبة مثيرة للريبة؟

استدار مراد ثم قال بتجهيم:

- لم أوجه إليك الحديث يا آنسة.

ابتلعت لومينا ريقها ثم اغتصبت ابتسامة ونظرت إلى سيلين قائلة:

- ستكون اللعبة فكرة جيدة للغاية لتمضية الوقت حتى يعود ميرون.

ابتسمت سيلين ابتسامتها الساحرة ثم قالت:

- حسناً، أنا لا أعرف الكثير من الألعاب ولكنني أعرف لعبة سخيقة اعتدنا في القرية أن نلعبها، إنها تسمى بلعبة الفضول.

اعتادت لومينا على لعب هذه اللعبة السخيقة حقاً مع أنس في القرية التي تقبع أسفل الهضبة، ولكن بعد قرنين أو أكثر من الآن. أردفت سيلين ولم تفارق الابتسامة وجهها:

- سيمسك قائد اللعبة بحجر صغير ثم سيقذف به إلى من يرغب، ويسأله سؤالاً، إن رغب اللاعب في إجابته سيخبره وإن لم يرغب سيمرر الحجر إلى اللاعب التالي ليجيب عن السؤال نفسه أو سؤال آخر، وهكذا دواليك.

تقدم مراد منهم ثم جلس بجانب سيلين فأصبح بمواجهة لومينا وتولاي، في حين نهض أنس واتجه إلى حافة الهضبة مبتعدًا عنهم. أمسك مراد بحجرٍ صغيرٍ ثم قذفه نحو تولاي فالتقطه الأخير باحترافية منتظرًا السؤال.

قال مراد بعد وهلة من التفكير:

- لماذا التحقت بالجيش الملكي؟

أجابه تولاي خافضًا من نظره وهو يحدثه:

- لأنني أعشق تدريبات الفروسية وكنت أتطلع إليها منذ الصغر يا سيدي، فمنذ نعومة أظفاري وأنا أرغب في أن أصبح رقيبًا لأدرب الفرسان الآخرين.

اختلس مراد النظر إلى لومينا التي كانت تنظر إلى الأفق غير مكترثة لنظراته من الأساس، فقال لسيلين:

- ما هي الخطوة التالية في اللعبة؟

أجابته الطيبة على استحياء:

- سيقذف تولاي بالحجر إلى شخص آخر إن رغب أو يعيدها إليك.

لم يفكر تولاي كثيرًا إذ قذف بالحجر إلى مراد، فالتقطه الأخير ثم قذف به إلى سيلين قائلاً:

- هل أنتِ مخطوبة أو متزوجة؟

استمعت لومينا وعيناها لم تتزحزح عن الأفق أمامها، تساءلت في قرارة نفسها عن تصرفاته الغريبة التي لم تكن منطقية أبدًا بالنسبة

إليها. توردت وجنتا سيلين ثم أجابته ولم تفارق الابتسامة الساحرة
مُحيّاها:

- لست مخطوبة أو متزوجة، يا سيدي.

قذفت سيلين بالحجر بسرعةٍ إلى لومينا ولكن الأخيرة لم تكن
منتبهة لذا سقط الحجر على الأرض فالتقطته ثم نظرت إليها بانتظار
السؤال.

سألته سيلين:

- هل تشعرين بالرضا والسعادة؟

تجهم وجه لومينا للحظات ثم ابتسمت ابتسامة سمجة متطلعةً
إلى سيلين قائلةً باستهزاء:

- أنا أكثر الأشخاص سعادةً على وجه الأرض!

يعلم الجميع أنها تسخر من سيلين فساد جو ثقيل من التوتر، بدده
تولاي وهو يقول للومينا:

- لتلقي بالحجر وإلا قتلنا الملل.

ألقت بالحجر إليه ثم قالت بعد برهة:

- من هي تلك الفتاة التي تحدث عنها صديقك المغمور في الحانة
بالأمس؟

لم يتوقع تولاي هذا السؤال لذا ألقى بالحجر إلى مراد بسرعة
فالتقطه الأخير، سأله الأول غير مبالي:

- هل أحببت من قبل يا سيدي؟

تفاجأ مراد بالسؤال ولم يتوقعه أبدًا، ولكن تولاي تفاجأ من نفسه أكثر منه؛ لذا قال نادمًا:

- أعتذر منك سيدي فأنا لم أقصد أن...

قال مراد بسرعة مقاطعًا إياه:

- لا عليك، إنها لعبة ولها قواعد وسنلتزم بها جميعًا، أليس كذلك؟

أوماً تولاي وسيلين على الفور في حين حدقت به لومينا فبادلها النظرات قائلًا:

- نعم يا تولاي، لقد أحببت فتاة من قبل.

ساد الصمت لوهلة ولكن صوت مراد جاء ليبدده قائلًا وهو ينظر للومينا بوجه خالٍ من أي تعبير:

- ولكنني لم أعد أحبها!

سليستيا

لماذا لست مندهشة؟ لماذا اعتدت على الشعور بالخذلان؟ هل يحق لي أن أغضب لأنه لم يعد يحبني كما يقول؟ هل أنا السبب في تعاستي حقًا؟ كل ما فعله مراد حتى الآن يثبت صدق كلامه، فهو ليس بمغفلٍ حتى يُفني حياته في أطلالي. كان ينظر لي بتحدٍ وشماتة وكأنه يشعر بذروة سعادته لرؤيتي تائهة حزينه هكذا.

ألقي مراد بالحجر إلى سيلين ثم سألها:

- هل أحببت من قبل؟

ألقت سيلين على الفور بالحجر إلي وكأنها تمرر السؤال لي لإجابته، فأجبتها بلا تفكير:

- نعم، لقد أحببت من قبل.

سألني تولاي بترقبٍ وقد بدا القلق على ملامحه:

- هل ما زلت تحبينه؟

كان سؤاله الذي سأله بسرعة غريبة بعد انتهائي من جمليتي غريب للغاية. شاهدت مراد ينظر إليه شزراً في حين قطبت سيلين جبينها، حتى أنس التفت ينظر إليه ثم عاد يراقب الأفق ثانية. هل أجيبه الآن أو ألقى بالحجر إلى شخص آخر لتجنب السؤال؟ هل أتحدى بالشجاعة وأخبرهم أنني غارقة في العشق أو أظهار بأنني لا أكرث إلى ذلك الذي دق القلب له وحده؟

أنقذني صوت ميرون من هذا المأزق عندما قال وهو يمسك

بأرنبيين بريين مذبحين على ما يبدو، وجرة من المياه:

- لقد أتى الطعام والشراب.

خيم الصمت على المكان ومراد وتولاي ينظران لي بانتظار إجابتي، ولكنني نهضت ثم أخذت الأرنبيين من ميرون قائلةً بمرح مزيف:

- والآن لأمارس سحري الخاص.

تقدم مني ميرون قائلاً:

- لن نفعل بالطبع فإن طهوناها هنا سيرى حراس المدينة النيران وبهذا سنكشف عن مكاننا وسنقع في المتاعب؛ لذا اتبعوني إلى ذلك الكهف الذي عمرت عليه في الغابة، إنه مهجور فلا أظن أن أحدًا يسكن فيه.

لم أفتح فمي لأتكلّم فأشار ميرون إلينا لنتبعه إلى الغابة. كنا نسير في الغابة بصمتٍ وكأننا غرباء لا نعرف بعضنا البعض. تبادل مراد النظرات معي بين الحين والآخر ولكنني حاولت بصعوبةً بالغة أن أتجنب النظر إليه. يبدو أن هذه الغابة مهجورة؛ فأشجارها ذابلة والشمس لا تسطع فيها بوضوح كما تفعل في أطرافها حيث كنا عند حافة الهضبة. من أين أحضر ميرون الأرنبيين؟ أنا لا أرى حيوانًا واحدًا هنا! ربما أحضرهما من مكانٍ آخر؟

وصلنا إلى الكوخ الذي كان مهجورًا حقًا كما قال ميرون، ولكن ما بداخله أصابني بالإحباط؛ إذ لم يكن هناك أثاث ولكن الحشرات المقززة حلت محله.

قال ميرون:

- لا تخافوا منها! سأقتلها الآن.

أخذ عصا الظلام من مراد ولكنه قبل أن يوجهها نحو الحشرات اعترض أنس طريقه قائلاً:

- لن يُقتل أحد أو شيء الآن، أعطني هذه العصا وسأمرهم بالابتعاد وعدم الرجوع إلى هنا ثانية.

نظرنا إليه بتعجبٍ مما يقول! لماذا لا يرغب في قتل الحشرات المقززة وهو من قتل عشرات من الأشخاص بمملكة الشمال؟ هل يمازحني الآن؟ هل تاب أنس عما فعله؟ نظرت إليه ولكنه أشاح بوجهه بعيداً عني ثم أمسك بعصا الظلام وقال وهو يوجهها نحو الحشرات التي كانت تزحف في كل مكان:

- اخرجي من الكهف ولا تعودي مرةً أخرى!

كرر جملة مرتين فزحفت الحشرات فجأةً إلى خارج الكهف مما جعلني أندesh كثيراً، فعصا الظلام هذه مخيفة للغاية؛ إذ بإمكانها من بين أشياء أخرى أن تجعل حاملها هو المسيطر على أفعال من أمامه. فتحت سيلين إحدى الحقائب ثم أخرجت منها مفرشين فرشتهما على الأرض. خرجت من الكوخ أحمل الأرنبين فساعدني ميرون في إشعال النيران في الحطب الذي قطعه تولاي لنا بسيفه من إحدى الأشجار المجاورة.

بعدما أشعل ميرون النيران بتلك الكرة النارية التي خرجت من يده، تركني وذهب إلى أنس يتحدث معه في أمرٍ ما لم أتبينه. كانت

سيلين تتحدث مع مراد وهما يبتسمان، في حين جلس تولاي وحده غارقاً في همومه فوجهه كان حزينًا جدًا. عندما نضج الطعام أكلنا في صمتٍ ولكن تولاي قال بعد أن انتهى:

- لم أجرب سوى الحساء الشهير الذي اعتدتِ على طهيه في الحانة، ولكن هذا الأرنب لذيذ للغاية يا لومينا، أنتِ طاهية بارعة حقًا.

ابتسمتُ بخجلٍ ولكن ابتسامتي تلاشت عندما قال أنس بنبرة تنم عن الحزن الشديد:

- إنها رائعة في كل ما تفعله.

لا أدري لماذا نهض مراد من مكانه فجأةً وكأن ثعبان لدغه! لم أكرث لتصرفاته وأكملت تناول الطعام حتى انتهيت ثم دخلت الكوخ بعد إخماد النيران. بعد أن دخلت الكوخ تفاجأت بهم يدلفون واحدًا تلو الآخر فاستلقينا جميعًا على الأرض فوق المفارش محاولين النوم حتى تغيب الشمس. ظللت أنظر إلى مراد وهو نائم حتى غفيت بدوري وكأنه تهويده أطفال تجبرهم على الاسترخاء، فكان النظر إلى ملامح وجهه الهادئة يجعلني أشعر بالسكينة التي افتقدتها مؤخرًا!

أظن أن كابوشا راودني لأنني استيقظت فزعة وأنا أشعر بالبرد ينخر في عظامي فاعتدلت في جلستي لأتفاجأ أنني وحدي بالكوخ! أين ذهب الجميع؟ كان الظلام منتشرًا في المكان، فيبدو أن الشمس غابت ليحل محلها القمر المنير في السماء خارج الكوخ. لا أذكر أنني رأيت الضباب الكثيف ينتشر في الأرجاء عندما دخلنا الكوخ لأول

مرة.

توهجت قلاذتي فأمسكتها ألتمس منها الحماية. كانت هناك أصوات غريبة قادمة من خارج الكوخ، فتوقفت عن التنفس لأنصت إليها. يبدو أن هناك من يعزف على الآلات الموسيقية ولكن الأصوات الخارجة منها كانت مفزعة بحق. انقبض قلبي وأنا أصغي إلى الموسيقى المرعبة، ولكن ما زاد هلعي حقًا هو الاستماع إلى صرير باب الكوخ الذي رأيته يُفتح ببطء شديد محدثًا في جسدي قشعريرة لم تتوقف إلا عندما توقف كل شيء فجأة، فساد الصمت المخيف المكان!

انتفضت في مكاني هلعًا وانطلقت مني صرخة كافية لأن تسبب الصمم لمن يسمعها عندما قُرعت أجراس السماء! نهضت من مكاني أحاول بصعوبة أن أنتصب لأتوجه نحو الباب ففعلت بعد عناء. عندما خرجت من الكوخ رأيت أغرب مشهد من الممكن أن أراه في حياتي!

كانت السماء خاوية إلا من النجوم والقمر المنير ولكن السحب لم تكن منتشرة فيها كالعادة بل كانت في مكان آخر. تجمعت السحب أمام الكوخ مكونةً نفقًا مجوفًا مفتوحًا من الجهتين انبعث نور وهاج من نهايته البعيدة عني. دارت السحب حول نفسها لذا اتجهت إليها ووقفت أمامها أراقبها بانبهار يشوبه الرهبة من ذلك المشهد العجيب الذي لم أر مثله من قبل! انبعثت من داخل السحب أصوات لأشخاص يتحدثون، لذا اقتربت منها حتى أستمع بشكل أفضل. ازداد النور توهجًا كلما اقتربت منه وكأنه يناديني لأتبعه!

دخلت إلى النفق الذي تخله بعض من صواعق البرق فارتعدت أوصالي لهذا المشهد المرعب. كلما اقتربت من النور ارتفعت الأصوات وأصبحت واضحة، ولكنني صرخت فجأةً لأنني سقطت من نهاية النفق! كنت أسقط من ارتفاع شاهق فصرخت بفزع حتى كدت أتقيأ حنجرتي من فرط الصراخ. ظللت أصرخ هكذا أثناء سقوطي بسرعة شديدة نحو جزيرة مضيئة بالأسفل. كان الهواء باردًا ولكنني لم أشعر بشيء سوى بالذعر لأنني على وشك الموت بأبشع الطرق التي تخيلها عقلي من قبل.

سقطت لما يقرب من الدقيقة الكاملة ولكنني توقفت فجأةً في الهواء وأصبحت على مسافة قريبة من تلك الجزيرة المضيئة. ظللت معلقة هكذا لعدة ثوانٍ أخرى فراقبت المكان بالأسفل بذهول؛ تراصت على الجزيرة بعض المباني ذهبية اللون وانتصب في منتصفها قصر يقف بشموخ الملوك مصنوع من الزمرد المطعم بالذهب، أما أطرافها فتساقطت منها الشلالات الملونة، ولكنني انبهرت بالمشهد عندما تتبععتها إلى الأسفل.

صبت الشلالات في بحرٍ من العقوب التي تشبه تلك المميزة لسحرة النور ولكنها أكبر بكثير، تتخللها الألوان الغريبة التي لم أر لها مثيلاً من قبل. كان مشهدًا بديعًا بحق ولكنه مخيف للغاية لأنني شعرت بغصة في قلبي عندما تذكرت أنني معلقة في الهواء هكذا.

لا أدري لماذا شعرت أنني رأيت هذا المشهد من قبل! الآن أتذكر، لقد رأيت تلك العقوب الملونة من قبل بالفعل عندما فتحت القلادة في معركة النبلاء. لا أظن أن ما تصبه الشلالات في بحر العقوب الملونة

مياه على الإطلاق بل هو شيء آخر تمامًا ولكنني لا أعرف ما هو،
فعلى الرغم من أنه سائل كالمياه فإنه ملون بألوان كثيرة وغريبة في
الوقت ذاته.

تزينت الجزيرة بالعديد من الأشجار والأزهار الملونة التي انتشرت
في كل مكان فيها. ارتفع صوت الموسيقى المرعبة ولكنني تمكنت
من تمييز أصوات أخرى غيرها. هل هذه ترانيم؟ هل سكان الجزيرة
يترنمون على ألحان تلك الموسيقى المفزعة؟

كيف سأهبط دون أن أموت؟ ظللت معلقة في الهواء هكذا لدقيقة
أخرى حتى استكملت السقوط فجأةً فصرخت بهلع، والمدهش في
الأمر هو أنني لم أجد من ينقذني. أين سكان الجزيرة فأنا لا أراهم؟
كنت أصرخ فينفذ الهواء البارد إلى صدري محدثًا ألمًا شديدًا لم
أتحملة.

اقتربت من الأشجار وأنا أسقط فارتطمت أوراقها بوجهي تاركةً
كدمات آلمتني جدًا. توقفت عن الصراخ فجأةً عندما توقفت عن
السقوط للمرة الثانية. نظرت إلى ما بأسفلي فرأيت أن أرض الجزيرة
تبعد عني بمسافة قصيرة للغاية؛ لذا انتهزت الفرصة وحاولت أن
أقف على رجلي عندما أسندت يديّ على إحدى الأشجار.

وقفت لوهلة ألتقط أنفاسي ثم نظرت إلى المكان من حولي لتسير
في جسدي قشعريرة من المنظر الخلاب الذي أقف في منتصفه.
رفرفت الفراشات الجميلة الملونة بأزهى الألوان في الهواء، فكان
بعضها يحاول الاقتراب مني والبعض الآخر يبتعد متجهًا إلى الينابيع
التي كانت المياه تنبعق منها على فترات. هل سقطت في الجنة أو

أنني أحلم؟

كان المشهد بديعًا للغاية؛ فألوان الزهور حمراء زاهية والبعض منها أرجواني اللون يبعث على السعادة والطمأنينة. افترشت الحشائش الخضراء الأرض الرطبة من أسفلي بسبب رذاذ المياه المنبثق من الينابيع. داعبت الرياح الزهور والأشجار بين الحين والآخر، ولكن ما أثار انتباهي حقًا هو جدول المياه الذي يقع أسفل جسر خشبي صغير نسبيًا يبتعد عني قليلًا.

اتجهت إليه فتفاجأت أن صوت الموسيقى والترانيم يعلو كلما اقتربت من الجسر الذي زادته الزهور الزرقاء والبيضاء جمالًا على جماله! عندما خطت قدمي أول خطوة أسفل الجسر شعرت أنني على وشك أن أفقد الوعي لأن جميع الأشخاص الواقفين أمامي ينظرون إلي! تسمرت في مكاني ولم أنطق بكلمة في حين اخترقتني نظراتهم الغريبة ونفذت إلى روحي.

تقدمت واحدة منهم ثم قالت لي بحدّة وهي تخفض من صوتها:

- لماذا تأخرت هكذا؟

ظننت لوهلة أنها تمازحني، هل تتحدث معي وتراني كما أراها؟ التفث حولي أبحث عن شخص ما ولكنني كنت الوحيدة التي تقف أمامها، وهذا يعني أنها تراني وتتحدث معي حقًا! لقد اعتدت على حدوث الأشياء الغريبة التي لا تحدث لأحد سواي فلم أندهش كعادتي.

سألتها وأنا أجاريها:

- تأخرت على ماذا بالضبط؟

ارتفع حاجباها استغرابًا ثم قالت:

- هذا ليس بالوقت المناسب لمزاحك السخيف، هلمي قبل أن يراك
"ليونيد"!

سألتها بسذاجة:

- من؟

رمقتني الفتاة بنظرة جعلت الدم يهرب من عروقي هلعًا ثم قالت
بصرامة:

- هل نسيت من يكون ليونيد؟ ليونيد هو الملك المعظم أيتها
السمجة!

بالطبع هو الملك وأنا الفتاة السمجة حقًا التي سيقتلها فضولها
يوميًا ما، هذا على اعتبار أنني في قيد الحياة من الأساس.

ابتلعت ربقي ثم حاولت أن أجاريها وأنا أبتسم قائلة:

- معذرة، كنت أراقب الفراشات وهي ترفرف بقرب الجسر.

عقدت الفتاة حاجبيها ثم قالت بنفاد صبر:

- هلمي الآن واقتربي قبل أن يصعد الملك إلى المنصة ويلحظ
تأخرك عن خطبته!

ما إن انتهت من جملتها حتى تحولت أنظارنا جميعًا إلى المنصة
التي تحدثت عنها المرأة، وهي ساحة مرتفعة عن الأرض قليلًا بها

بعض الدرجات المعدودات حتى تصل إليها، انتصبت أربعة مشاعل
نارية في كل طرف منها.

وقف رجل في العقد الرابع من عمره مهندم العياب يرتدي عباءة
بيضاء اللون فوق ملابسه الجميلة التي أكاد أجزم أنها تتوهج بالنور
أو النيران البيضاء المميزة لسحرة النور. الغريب في الأمر هو أنني
لاحظت أن جميعهم يرتدون ملابس يشع النور منها وفوقها عباءة
بيضاء كالرجل الذي صعد إلى المنصة، ولكن ما أثار هلعي هو أنني
نظرت إلى ثيابي فتفاجأت أنني أرتدي مثلهم!

نظرت إلى الرجل على المنصة وهو يقول بثقة:

- الفضول!

كانت الكلمة كفيلة بأن تجعلني أبدو كالمذنبين! تحاشيت النظر في
عينيه وهو يقول مجدداً وهو يضغط على كل حرف:

- الفضول، الفضول خطيئة حقاً!

ساد الصمت لوهلة قطعته كلامه عندما أردف:

- لماذا تحذرننا النبوءات من الاحتكاك بالعوالم الآخر؟ لأنهم
فضوليون يرغبون في معرفة كل ما يدور من حولهم.. أترون؟ أحياناً
ما يصبح الجهل بالأمور نعمة لا يقدرها أحد، فالفضول يؤدي إلى
الخطيئة والخطيئة تهوي بنا في غياهب السحر الأسود الذي تعلو
قضبانه المحيطة بنا فلا نتمكن من الفرار.

توقف ليونيد عن الكلام فرفعت نظري إليه أراقبه لأتفاجأ بعينين
زرقاوين تحدقان بي! تبادلت النظرات معه فلاحظت شبح ابتسامة

منتصرة لم أفهمها ترتسم ببطء على مَحْيَاه، ولكنني سرعان ما أدركت أنه كان يقصدني بكلامه منذ قليل فغاص قلبي في بحور من الخوف، ولكنني أعدت النظر في الأمر فاكتشفت أنني لم أفعل شيئاً لأحاسب عليه، أليس كذلك؟ أو أنني فعلت؟

تعالّت أصوات الآلات الموسيقية بغتةً فتراجعت خطوة إلى الخلف بهلعٍ وأنا أنظر إلى العازفين، ولكن أنظاري تحولت بعدها إلى ذلك اللوح الصخري الذي تجلى من أسفل المنصة. وقف شاب عاري الجذع مصلوب يرتدي سروالاً أبيض اللون ملطخاً بالدماء منكس الرأس وكأنه فاقد للوعي فوق ذلك اللوح.

قال ليونيد وهو يتقدم من ذلك الشاب المصلوب ولكن نظراته لم تفارق وجهي:

- إن من يقف أمامكم الآن لهو ضحية الفضول الذي سيتسبب في حرقه حيّاً!

اتسعت عيناى من الفرع والدهشة، ولكنني لن أنسى نظرة الرعب في عين الشاب الذي ما إن سمع كلمة الحرق حتى رفع نظره إلى ليونيد يتطلع بذعر إلى وجهه. تمتم الشاب بكلماتٍ غير واضحة ثم حاول أن يحرر يديه من السلاسل المعدنية ولكنه عجز عن فعل أي شيء.

تفاجأت بنفسى وأنا أسير غير مبالية بأي شيء إلى المنصة لكي أقول وقد تعالى صوتي:

- لماذا نعد الفضول خطيئة؟

أقسم أنني لم أرغب في التدخل في الأمر برمته، ولكنني تحدثت
كالمسحورين مسلوقة الإرادة، وكأن هناك من تلبسني ليتحدث
بالنيابة عني أو ليستغل جسدي في الحركة ولساني في التحدث.

أردفت بلا إرادة:

- الفضول هو الشيء الوحيد الذي يجعلنا نكتشف ونتعلم الأشياء
الجديدة بل نبتكرها بحق "سليستيا".

ما الذي أقسمت به الآن؟ كنت أتصرف بغرابة جعلتني أخاف كثيرًا
لأنني فقدت السيطرة على جسدي بأكمله. أردفت قائلة بقلبي نابض
بالهلع وأنا أنظر إليهم موليةً ظهري إلى المنصة:

- لا يجب أن يدفع المرء ثمن فضوله، فإن نظرتكم حولكم ستجدون
أننا نعيش على جزيرة غريبة للغاية ولكن أحدًا منكم لم يتساءل
قط عن مكانه في هذا الكون بأكمله، لماذا تعاقبون الآن ذلك الشاب
البريء الذي لم يفعل شيئًا خاطئًا سوى أن حظه السيئ جعله
يكتشف ما حوله فأتى إلى هنا لاكتشاف مملكتنا المعظمة سليستيا؟
أليس هذا ظلمًا بيئًا؟

صَفَّق ليونيد ببطء فارتجفت قليلًا وأنا أحاول أن ألتقط أنفاسي
فتهدج صوتي وأنا أستطرد:

- إن كان هناك من ينبغي أن يُحاسب على شيء خاطئ اقترفه فهو
ذلك الشخص الذي كتب تلك النبوءات السخيفة عن كيفية العيش
على جزيرة سليستيا!

ارتفع صوت ليونيد من خلفي:

- ومن ذلك الشخص؟ تقصدين من بالضبط يا "أدلين"؟

كان يقف خلفي مباشرةً فشعرت بأنفاسه الحارة من فرط الحنق تلفح عنقي، ولكنني تجاهلته قائلةً أحدث الجمع المتجمهر أمامي:

- لم أقصد شخصًا بعينه بل قصدت أنه من الظلم أن يُحرق ذلك الشاب وهو لم يفعل شيئًا سوى أنه أتى إلى هنا لاكتشاف عالمنا. أخبروني الآن ما الخطأ الذي اقترفه حتى يُعاقب بهذا الشكل المؤلم؟

لا أدري لماذا هربت دمعة حزينة من سجن عيني، ولكنني مسحتها حتى لا يراها أحد. قال ليونيد بهدوءٍ جعلني أخاف كثيرًا:

- إن كنتِ ستجادليننا في العدل، ألا تظنين أنه من الإنصاف أن يُقتل الشخص الذي غادر سليستيا وهبط إلى الأرض تاركًا الثقب الزمني مفتوحًا لذلك الشاب ليدخل فيه مكتشفًا أسرار عالمنا؟

انعقد لساني وتاهت الكلمات في حلقي فلم أستطع أن أجيبه. اقترب من أذني قائلاً وهو يهمس:

- نعم، كما ظننت، ستصمتين ولن تجيبي سؤالي!

احتشد الدم في رأسي فصحت قائلةً بحنقٍ عندما استدرت لأواجهه:

- لا!

نظر إليّ غير مصدقٍ لنبرة صوتي العالية ثم قال وهو يقترب مني أكثر:

- ماذا؟ ما زلتِ تعترضين؟ حسناً، إليك الأمر! إن لم تصمتِ
فسأقطع لسانك أمامهم جميعاً!

قلت بإصرار:

- فلتقطع لساني يا سيدي حتى ينبثق لي لسانين أنطق بالحق بهما،
واكتم أنفاسي حتى أتنفس أكر وأنا أصارع الشر والظلم، ولتطفئ
شعلة حماسي حتى أتوهج ثانية لأبيد ظلمك وظلامك معاً، فلتلملم
حروف كلماتي المتناثرة في حلقي ثم ألق بها في بحر الصمت
لأغوص فيه بحثاً عنها لأشكل كلماتي التي ستخترق قلبك كالسيف!

تجاهلني ليونيد ثم توجه إلى الشاب الذي اتسعت عيناه فزعاً
عندما رأى الأول يقترب منه وجسده متوهج بالنيران البيضاء التي
رأيتها تتوهج من جسدي أنس ومراد كميّراً فأدركت أن الأوان قد
فات. لم أستطع تحمل صرخات الشاب وهو يُحرق حيّاً، تنفسْتُ
بسرعة وأنا أشاهد النيران تأكل جسده الذي سرعان ما تحول إلى
اللون الأسود على الفور.

كانت صرخاته البشعة تؤلمني بحق فخارت قواي ولم تتحملني
رجلاي؛ لذا فقد وقعت على الأرض أختبئ لعل جسد المرأة التي تقف
أمامي يحجب عني رؤية المصلوب المحترق. سارت الدموع ببطءٍ
على وجنتي وأنا أتمتم بصوتٍ منخفض:

- أرغب في العودة، أتوسل إليكم أرغب في العودة!

اقترب ليونيد مني على حين غرة وقال وهو يمسك بذراعي
فأجبرني على النهوض عنوةً:

- فلتشاهدي ثمن الفضول يا أدلين!

أمسك برأسي وهو يرغمني على مشاهدة الشاب الذي تحول لون جسده بأكمله إلى اللون الأسود. خفتت صرخاته رويدًا رويدًا وما زال ليونيد ممسكًا برأسي لأشاهد مرغمة. شاهدت الجثة المحترقة أمامي بعينين مغرورتين بدموع الألم والهلع!

اقترب ليونيد من أذني ثانية وهو يهمس:

- لقد رأيتك وأنت تتسللين إلى الثقب الزمني.

التفتُ غير مبالية بالألم الذي سبَّبه لي إمساكه برأسي بهذا الشكل وصحت في وجهه:

- سأقتلك يومًا ما وأنت تنظر لي بخوف!

اتسعت عيناه دهشةً لما سمعه ولكنني تفاجأت أكثر منه عندما احتلتني الشجاعة وأخرجت الكلمات الباسلة في ظاهرها والساذجة في باطنها إلى الملاء. تعالت الهمهمات من الجمع المتجمهر أمام الساحة استنكارًا واندهاشًا لما أتفوه به.

شدد ليونيد من قبضته وهو يمسك بشعري الذي لاحظت لأول مرة أن لونه أصبح ذهبيًا عندما انحلت الشريطة الحمراء التي ربطته. كان يدفعني إلى الأمام ضاغظًا عليه فتألمت كثيرًا وظللت أصرخ وأنا أبكي أتوسل إليه ليركني ولكن هيهات!

دفعني إلى حافة الجزيرة عند تلك الشلالات التي تصب في بحر الثقوب الملونة، وعندما وصلنا إليها توقف عن دفعي وهو يهمس بغیظ:

- هل ترين تلك العقوب؟ بداخل كل ثقب يجتمع أشخاص أغبياء لا يفهمون الكون كما نفهمه نحن. إنهم يعيشون ليتناولوا الطعام والشراب وليتكاثروا فقط، لا يهمهم أي شيء آخر! نحن من نصنع المجد، نحن من نعيد تصحيح الأمور، نحن الأسياد يا أدلين وهم عبيدنا، نحن حماة عرش الزمن!

توقف عن الكلام لبرهة ثم أردف:

- بينما أنت، لست منا من الآن فصاعدًا، وتذكري دائمًا أنني أراك!

صحت قائلةً بغضب:

- ليس لأن الإله ميزنا عنهم بقوى النور، يحق لنا استخدامها لصالحنا وعوالم البشر تنهار وتحترق عن بكرة أبيها، لأن أمثالك يعتقدون أنهم أسياد الكون وما هم دون ذلك عبيد! لا، يا سيدي... أنت مخطئ تمامًا!

لم ينطق بكلمة أخرى لأنه دفعني إلى الهاوية. لم أشعر بأطرافي من شدة البرودة وأنا أسقط من جزيرة سليستيا. خرج صوتي أخيرًا عندما صرخت بكلمة واحدة:

- أبي!

ظل صداها يتردد في السماء وأنا أسقط لفترة من الزمن محاولة استيعاب الموقف برمته. هل ما يدهشني هو سقوطي إلى المجهول هكذا؟ أم مناداتي لذلك الوغد الذي دفعني بأبي؟ رأيت أشياء غريبة للغاية وأنا أسقط، فعلى يميني ثقب زمني يحدث بداخله حرب دامية يتصارع الجنود فيه ويقتلون بعضهم البعض، وعلى يساري

تنشب حرائق الغابات وتتصاعد النيران إلى السماء فيُختنق الأطفال في الأكواخ. كانت الثقوب جميعها تعرض لي مشاهد مخيفة للغاية يشتعل لها الرأس شيئًا.

لماذا يرفض صوتي إطاعتي؟ أرغب في الصراخ ولكن صوتي لا يرغب في الخروج. سأموت فور ارتطام جسدي بالأرض على الفور ولن أتألم، أليس كذلك؟ ولكن القدر شاء ألا أموت لأنني سقطت في إحدى الثقوب الزمنية ثم إلى البحر فغصت في أعماقه لفترة من الزمن حتى شعرت أنني سأغرق في مياهه المظلمة والباردة، ولكن ذراعين قويين أمسكا بي حتى صعدت إلى السطح وأنا ألث بحثًا عن الهواء.

قال الشخص الذي أنقذني وهو يمस्क بي حتى لا أغوص في الأعماق ثانية:

- لا تخافي، سأصبح معك حتى الشاطئ.

كان شابًا في العشرينات من عمره، شعره أسود كالليل وبشرته حنطية، له عينان زرقاوان زادت من وسامته. تشبعت بكتفه فسبح وسحبني معه، وبمجرد أن لامست قدمي الرمال مشيت في البحر حتى وصلت إلى الشاطئ فاستلقيت على الرمال وأنا أتنفس بسرعة حتى هدأت أنفاسي أخيرًا بعد برهة من الزمن.

جلس الشاب بجانبني وهو يتأملني ثم قال:

- ما الذي حدث؟ لقد كنت أقف بانتظار السفينة المحملة بالأسماك على المرفأ ولكنني رأيت شيئًا يسقط في البحر فقفزت بسرعة لألحق

بك!

راقبت المكان من حولي بدهشة ثم سألته:

- أين أنا؟

قطب الشاب جبينه ولكنه أجابني على كل حال قائلاً:

- هل تمزحين معي؟

نهضت وأنا أنظر إلى السماء بغضبٍ عندما استعاد عقلي نظرات أبي وكلامه المسموم لي. اعترتني موجةٌ من الغضب جعلتني أرفع يدي لإطلاق كرة من النار حتى أهدأ فانطلقت إلى البحر والشاب يراقبني بذهول.

قال لي مذعورًا:

- رُحماك يا إلهي! من أنت؟

يبدو أن روح لومينا تسلمت زمام الأمور لأنني سألته قائلةً:

- هل تعرف أي شيء عن سحرة النور؟

عبس وجه الشاب وهو يقول:

- سحرة النور؟ هل هذه مزحةٌ ما؟

لقد أدركت الأمر الآن، لقد هبطت أدلين في مكانٍ لا يعرف شيئًا عن السحر. نظرت إلى الشاب أتأمل ملامحه الهادئة ولا أدري لماذا شعرت بانجذابٍ نحوه. شعرت أن قلبي سيدق لأجله من الآن فصاعدًا!

مذبحة التطهير

فتح مراد عينيه بعد أن سمع أصوات جلبة قادمة من خارج الكهف، اعتدل في جلسته ونظر بعين نصف مفتوحة إلى ذلك الركن البعيد الذي تنام فيه لومينا بجانب سيلين فاتسعت عيناه لما رآه. كان جسد لومينا ينتفض وهي نائمة وكأنها محمومة فكان يهتز بقوة غريبة. نهض مسرعًا واتجه إليها ثم انحنى ليوقظها بهدوء، ولكنها استيقظت وهي تصرخ أعلى صرخة سمعها في حياته.

قال لها محاولاً تهدئتها:

- لقد كان كابوشا، أنت بخير!

نظرت إليه بفزع وهي تتنفس بسرعة ثم تحولت أنظارها إلى شريطة الشعر الحمراء التي أمسكت بها في يدها. إن كان كابوشا كما قال مراد فكيف لها أن تمسك بشريطة الشعر هذه وهي لم ترها من قبل؟ تسببت صرختها في إيقاظهم جميعًا فتوجه تولاي إليها وهو يسألها بقلق:

- ماذا حدث؟

وقف مراد ثم اتجه إلى ميرون قائلاً:

- لقد غابت الشمس، ألن نتوجه إلى ذلك المستنقع؟

أوما ميرون ولكنه نظر إلى لومينا باهتمام شديد. اعتدل أنس في جلسته ثم نظر إليها بتعجب ولكن ما أثار انتباهه حقًا هو تلك الشريطة الحمراء التي أمسكت بها محمقةً فيها بذهول. توهجت

قلادتها وارتفع صوت الأنين منها فرفعت نظرها إليهم متساءلةً
بنظراتها فتقدمت منها سيلين قائلةً وهي تعقد حاجبيها:

- هل تئن القلادة أو إنني أتخيل؟

قال ميرون بشروءٍ، ولم تتزحزح عيناه عن لومينا:

- إنها تئن حقًا.

قال مراد بجزع:

- الوقت يمر، يجب أن نتوجه إلى مستنقع الأراكن حتى...

لم يكمل جملته لأن الأصوات المضطربة وخطوات الأقدام
المتسارعة والآتية من الخارج جعلتهم يتسمرون في أماكنهم
محاولين ألا ينطقوا بحرفٍ حتى لا يكشفوا عن مخابهم. كانت
الأصوات خائفة مضطربة، ولكنهم تبينوا كلمة واحدة فقط من بين
سيل الكلمات ألا وهي "الأراكن".

تبادلوا النظرات جميعًا، وحينما ابتعدت الأصوات قال ميرون
بصوتٍ منخفض:

- سأخرج لأتفقد المكان بالخارج.

اتجه إلى باب الكوخ ثم فتحه ببطء شديد، فتوهج جسده بالنيران
البيضاء ما إن فُتح عن آخره ترقبًا لأي شيء. لم يكن هناك أحد
عندما نظر يمينًا ويسارًا بحقًا عن مصدر الصوت. أشار إليهم ليتبعوه
فنهضوا من أماكنهم عدا لومينا وسيلين التي راحت تلملم المفارش
وتطويها لتضعها في حقيبتها التي تحتوي على الأدوية اللازمة

بداخلها. عندما خرجوا من الكوخ لاحظ تولاي أن لومينا لم تخرج منه فدلف إليه ثانية. شاهدها تجلس على الأرض صامتة مسندة ظهرها إلى الجدار الخشبي تنظر أمامها نظرة خاوية.

اقترب منها تولاي ثم قال بشفقة:

- لومينا، يجب أن نذهب إلى المستنقع الآن.

ظلت ساكنة دون حراك ولم تفارق نظرة الخواء عينيها، لذا عاد تولاي يقول بحزم:

- لومينا، هيا بنا!

مد يده إليها ولكنها لم تتحرك قيد أنملة؛ لذا جلس بجانبها ثم قال:

- إن لم تذهبي معنا فسأبقى بجانبك هنا!

في هذه اللحظة فقط التفتت إليه تتطلع بصمت إلى عينيها لبرهة فبادلها نظرات الحب التي حاول كبحها ولكنه فشل في كل مرة ينظر فيها إليها. في هذه اللحظة دخل مراد إلى الكوخ فتسمر مكانه عندما رآهما ينظران إلى بعضهما البعض هكذا ولكنه لم يسمح لشعور الغيرة بأن يتأجج فالوقت لا يسمح لمثل هذه الأمور.

قال بحدة:

- هل ستأتين أو ماذا؟

نهض تولاي ومد يده إلى لومينا ثانية قائلاً:

- الخيار لك، إما أن نذهب معًا إما أن نبقى معًا!

لم يحتمل مراد أكثر من هذا فخرج من الكوخ كالصاعقة التي ستحرق من يعترض طريقها. لاحظ أنس اندفاع مراد خارج الكوخ بعصبية فقطب جبينه، ولكنه أدرك سبب تصرفه هذا عندما خرج تولاي ولومينا خلفه. شعر أنس بالضيق بسبب ما يحدث مع لومينا وما زاد من غضبه هو عدم بوحها له بأي شيء. في واقع الأمر لقد كان يشعر بالغيرة من مراد وتولاي لأنها تحكي لهما أشياء كان هو أول المستمعين إليها إن لم يفعل ما فعله العام الماضي!

اقترب ميرون من لومينا قائلاً بعطف:

- أعرف أن ما تعانيين منه مؤلم وأن هذه القلادة ستتحداكي طوال الرحلة، ولكنني أتوسل إليك أن تصمدي حتى نكتشف طريقة تجعلنا ننتزعها منك بسلام.

أومأت لومينا بشروء ولم تفارق عينيها تلك النظرة الخاوية الخالية من الحياة. استدار ميرون ليواجههم جميعاً قائلاً:

- هناك أمر غريب يحدث بالمدينة ولا أدري ما هو ولكنني أظن أن الأمر متعلق بسحرة النور كما أخبرتكم من قبل، وللحق أتمنى أن أكون مخطئاً.

التفتوا جميعاً إلى أطراف الغابة عندما سمعوا صرخة عالية لأنثى تبعثها صرخات لإناث ورجال وأطفال. اضطربت أنفاس لومينا وهي تستمع إلى الصرخات فهي لم تعد تحتل ما رآته أو ما ستراه في الدقائق التالية فازدادت نبضات قلبها الذي لم يعد يحتمل الأهوال التي رأتها مؤخراً. تعالت أصوات الصراخ ثانية فتراجعت سيلين خطوة إلى الخلف فالتفت ميرون إليهم ليقول وقد هربت الدماء من

وجهه:

- هذا ما كنت أخشاه، الآن أعرف لماذا يصرخون، إنها مذبحة التطهير الشهيرة!

سأل أنس بعبوس:

- مذبحة التطهير التي غُذِبَ مئات من سحرة النور فيها؟
أوما ميرون بحزنٍ وكأن هموم الكون كلها استقرت فوق ظهره.
قال:

- تلك الصرخات هي استغاثات لأطفال ونساء ورجال لم يجدوا من يغيثهم وقتها، ولهذا السبب لا تتحلوا بالشجاعة وتحاولوا إنقاذهم من تلك المذبحة لأنها حدثت شئتم أم أبيتم، يجب أن نصب تركيزنا الآن على مستنقع الأراكن وكيفية الوصول إليه.

استمع مراد إلى الصرخات بوجلٍ جعله يتخيل ما كان سيحدث له إن لم يقتل أنس الملك السابق ونائبه بالعام الماضي. أولئك الناس يكرهون سحرة النور حقًا. تغلغل الحزن في ثنايا روحه عندما تذكر نظرات الكره التي اعتلت عين شقيقته وهي تحاول قتله فشعر بغصة في قلبه. ربما لم يكن أنس مخطئًا عندما قتلهم؛ هكذا ظن مراد في قرارة نفسه.

فتح ميرون ثقبًا أسودَ إلى حافة الهضبة خرجوا منه واحدًا تلو الآخر. وقفوا جميعًا يتأملون المشهد المرعب في المدينة الملكية، فهناك خلف أسوارها تمكنوا من رؤية الساحة وقد تجمهر العديد من الأثرياء بها لمشاهدة مجموعة من الأطفال والنساء والرجال

المصلوبين على أوتاد مصنوعة من معدن أسود اللون أياديهم
مسلسلة في كل طرف منها. كان المعدن يشبه ذلك الخنجر الذي
عمرت عليه شيرين في المكتبة. لم يكن هذا ما أذهلهم وقذف
بالرعب في قلوبهم، بل رؤية النيران المميزة لسحرة النور وهي
تخرج طوعًا وكرهًا ليمتصها الوتد المعدني الغريب. تذكر مراد الآلة
التي كان الملوك السابقين يعذبون بها سحرة النور قديمًا فسرت
القشعريرة في جسده وهو يتخيل نفسه مصلوبًا مثلهم.

قال أنس بكراهية واضحة:

- إنها تلك الآلات البغيضة التي تمتص قوى سحرة النور لتجعلهم
عاجزين عن الدفاع عن أنفسهم في حين يتلذذ أهل المدينة
بتعذيبهم.

تبادل أنس ومراد النظرات التي تحمل الكثير بين طياتها ولكن
ميرون قاطعها قائلًا بحزم:

- حسنًا، انتظروني هنا لدقائق حتى أذهب إلى القرية لأسأل عن
مكان مستنقع الأراكن.

دخل إلى الثقب الذي فتحه باحترافية وبسرعة غير اعتيادية
أبدًا ليتركهم واقفين على حافة الهضبة يراقبون المشهد المفزع في
الساحة. لم تحتمل لومينا صرخات الأطفال التي تنخلع لها الأفئدة
فجلست على الأرض موليةً ظهرها إلى المشهد المقبض ممسكةً
بقلائدتها تلتمس منها الأمان. لاحظ مراد فزعها وارتباكها فذهب إليها
ثم جلس بجانبها متطلعًا إليها بنظراتٍ تحمل معاني كثيرة.

تمت لومينا بكلمات غير مفهومة له فقطب جبينه وهو يسألها:

- آنسة لومينا، هل أنت بخير؟

نظرت إليه وكأنها تراه للمرة الأولى ثم ابتسمت له بكل ما تحمله في قلبها من عشق ولكنها لم تنطق بكلمة. زفر مراد بوجل وهو يستمع إلى أنين سحرة النور وصرخاتهم ولكن أحد النبلاء صاح يقول شيئًا ما جعل مراد ينهض ليتجه إلى حافة الهضبة ليستمع مرة أخرى إليه وهو يقول:

- لم لا نقتلهم دون تعذيب؟ إنني أحلم ليلاً بهذه الصرخات المفزعة. لم لا تفهمون أن تعذيبهم لن يفيدكم بشيء؟ ألا يكفي ما نسمعه عن مستنقع الأراكن؟

تقدم أحد النبلاء من الرجل ثم قال بصرامة:

- تلك الخرافات التي يتغنى بها القرويون لا تعنينا في شيء، وإن كنت تشعر بالشفقة عليهم فاسمح لي أن أضرب على أوتار ذكرياتك الحميمة وأعود بك إلى الماضي قليلاً لأذكرك بمنزل السيدة "ليليان" التي كانت تربي أطفالاً أيتامًا بلا أبٍ لحمايتهم، وهؤلاء الأوغاد...

أشار إلى سحرة النور المصلوبين خلفه ثم أردف:

- هؤلاء الأوغاد أحرقوهم وهم ما زالوا على قيد الحياة!

ساد الصمت المكان لبرهة قطعه الرجل وهو يستطرد قائلاً:

- لذا، إن كنت ترغب في الانضمام إليهم الآن فانطق بالكلمة وأعدك أنني سأريحك من العذاب.

خرس الرجل ولم ينبس ببنت شفة بل غادر الساحة منكس الرأس
مهمومًا فأردف الرجل الصارم:

- نعم يا عزيزي، ارحل.

أشار الرجل للحراس للاستمرار في تعذيب سحرة النور فعادت
الصرخات المروعة يتردد صداها في سماء مملكة الشمال. غطت
لومينا أذنيها بكفتي يديها وهي تنظر إلى الأرض أمامها ولم تتزحزح
من مكانها وظلت على هذه الوضعية حتى أتت سيلين تجلس
بجانبيها لتربت على كتفها بشفقة. كور أنس قبضتيه وهو ينظر إلى
المشهد المفزع بغضبٍ عارم.

في تلك الأثناء في القرية كان ميرون يجول أزقتها مراقبًا
القرويين وهم جالسين مغمومين أمام أكواخهم بانتظار توقف
الصرخات المؤلمة. اقترب من امرأة عجوز تجلس القرفصاء أمام
كوخها تبكي ويرتعش جسدها ربما من البرد أو المرض؟ لم يكن
متأكدًا! جلس بجانبها ثم قال:

- هل أنت بخير يا أمي؟

بعينين زائغتين تطلعت إلى وجهه عاقدةً حاجبيها فازدادت
تجاعيد وجهها التي نتجت عن أعوام من الكد والفقر والجوع. كرر
سؤاله عليها لم تسمعه فقالت المرأة العجوز بصوتٍ متهدج:

- لم يكثر أحد من قبل فلم تفعل أنت يا ولدي؟

اقترب منها ميرون ومسح دموعها المنهمرة على تلالٍ من التجاعيد
التي اعتلت وجهها ثم قال بابتسامة حزينة:

- لقد أخطأوا عندما تجاهلوك يا أمي!

مدت العجوز يدها المرتعشة لتمسح على وجهه ثم قالت بحنان
يفتقده ميرون كثيرًا:

- أنت تشبه ولدي الأصغر يا بني. لقد مات في الحرب السوداء،
نصحته ألا يذهب إليها ولكنه قال نداء الواجب يا أمي هو من
يناديني، فالساحر الأسود يغتصب مملكتنا الحبيبة ولا بد من
تخليصها من كل معتدٍ. ذهب فلذة كبدي ولم يعد، ولكن واحدًا من
سحرة النور أخبرني أنه مات ميتة مشرفة فظللت أسأله كل يوم عن
ابني الحبيب وكان يحكي لي ولم يكل أو يمل أبدًا.

صمت قليلًا وكأنها تتذكر الكلام الذي ترغب في إخبار ميرون به
ثم قالت:

- امرأة طاعنة في السن مثلي تنسى كثيرًا يا ولدي ولكن ساحر
النور ذاك لم ييأس بل ذكرني بولدي كل يوم، ولكنه الآن يُعَذَّب في
الساحة وسيقتل لأنهم اكتشفوا أمره.

انتحبت العجوز فلم يحتمل ميرون بكائها أكثر من هذا. قال:

- ستصعد أرواح سحرة النور إلى السماء لتنضم إلى روح ابنك
فينعموا جميعًا في مكانٍ أفضل بكثيرٍ من هنا.

صمت ميرون قليلًا ثم سألها:

- عذرًا يا أمي إن كنت أرهقتك بالكلام ولكنني بحاجة إلى معرفة
مكان مستنقع الأراكن!

توقفت العجوز عن النحيب ورفعت عينيها المتسعيتين عن آخرهما إليه، لتنظر إليه نظرات متعجبة مذهولة، فاستغرب ميرون وسألها:

- ماذا؟

سألته بفرع:

- هل ترغب في الموت يا بُني؟ إنه مستنقع الموت!

- لماذا؟ ما الذي يخيفك هكذا؟

اقتربت منه العجوز وهمست بصوت خافت:

- إنها الأراكن الحزينة، إنها تقتل من يقترب من مستنقعها ليلاً.

قطب ميرون جبينه متسائلاً:

- من هي الأراكن ولماذا تقتل من يقترب من مستنقعها؟

انتفضت العجوز في مكانها ثم حاولت النهوض بصعوبة لتبتعد عن ميرون الذي حدجها بنظرات حائرة، ولكنها استدارت قبل أن تدخل كوخها وهمست:

- الأراكن تعيش في مستنقعها بالغابة، ولكنني أحذرك من الذهاب، فغضبها كالبركان إن ثار سيحرقنا جميعاً!

أنهت جملتها ثم دخلت كوخها وهي تلتفت حولها بترقب وكأنها تخاف ظهور شيء ما. نهض ميرون وتوجه إلى ذلك الزقاق الذي يقل فيه المارة ثم فتح الثقب عائداً إلى الهضبة.

ما إن خرج منه حتى قال بجدية:

- المستنقع في الغابة، استعدوا رجاءً للرحيل.

تجمعوا حوله عدا لومينا التي ما زالت تجلس على الأرض وهي تغطي أذنيها فقال ميرون بعصبية جعلت أنس ينظر إليه شزراً:

- لومينا!

قُرعت أجراس السماء فشعرت لومينا بالذعر لصوتها المرعب الذي بات نذير شؤم بالنسبة إليها، فما إن تسمعه حتى يحدث شيء مرعب لها أو لمن حولها. كانت تومئ بالنفي وميرون ينادي باسمها ثانية رافضة الذهاب معهم؛ لذا توجه إليها مراد ثم قال بنفاد صبر:

- لقد أخبرتك أنني سأزيح عنك عناء القلادة عندما أجد طريقة لانتزاعها منك ومن ثمّ ينتهي الكابوس!

كانت كلماته القاسية ونبرته الصارمة تسيء من الوضع كثيراً؛ لذا قال تولاي بهدوء بعد أن اقترب منها وهو يمد يده اليمنى إليها في حين أمسكت اليسرى بالسيف:

- أعدك أن سيفي هذا سيحميك طوال الرحلة، وإن تطلب الأمر أن تفديك دمائي فلن أتردد أبداً!

كز مراد على أسنانه وهو ينظر بحنقٍ إلى تولاي الذي بادله نظرات التحدي للمرة الأولى. لم يتمكن مراد من إخفاء مشاعره أكثر من هذا فبدأ جلياً للجميع أنه يشعر بالغيرة عدا لومينا التي لم تكن تنظر إليه من الأساس، حتى إنها نهضت تاركة يد تولاي معلقة في الهواء وتجاهلتهم جميعاً ثم اتجهت إلى ميرون قائلةً بوهي:

- أنا مستعدة!

مستنقع الأراكن

نظرت نظرة أخيرة على الساحة الملكية أودّع فيها أبرياء لا ذنب لهم سوى أنهم وُلدوا مختلفين عنا. لِمَ لا نتقبل اختلاف الآخرين؟ لماذا نرغب في أن نكون سواسية بلا اختلافات؟ لقد خلق الإله الأبيض والأسود، السماء والأرض، الطويل والقصير. خلق البحار والأنهار، الليل والنهار، الذكر والأنثى، وغيرها من الأشياء المختلفة عن بعضها. لماذا لا نتصالح مع الحقيقة؟ هناك من يختلف عنا وهناك من يشبهنا، وليس بالضرورة أن يكون المرء وغداً إن اختلف عنا، فكثير ممن يشبهوننا حقراء أخساء!

مزقت صرخات صغار سحرة النور روحي واعتصرت قلبي حزناً وألماً. لم يتحملوا التعذيب فصعدت أرواحهم إلى السماء أسرع من آبائهم. استدرت متجهةً إلى ميرون الذي كان ينظر لي بأسى.

قال أنس قبل أن نهمّ بالرحيل:

- لقد تذكرت شيئاً هاماً!

تطلعنا إليه جميعاً بترقب، استطرد موضحاً:

- هناك مخطوطة غُمر عليها تذكر أخبار الممالك قديماً ومن ضمنها خبر ذكر فيه اسم مستنقع الأراكن. ذكر أن سكان مملكة الشمال كانوا يخافون في حقبة مذبحة التطهير من وحش يعيش بالمستنقع، أطلقوا عليه اسم الأراكن الحزينة.

قاطعته سيلين متسائلةً:

- ولكنكم ذكرتم من قبل أن أهل المدينة ألقوا بجث سحرة النور في مستنقع الأراكن، فكيف لذلك الوحش ألا يعترض طريقهم؟
أجابها أنس:

- إنه يخرج من المستنقع ليلاً ويختبئ أسفل نهارًا، ولهذا السبب ستظل جث سحرة النور معلقة على الأوتاد فتجتمع الغربان هائلة بالوليمة طوال الليل، وفي الصباح سثقل إلى الغابة ليلقوا بها في المستنقع.

شعرت بالغثيان عندما تخيلت المشهد. عادت أجراس السماء ثقرع مرة أخرى فانتفضت في مكاني ثم أمسكت دون وعي مني بذراع مراد الذي كان يقف بجانبني وأنا ألتفت حولي وكأنني أبحث عن مصدر الصوت. نظروا لي بتعجب ولكنني نظرت إلى مراد القاطب جبينه بجانبني فلاحظت أنني أمسك بذراعه فابتعدت عنه على الفور لأنني شعرت بالإحراج والخجل الشديد. لقد كنت ألتمس منه الأمان لن أنكر، ولكن نظرة الاستغراب والذهول في عينيه جعلتني ألعن تصرفي!

سأل ميرون:

- ألم تذكر المخطوطات طريقة لقتل الوحش؟

فكر أنس لبرهة ثم أجابه:

- لم تذكر المخطوطات طريقة لقتله ولكنني متأكد أن هناك من تمكن من فعلها، وإلا لكان الوحش على قيد الحياة في المستقبل، أليس كذلك؟

قالت سيلين وقد ارتسم على مَحيّاها شبح ابتسامة:

- ماذا لو كنا نحن من قتلناه؟

قال ميرون:

- لنتحرك الآن قبل شروق الشمس.

سألت سيلين مجددًا:

- إن كان الوحش يظهر ليلاً فقط فلم لا نذهب صباحاً؟

أجابها أنس:

- لأن الحراس سيلقون بجث سحرة النور في المستنقع عند طلوع الفجر، كما أن هناك من سيمر عليه من القرويين فالغابة ليست مهجورة تمامًا كما تظنين!

سرنا في الغابة وتعمقنا فيها لفترة من الزمن لم تكن طويلة ولكنني شعرت أنني أسير لدهورٍ ولا أدري السبب. توقفنا عن السير أخيرًا عندما وصلنا إلى جسرٍ صغيرٍ نسبيًا يفصل بين الغابة وطريقٍ آخر عند نهايته في الجهة المقابلة، جرى نهزٌ صغير أسفل انعكس ضوء القمر فوقه فزاد المشهد هيبةً تقشعر لها الأبدان! مشينا فوق الجسر واحدًا تلو الآخر حتى وصلنا إلى الضفة المقابلة من النهر. مشينا لبضعة خطوات ثم توقفنا عند مكان موحش للغاية لا يبعث على الاطمئنان أبدًا.

استقرت بركة كبيرة من المياه المظلمة بين الأشجار وأشلائها من الأفرع المبتورة وأوراق الشجر المحتضرة. خرجت كرة نارية من

يد ميرون أضاءت المكان قليلاً فتمكننا من الرؤية البسيطة. حجبت الأشجار ضوء القمر وهو أمر غريب للغاية، فعند الجسر كان الضوء وهاجاً ينعكس على سطح النهر ولكنه خبا الآن تمامًا ليصبح المكان مظلمًا كالقبور هكذا!

قال ميرون:

- لن أتمكن من فعل أي شيء كما تعلمون، ولهذا السبب يجب أن نختار أحد منكم ليفوص في أعماق المستنقع بحثًا عن الكتاب، فهذه هي مقابر سحرة النور.

تبادلنا نظرات الحيرة والهلع ثم ساد الصمت بيننا للحظات. انتظر ميرون منا تعليقًا لم نكن على استعدادٍ لقوله في المقام الأول. استلّ تولاي سيفه من غمده ثم وضعه على الأرض دون تفكير ثم وقف على حافة المستنقع ينظر إلى المياه المظلمة أسفله. لماذا يذهب تولاي للبحث عن كتاب "عين الإعصار"؟ لِمَ لست أنا أو مراد أو أنس؟ وضعت سيلين حقيبتها على الأرض تبعها أنس الذي أمسك بالحقيبتين الأخريتين.

قال ميرون وهو ينظر إلى مياه المستنقع بعبوس:

- هذه المياه مظلمة، ليس لأن القمر لا يعكس وهجه فوقها بل هناك شيء آخر!

تقدم تولاي بخطواتٍ مترددة إلى المستنقع ثم بدأ في الغوص في أعماقه شيئًا فشيئًا ونحن نراقبه في سكون. لا أعرف كم مضى من الوقت، ولكنني شعرت بالقلق الشديد على تولاي عندما ارتفعت

أصوات أجراس السماء مرةً أخرى فبدأت ضربات قلبي تزداد ثم شعرت أنني لا أستطيع التنفس وأنني أختنق. نظرت إليهم طالبةً مساعدتهم ولكنني تفاجأت أنهم يُختنقون مثلي!

سعلنا بقوة ونحن نحاول التنفس في صراعٍ مع الاختناق سنخسره على الأغلب. كانت قلادتي تئن وهي تتوهج فأمسكت بها كعادتي ولكن قواي خارت تمامًا فسقطت على الأرض عندما لم أحتمل الوقوف. دارت الغابة المظلمة من حولي وأنا أقاوم الاختناق فكان صدري يعلو ويهبط بسرعة في محاولةٍ بائسةٍ لاستنشاق الهواء الثقيل في الجو. نظرت إلى مراد فرأيتَه مستلقيًا على الأرض يصارع في ألمٍ في حين فقدت سيلين الوعي. بحثت بعيني عن ميرون وأنس ولكنهما اختفيا تمامًا فلم يعد لهما وجود! تحولت عيناى الزائغتين إلى المستنقع على أمل أن أرى تولاي ولكنه أمل مزيف.

قبل أن أستسلم لفقدان الوعي سمعت صوت نحيب يأتي من بعيد. كان النحيب لطفلةٍ صغيرةٍ تبكي وتنتحب في ألمٍ جعلني أشعر بهموم الكون بأكمله تجثم فوق قلبي. نادى الطفلة على أمها وهي تصرخ؛ لذا قلت بصوتٍ مبحوح:

- أين أنتِ؟

لم ترد الطفلة لأنها لم تسمع صوتي الواهن على الأغلب، فعدت أسألها مجددًا وأنا أتحدى بالقوة:

- أين أنتِ؟

لم تُجِبني فبدأت في الزحف متجهةً إلى مصدر الصوت. أنا أحتاج

إلى المساعدة ولكنني ذاهبة لمساعدة طفلة صغيرة قد يكون الوحش تملك منها بالفعل. كافحت قلة الهواء وأنا أشعر بالألم الشديد في صدري وكلما زحفت اقترب صوت الطفلة مني. توقفت عن الزحف أخيرًا عندما وصلت إلى المكان الذي يأتي منه الصوت. رأيت طفلة صغيرة عند حافة المستنقع تجلس القرفصاء دفنت وجهها بين يديها وهي تنتحب وتنادي على أمها. هل توقعت مساعدتها لي عندما مددت يدي لها أو أنني بانتظار إمساكها بيدي لتطمئن قليلًا فتكف عن البكاء؟

هممت الطفلة بكلمات غير مفهومة فسألتها بوهن:

- أين أمك؟ ما الذي...

لم أستطع إنهاء كلامي لأنني شعرت بألم شديد في صدري وبأنني سأفقد الوعي في أية لحظة من الآن. قالت الطفلة وهي تنتحب:

- يضربونني بالعصا الغليظة ويسخرون مني، ولكن أُمي تنحني وتقول صبرًا فسينتهي العناء.

قطبت جبيني وأنا ألث من انعدام الهواء والإعياء الشديد. لم أعد أرى الطفلة جيدًا لأن الرؤية لم تكن واضحة على الإطلاق. سمعت الطفلة تقول:

- يطرقون الأبواب ليلاً فتفتح أُمي لتضربها الصدمة وهي تنظر إلى رأس أبي المقطوع!

ما الذي تقوله تلك الفتاة الصغيرة؟ أنا لا أفهم شيئًا. استطردت بصوت متحشرج جعلني أرتجف هلعًا:

- لم لا تفهمين ما أقوله؟ أنتم أغبياء جميعًا لا تفهمون! يستلون السيوف ويضعونها فوق أعناقنا ويذبحوننا وكأننا نعاج تُقدم في الأضحيات. نمشي في الأزقة جائعين تائهين كُتب علينا الذلة والمهانة وأصبنا بغضبٍ من البشر أجمعين.

قلت وأنا أحارب لإخراج صوتي:

- ما الذي...

لم أنه جملتي لأنها نظرت لي بغضبٍ وهي تبكي بكاءً أشبه بالصراخ:

- لم يكتفوا بالبغض بل أجبروا الطير على كراهيتنا، نراها تنظر إلى أشلائنا الملقاة بإهمالٍ أسفل الأوتاد فيسيل لعابها فوقنا ليمطرنا بالوعيد فنحن طعامها التي ستتلذذ بنهشه طوال الليل.

لمحث شيء غريب يحدث في المستنقع جعلني أرتجف من الفزع! خرجت أجساد لأشخاص يغطيهم الوحل الأسود من المستنقع زاحفةً ببطءٍ إلى حافته وهي تصرخ. على مسافةٍ قريبةٍ مني رأيت تولاي مغطى بالوحل يمسك بيده كتابٍ صغيرٍ نسبيًا وهو يكافح للخروج من المستنقع في حين تمنعه عشرات الأيادي! كانت الرؤية غير واضحة أبدًا ولكن صوت الطفلة الصغيرة ارتفع ثانيةً:

- تركتني أمي في الكوخ وحيدةً ولكن الظلام وحشٍ سرمدٍ، توسلت إليها ألا تتركني ولكنها أخبرتني أنها ستعود، مرت الدقائق التي تحولت إلى ساعات ثم أيام ثم شهور وأنا أجلس بين أحضان الظلام أنتحب، أشعر بالجوع فلا أجد طعام سوى لحم جسدي

المتعب، وأشعر بالظماً فترويني دمائي، ولكن قلبي شعر باليأس
لأنني لم أجد الأمل في غياهب الظلم!

حاولت أن أزحف إلى الطفلة التي ارتجف جسدها وانتفض وهي
تنتحب ولكن بائت محاولاتي بالفشل. أمسكت يد باردة بقدمي لذا
نظرت خلفي وأنا ألث فأتسعت عيناى هلقا عندما رأيت جملة لرجل
من المستنقع تمسك بها محاولة منعي من الزحف إلى الفتاة الباكىة!
حاولت التملص من قبضته وأنا أستغيث بمراد تارة وبأنس تارة
أخرى لعلهما ينقذاني من هذا المأزق. دفعت بقدمي في وجهه ولكنه
لم ييأس بل اشتدت قبضته حولي محاولة سحبي إلى المستنقع.
لم تكن بي قوة تمكنني من المقاومة، فتراخي جسدي وقلة الهواء
جعلاه يجرنى جزا إلى المستنقع، فكانت الرؤية تضعف تمامًا ومياهه
الباردة السوداء تغمرني.

سمعت الفتاة الباكىة تقول ثانية:

- ما ذنبى يا أمى إن كنت مختلفة عن سائر الأطفال منبوذة
مكروهة لا أحد يحبني؟ لماذا يا أمى أنجبتي؟ إن لم تلدينى لكنت
في غياهب النسيان ولم أكن لأعاني الألم والعذاب الأبدى.

انقطعت أنفاسى أسفل مياه المستنقع المظلمة كالليل والباردة
كالأموات ولكننى استسلمت تمامًا لبرودتها التى أحاطتنى من كل
مكان. سمعت صراخ الطفلة الصغيرة يتعالى فكان صوتها بمثابة
الإنذار الذى يمنعني من فقدان الوعي. فتحت عيني عن آخرهما
أحاول أن أشاهد ما يحدث حولي ولكن المياه مظلمة جدًا. لم أكن
أعرف كيف أصبح ولكن قدمي تلمسان الوحل بأسفلي لذا مشيت

بصعوبة فيه حتى وصلت إلى حافة المستنقع. استلقيت على ظهري
أحاول أن أستنشق الهواء الذي كان ثقيلاً للغاية كالجبال!

انتحبت الفتاة وهي تقطع خصلات من شعرها وتغرس أظافرها
في جسدها تنتزع اللحم عن العظام بسهولة وتلقي بهم في
المستنقع! ناديت على مراد بأعلى صوت تمكنت حنجرتي من
إخراجه، ولكن أحداً لم يجبني! ناحت الفتاة الباكية فتردد صدى
عويلها في الغابة وهي تقول:

- أمي تضربني لأنني أبكي كثيراً فالرجال الأقوياء بالخارج
سيسمعون صراخي. أتى الرجال بسيوفهم فألقيت بنيراني أحرقهم،
أليس هذا هو العدل الذي تبحثون عنه؟ أمي أمرتني ألا أفصح نفسي
ولكن النيران خرجت عنوة لم أتحكم بها!

قلت بوهن بعدما أدركت أن هذه الفتاة لا يمكن أن تكون طفلة أبداً:

- أمك مخطئة! الرجال الأقوياء مخطئون، جميعنا مذنبون، ولكنك
تقترفين الذنب نفسه الآن بخنقنا هنا!

التفتت إليّ تنظر لي والشرر يتطاير من عينيها اللتين غاب عنهما
البؤبؤ المميز لهما فامتلاتا بالسواد الكالح. مشت على قدميها
ورجليها كالحيوانات تقترب مني واللعب الأسود يتطاير من فمها
قائلة:

- هل أنا مخطئة؟ هل أقترف الذنوب؟ أنتم لم تتعلموا الدرس ولن
تفعلوا أبداً!

انتصبت واقفة على قدميها فانعقد لساني من فرط الفرع عندما

تفاجأت بعماني أرجل سوداء تشبه الخاصة بالعناكب ولكنها أطول وأصلب بكثير تنبثق من ظهرها وتنتهي بمخالب حادة للغاية! استطال جسدها فجأة فأصبح كأجساد البالغين ولكن وجهها ما زال كما هو. حاولت بصعوبة أن أزحف لأبتعد عنها ولكنها منعتني بمخالبها الحادة التي انغrust في جسدي، فأطلقت صرخة ألم عالية تسبب الصمم لمن يسمعها.

رفعتني في الهواء وأنا أتنفس بعناء مراقبة سواد عينيها المرعب فنظرت لي وهي تنتحب:

- أبكي ليالي وحدي ولا أحد يهتم بجراحي الغائرة هذه.. يأتون ليلاً ليلقوا بالحجارة في وجهي ثم يلقون بالجمث المتأكلة نهاراً ليزيدوا المستنقع حزناً على حزنه.. لماذا أنا مخطئة؟ لماذا؟ أخبريني.
قلت وأنا أشعر بالهلع سيمزقني إرباً:

- أنتِ مجنونة!

يبدو أن كلامي أحزنها لأنها نظرت لي بعينين يفيض الدمع منهما، ثم انهالت عليّ بسيلٍ من الكلام الغريب:

- أنا مجنونة تعيسة قبيحة كالزهرة الذابلة!

قالتها وهي تصرخ فتطاير لعابها في وجهي، ثم قذفت بي في المستنقع بعيداً عن حافته فسقطت أنازع الغرق فيه. سمعتها تسير في المستنقع وهي تتمتم بكلماتٍ غير مفهومة، وما إن اقتربت مني حتى انتشلتني من مياهه المظلمة وصاحت وأنا معلقة بين مخالبها في الهواء:

- انظري إليهم.

فعلت ما أمرتني به فتفاجأت بسرب من الجثث لرجالٍ ونساءٍ وأطفالٍ فاقدين لأجزاء من أجسادهم يغرقون في مياه المستنقع ويصرخون طلبًا للمساعدة. أردفت وهي تنتحب:

- أولئك هم المنبوذون، لا أرض لهم تائهين بين أزقة الظلام ومستنقعات اليأس، هل تريئهم؟ إنهم يرونك، إنهم يرونكم جميعًا، إنهم يتربصون بكم في جُحج الليل يحفظون وجوهكم ويضمرون الشر والخبث في قلوبهم الواجلة لينتزعوا قلوبكم من صدوركم عند السفح العظيم!

ما الذي تهذي به هذه المخبولة؟ لاحظت أن تولاي يقف في منتصف المستنقع على صخرة عالية وهو يحتضن الكتاب وكأنه يخبئه من الأيادي السوداء التي ترغب في تمزيقه! أظنها تقصد تلك الصخرة عندما تحدثت عن السفح العظيم.

انتبهت إلى صوت أنس من خلفها وهو يصيح ممسكًا بعصا الظلام:

- أيتها الأراكن الحزينة، فلتعودي إلى الظلام واتركينا نرحل بسلام.

استدار وجه الأراكن فقط في حين ظل جسدها كما هو! استطال عنقها وهي تمد وجهها إلى أنس الذي يقف على حافة المستنقع ثم قالت بخبث:

- عصا الظلام، أليس كذلك؟

انتزعت الأراكن عصا الظلام منه عنوةً بمخالبها الحادة ثم كسرتها

بيديها. اتسعت أعيننا فزعًا لما حدث فلا يبدو أننا سننتصر عليها أبدًا. توهجت قلادتي وأصدرت أنيئًا تنخلع له الأفئدة. تعالت أصوات أجراس السماء فاستدارت الأراكن تنظر لي بفضول وهي تبتسم ابتسامةٍ مرعبة. قالت بصوتٍ متحشرج:

- هذه القلادة تئن، لقد عانت من الظلم مثل الأراكن الحزينة.

ظل قلبي ينبض في حلقي من الفزع عندما اقترب وجهها القبيح مني فأصبحت المسافة بيننا قصيرة للغاية. نظرت إلى القلادة بعينيها السوداوين لفترةٍ من الزمن كفيلة لأن يُخرج ميرون من يده كرة نارية ولكنه لم يلقِ بها نحوها لأن رجلً من أرجلها المخيفة دفعت بميرون إلى الخلف فطار في الهواء ثم سقط على ظهره مغشيًا عليه. كان أنس واقفًا أمام حافة المستنقع ينظر إلى المشهد عاجزًا عن فعل أي شيء! ظل مراد وسيلين فاقدين للوعي في حين نجحت الأيادي السوداء في سحب تولاي إلى مياه المستنقع المظلمة ولكنه تمسك بالكتاب حتى لا ينتزعه منه. أسرع أنس إلى سيف تولاي وأمسك به ثم سار في وحل المستنقع متجهًا إلى تولاي وهو يضرب الجثث المغطاة بالوحل الأسود التي حاولت إسقاطه لإغراقه.

تطلعت الأراكن إلى وجهي ثم صاحت باكيةً:

- أنتِ ملعونة، أنتِ سيئة، إن رأتكِ أُمي لقتلتكِ كما قتلتني.

سألتها بصوتٍ مبحوح:

- هل كنتِ من سحرة النور؟

صرخت الأراكن قائلة:

- لا، أنا لست منهم، لا تقتلونني رجاء!

انفجرت الأراكن في البكاء وهي تتمتم بكلام غير منطقي لم أستوعبه ولكنها توقفت فجأة عندما نظرت خلفها. تركتني ثم اتجهت إلى الرجل الواقف أمام حافة المستنقع وبجانبه مادة مظلمة غريبة. إنه الرجل الذي حاول قتلي وانتزاع القلادة مني في مقابر "بيورين" يوم الموتى. إنه الملعن أو النكرومانسر المسافر عبر الزمن.

عندما توجهت الأراكن إلى الملعن تركتني فجأة فسقطت في مياه المستنقع الباردة! كنت أغرق أسفل مياهه المظلمة لا أستطيع التنفس أو الرؤية. انغrust قدمي في وحله جاعلة أمر السباحة شاقًا مرهقًا للغاية. تأكدت أنني سأموت، ولكن يدين قويتين أمسكتا بي فتفاجأت بمراد وهو يخرجني من المستنقع محاولًا إبعاد الجثث السوداء عنا بمساعدة تولاي وأنس.

خرجنا من المستنقع أخيرًا بعد عناءٍ فرأينا ميرون يقف وقد فتح ثقبًا أسود بانتظارنا للدخول فيه. أسرعنا إليه ولكن رجلًا من أرجل الأراكن منعتني من الدخول عندما دفعت بي إلى الخلف مسافة كبيرة فسقطت على الأرض وانطلقت مني صرخة عالية من شدة الألم.

التفت الملعن لي وتطاير الشر من عينيه ولكنه سرعان ما انشغل بمحاربة الأراكن الحزينة التي كانت تصرخ وتولول بجنون. ساعدني مراد وأنس على النهوض فأتكأت على كتفیهما لأنني لم أتمكن من المشي بسبب الألم. هرولنا جميعًا إلى الثقب الأسود ودخلنا فيه

واحدًا تلو الآخر تاركين الحقيبتين وسيف مراد على حافة المستنقع.
لا أدري لماذا التفث أنظر خلفي ولكنني شاهدت الملائم وهو يرمقني
بنظرات وعيد وتهديد وهو يجر الأراكن إلى المادة المظلمة.

جزيرة نائية

خرجوا من الثقب واحدًا تلو الآخر ولكنهم تجمدوا في أماكنهم عندما شاهدوا المكان الذي انتقلوا إليه. نظروا جميعًا إلى البحر الذي كانت أمواجه تتلاطم على الشاطئ أمامهم ثم التفتوا ينظرون حولهم ليتفاجأوا أنهم على جزيرة صغيرة نسبيًا تزينت بغابة من النخيل والأشجار. استقر في بقعة بعيدة من الجزيرة منزل يشبه منازل التباء بأية مملكة، يتكون من طابقين ولكنه مصنوع من الخشب ولا يبدو عليه أنه مهجور. جلسوا جميعًا على رمال الشاطئ الباردة يتنفسون الصعداء تقطر منهم الدماء بسبب الجروح التي تسببت فيها الأراكن.

سأل مراد:

- أين نحن بالضبط؟

أجابه ميرون وهو يلتقط أنفاسه:

- مرحبًا بكم في منزلي المتواضع، أنتم تجلسون على جزيرة نائية عمرت عليها بعدما غرقت ليموريا في قاع البحر الأزرق فبنيت ذلك المنزل وعشت فيه منذ ذلك الوقت.

سأله أنس:

- هل تقصد أننا ما زلنا في الزمن نفسه، ولكننا في مكان مختلف؟

- لا، هذا زمن آخريلي مذبحة التطهير بعشرة أعوام.

سألته سيلين بارتباك:

- لِمَ مكثنا في ذلك الكوخ المهترئ الممتلئ بالحشرات في الغابة؟
لماذا لم نحضرنا إلى هنا منذ البداية؟

أجابها ميرون بوجه عابس:

- لأن السفر عبر الزمن ليس بالأمر السهل كما تظنين أيتها الطيبة.
كان علينا أن نتواجد في مملكة الشمال وفي تلك الحقبة بالذات مرةً
واحدةً، فلم يكن من المحبب أن نساfer إليها لنسأل عن مكان مستنقع
الأراكين ثم نعود إلى هنا ثم نساfer إلى الماضي ثانيةً لنذهب إلى
المستنقع.. الزمن لا يمزح ولا يحتمل العبث به!

تفاجأ الجميع بتعبيرات وجه ميرون العابسة فشعرت سيلين
بالإحراج الشديد، ولكنها كانت متعبة بحق فلم تكن بها قوة كافية
للاعتراض على أسلوبه الفظ معها على الإطلاق. راقبوا البحر في
صمت مستمتعين بأمواجه التي راحت تحتضن الشاطئ لتحتمي
به من ظلام الليل. فتحت سيلين حقيبتها التي تحملها معها في كل
مكان وكأنها طفل صغير يحتاج إلى الحماية، نظرت إليهم جميعًا ثم
قالت بوجه خالٍ من أي تعبير:

- يجب أن أضمد جراحكم.

نهضت ثم جلست أمام لومينا قائلةً وهي تمسك بكاحلها:

- لا تقلقي، إنها كدمة بسيطة.

اختلس مراد النظرات إلى لومينا ولكنها لم تلاحظ هذا. مضى
الوقت وسيلين تضمد جراحهم السطحية، وما إن انتهت حتى نهض
تولاي ثم جلس أمام ميرون حاملاً معه كتاب "عين الإعصار" الذي

كان متسَخًا وأوراقه مهترئة ملطخة بوحل المستنقع. أمسك ميرون بالكتاب ليتفحصه فتوقف عند صفحة بها شيء غريب جعله يقطب جبينه من الاستغراب وعدم الفهم. انضم إليهما أنس فاندesh واعتلت وجهه نظرات الحيرة والتعجب لما رآه ثم قال وهو ينظر إلى ميرون بترقب:

- هل ألصق شخص ما هذه الرسالة بالكتاب؟

أجابه ميرون مفكرًا:

- لا أظن أن من كتب هذه الرسالة شخص عادي.

لم ينتبه مراد لما يقولونه لأنه انشغل بما تفعله سيلين ولكنه التفت إلى الثلاثة رجال متساءلاً:

- ما الأمر؟

أمسك مراد بكتاب "عين الإعصار" ثم تفحص الصفحة التي كان أنس يتحدث عنها فاكشف أن هناك رسالة ملتصقة بها ففتحها، ثم قرأ بصوت عالٍ:

- "عندما تسقط العين، سيضرب الإعصار".

انتهى مراد من القراءة فنظر إلى ميرون قائلاً بسخرية:

- أهذا هو كل شيء؟ رسالة مبهمة غير واضحة؟!

ألقي مراد بالكتاب على الرمال بعصبية ثم توجه إلى البحر قائلاً:

- سأستحم لأزيل وحل المستنقع عني بدلاً من المكوث هنا فهذه الرحلة لا تقودنا إلا لهلاكنا على ما يبدو!

سبح مراد في البحر بغضبٍ ملحوظ مبتعدًا عنهم جميعًا فهو يشعر
بالسأم من كل شيء، ولكن أكثر ما أثار حنقه هو أنه أدرك أن هذه
الرحلة ما هي إلا مضيعة للوقت. استعر الغضب كالنيران بداخله
وهو يحاول إطفاءه بالسباحة في المياه المظلمة علّ يصفو ذهنه
بعد تعكره بالأفكار المتضاربة في الآونة الأخيرة. راقب تولاي وهو
يتحدث مع لومينا والابتسامة لا تفارق وجهها فشعر بالضيق لأنه
تخلّى عن قواه فهو بحاجة لإحراق أي شيء في هذه اللحظة. شاهد
ميرون وهو يلتقط الكتاب ثم راقبه وهو يجلس ليتفحصه برفقٍ
حتى لا يمزق أوراقه المبتلة.

سمع صوت تولاي وهو يقول:

- ما الذي كانت تلك البلهاء تقوله عند المستنقع؟

أجابته لومينا:

- هل تقصد الأراكن الحزينة؟

- نعم، تلك الحزينة.

ابتسمت لومينا ثم قالت:

- لا أدري يا تولاي لقد رأيت أشياء غريبة للغاية ولكن ما حدث في

المستنقع هو الأغرب على الإطلاق!

قال ميرون وهو ينظر إلى صفحة من صفحات الكتاب:

- الأراكن الحزينة هي وحش أنجبه الظلم والحزن معًا!

تذكرت لومينا ما قالتها الأراكن عن قتل الحراس لهم وتعذيبهم

فبدأت الرؤية تتضح لها قليلاً، استطرد ميرون:

- يذكر هذا الكتاب أن الأراكن كائنٌ يولد في رحم القسوة يعاني مما أصاب الناس من ظلم وقهر وطغيان!

سألته لومينا بحيرة:

- هل تعني أن الأراكن الحزينة هي شعور الحزن الذي شعر به سحرة النور أثناء تعذيبهم؟

قال ميرون بنبرة واهنة حزينة:

- الأراكن هي شعور الخوف والغضب، إثر التعذيب وكبح الجماع لقوى سحرة النور، وبالأخص صفارهم.

تذكرت سيلين صرخات الأطفال التي انخلع لها فؤادها حزناً وألماً ثم قالت:

- رُحماك يا إلهي! من ذاك الذي يحتمل تعذيب أطفال قبل قتلهم؟

لاحظت لومينا أن عيني ميرون تلمعان فأدركت أنه يكبح الدموع التي رغبت كثيراً في الهروب؛ لذا نهض مسرعاً وتوجه إلى صخرة بعيدة جلس عليها ثم دفن وجهه بين يديه ليخفي حقيقة ما يشعر به بسبب الذكريات التي تتراقص أمام عينيه كالأشباح. تبادلوا نظرات الحيرة فيما بينهم، في حين سبح مراد عائداً إلى الشاطئ بعدما تخلص من التوتر والضغط النفسي الذي كان يأكله منذ مغادرته لمملكة الشمال. انقشع الليل وتراقص أول شعاع للشمس على سطح البحر ومراد يسير متجهاً إليهم وهو يشعر بالتعب بعدما أنهكته السباحة.

قالت له سيلين:

- يجب أن أضمد جرحك يا سيدي.

قال ممازحاً:

- ليتك تحمّلين دواء للقلوب المحطمة في حقيبتك.

ضحكت سيلين ثم قالت وهي تومئ برأسها نفياً:

- للحق وددت مساعدتك ولكن هناك أمراض لا تحتاج إلى دواء
يوضع في قارورة ليتجرعه المرضى فيتحسنوا على الفور، فهناك
جروح يتوجب علينا مداواتها بالكلام الصادق والسلوك الحسن يا
سيدي.

تدخل تولاي قائلاً:

- أتفق معك تمامًا، فالمعاملة البشعة للبعض وغضبهم غير المبرر
على الإطلاق يدفعنا إلى الشعور بالمرض، أليس كذلك؟

أنهى سؤاله ثم نظر إلى مراد وكأنه يخبره بنظراته إليه أنه
المقصود. استمعت لومينا إليهم وهي تتظاهر بأنها تتفحص كتاب
"عين الإعصار". قال مراد وهو ينظر إلى تولاي بتحدٍ:

- ربما تنبع المعاملة البشعة من برودة مشاعر الآخرين وأفعالهم
المؤلمة، ألا تتفق معي؟

شعر ميرون أن هناك مشادة على وشك أن تحتد فنهض وتوجه
إليهم قائلاً بعبوس:

- نحن نتجادل الآن في أشياء غير مهمة على الإطلاق، ألا تدركون
المعضلة التي نواجهها ها هنا؟ نحن لا نعرف شيئًا عن قلادات عرش
الزمن والعالم على وشك الفناء! فلتتحلوا بالعقلانية وفكروا معي في
فائدة كتاب "عين الإعصار" هذا.

تجاهله تولاي وسأل لومينا:

- هل ذلك الملعم هو من حاول قتلك في يوم الموتى بالمقابر كما
قال ميرون؟

- نعم، إنه هو.

سألها مجددًا:

- ولكن ماذا كانت تلك المادة المظلمة التي ابتلعت الأراكن؟

أجابه ميرون:

- إنها بوابة لعوالم أخرى مهجورة بإمكان ساحر النور القوي أن
يسجن أعدائه فيها!

سألته لومينا:

- هل هذا يعني أنه سجن الأراكن في قلعة الأرواح مع ساحر النور
الأعظم؟

أجابها ميرون مبتسمًا من سذاجة السؤال:

- بالطبع لا! لا بد أنه سجنها في عالم آخر.

قال أنس بضيق:

- أنا أتضور جوعًا.

رمقه مراد بنظراتٍ تحمل الكثير بين طياتها ولكنه تجاهله أخيرًا قائلاً لميرون:

- حسنا، أنا أرغب في ثيابٍ جديدةٍ وبيننا من يتضور جوعًا وهناك من يشعر بالاستياء من أجل نهاية العالم، وكتاب "عين الإعصار" المحير.

صمت لبرهة ثم أردف:

- برأيي أن نقتسم الأعمال فيما بيننا، سأبحث عن الطعام فأنا أيضًا أشعر بالجوع والعطش.

رفع ميرون نظره إليه ثم قال:

- لنذهب جميعًا إلى المنزل ثم سنقتسم الأعمال بيننا هناك.

توجهوا جميعًا إلى المنزل يجرون أرجلهم من التعب والإرهاق الشديد. فتح ميرون الباب بسهولةٍ ثم دلف إلى بهوٍ صغير لا أثاث فيه سوى منضدة صغيرة خشبية وضع حولها مقعدين فقط. كان هناك درجًا على يمينهم يؤدي إلى الطابق العلوي وعلى يسارهم كانت هناك غرفة مغلقة. جلس أنس وتولاي على الأرض في حين توجه مراد إلى الدرج ثم جلس على أولى درجاته وهو ينتهد بتعبٍ من الإرهاق.

وقف ميرون وهو يمسك بالكتاب ينظر إليهم وإلى حالهم ثم قال:

- هناك جدول مائي في الغابة سأذهب إليه مع أنس لنحضر لكم

المياه.

نهض أنس ولم يعترض بل وافق على الفور فهو لم يملك خيار
الرفض، قالت سيلين:

- نحن بحاجة لتيابٍ جافة ونظيفة، فحقائبنا تتعفن في المستنقع
منذ عشرة أعوام.

قالتها على سبيل الدعابة ولكنهم لم يبتسموا حتى ولم يلقوا لها
بالأ، بل سأل تولاي:

- هل تمتلك شبكة لصيد الأسماك؟

أجابه ميرون:

- بالطبع، سأحضرها إليك.

دلف ميرون إلى الغرفة المغلقة وغاب فيها لدقيقة ثم خرج يحمل
شبكة مصنوعة من الكتان سلمها إلى تولاي الذي أخذها منه وخرج
من المنزل متوجّهاً إلى البحر ليصطاد، قالت سيلين بحماس:

- سأذهب لمشاهدة تولاي.

لم تنتظر موافقتهم لطلبها لأنها خرجت من المنزل بالفعل لتلحق
بتولاي. نظر ميرون لأنس إشارةً منه للاستعداد إلى الرحيل والذهاب
إلى الغابة مع وعائين مصنوعين من الطين لملئهما بالمياه. أحضر
ميرون الوعائين من الغرفة ذاتها التي أحضر منها شبكة الصيد ثم
قال قبل أن يخرج من المنزل وهو ينظر إلى كتاب "عين الإعصار"
الموضوع فوق المنضدة:

- أعلم أنكما تحبان القراءة كثيرًا، لذا سأنتظر أخبار مبهجة عندما أعود.

خرج من المنزل يتبعه أنس ثم توجهها إلى الغابة تاركين لومينا على المقعد أمام المنضدة، وعلى مسافة منها كان مراد ما زال يجلس على أولى درجات السلم المؤدي إلى الطابق العلوي ينظر إليها بجدية. أمسكت لومينا بالكتاب وحاولت أن تفتحه بحذر شديد حتى لا تتسبب في تمزيق صفحاته المبتلة. راقبها مراد وهي تقرأ في صمت يحتضنها بنظراته ويعاتبها قلبه بنبضاته المضطربة. حاولت أن تركز مرارًا ولكنها تعلم أنه يراقبها فكانت يدها ترتعش من فرط التوتر فتجمعت قطرات العرق فوق جبينها. زفرت بقوة ثم أغمضت عينيها وحاولت تجاهل وجوده، ولكنه نهض واتجه إلى المقعد الآخر ثم جلس عليه في الجهة المقابلة إليها قائلاً:

- أخبريني عن تلك الشريطة الحمراء، هل ما زالت معك؟

اتسعت عيناها ذهولاً لأنها نست أمرها تمامًا، ولكنها وضعتها سابقًا في جيب ثوبها فبحثت عنها حتى عثرت عليها ولكنها كانت مبتلة بالطبع. نظرت إليها بشروء وهي تتذكر سليستيا وما حدث هناك عندما سقطت من ارتفاع شاهق من تلك الجزيرة العائمة في السماء. وضعت الشريطة على المنضدة ثم غمغمت قائلةً وهي تنظر إليها:

- أنا... لم... لم أرها من قبل!

رفعت نظرها إليه فتلاقت أعينهما لمدة من الزمن تعانقا فيها وتعاتبا ثم قالوا من أشعار العشق أبياتًا تُعزف على أوتار قلبيهما النابضين بالحب. شعر مراد أنه يُجر عنوةً إلى هاوية العشق والفناء

في دفء عينيها؛ لذا قال وهو ينظر إلى الكتاب ليتجاهل النظر فيهما:
- يجب أن نعرف ما هي الخطوة القادمة لأن الوقت يمر ونهاية العالم تقترب!

تحلت لومينا بالشجاعة الكافية لتلقي بسؤالٍ رغبت في طرحه منذ اللحظة الأولى التي رآته فيها قائلةً:

- كيف كان حالك طوال العام الماضي؟

تجاهلها مراد بكل ما أوتي من قوة، فما الذي سيقوله بالضبط؟ هل يخبرها أنه لم يعد الملك لأن شقيقته حاولت قتله بمساعدة قاتل مأجور؟ هل يخبرها أنها من تسبب في توليه السلطة وأنها السبب في أن شقيقته تكن له الكره والحقد لأنها تراه مغتصبًا لحقها؟ هل يخبرها أن الخطاب الذي أرسلته إليه في العام الماضي كان بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير؟ لم يرغب في البوح بأي شيء فاكتمت بسؤالها:

- لماذا تسألين؟

تنهدت قائلةً:

- لأننا.. أقصد لأنني كنت بمثابة صديقة في الماضي والأصدقاء يسألون عن أحوال بعضهم البعض، أليس كذلك؟

أجابها ولم تتزحزح عينيها عن الكتاب:

- لا يحق لك معرفة أي شيء مررت به في العام المنصرم.

توقعت لومينا إجابته الباردة الخالية من المشاعر، ولكنها لم

تستسلم فعادت تسأله مجددًا:

- لماذا أراك غاضبًا حانقًا طوال الوقت؟ ما الذي حدث بعدما رحلت؟

لم يحتمل مراد فأنفجر فيها غاضبًا وهو ينظر في عينيها:

- أنت من بين الجميع لا يحق لك معرفة إجابة هذا السؤال بالذات!
احتجت لومينا قائلةً:

- لماذا؟

قال مراد بغضبٍ:

- لماذا؟!

ابتسم ساخرًا ثم قال:

- هل حقًا ترغبين في معرفة السبب وراء غضبي وفضاظتي معك؟
أتعلمين؟ أنت مضحكة للغاية!

تفاجأت لومينا بجملته فقالت وقد احتدت نبرة صوتها:

- وأنت أناني للغاية.

رفع حاجبيه دهشةً، ولكنه قال:

- أنت مزعجة بشكلٍ يثير الحنق حقًا!

ساد الصمت لبرهةٍ قطعتة لومينا عندما قالت وهي تحاول كبخ
دموعها:

- لقد كنت خائفة من اكتشافهم لأمرنا.

قال ببرود مصطنع:

- لا أتذكر أنني وافقت على خوض هذا النقاش العقيم معك!

صمت للحظات ثم تطلع إلى عينيها قائلاً كمن تذكر شيئاً ما:

- هل تتحدثين عن الأنانية؟ أنتِ من بين الجميع لا يحق لك التحدث عنها لأنكِ رحلتِ العام الماضي دون أن تتحلي بالشجاعة الكافية لتوديعي على الأقل.

انفجرت فيه قائلةً وعيناها تلمعان:

- وهل كان سيحدث توديعي لك أي فارق يا سيدي؟

صاح بغضب:

- بالطبع، فبسببك اعتليت العرش وأنا لم أرغب فيه، أنتِ من تسببت في الشجار الذي حدث بيني وبين شقيقتي لأنكِ كنتِ أنانية للدرجة التي سمحت لك بإرسال خطابٍ سخيف تخبريني فيه أنكِ راحلة لأنكِ لن تحتلمي نظراتهم فأنْتِ شقيقة القاتل في نهاية المطاف، أتعلمين؟ ذلك الوغد الذي تنعتيه بشقيقك لم تلده والدتك في المقام الأول حتى تشعرين بالأسف والندم من أجله!

أحاط بهما الصمت المطبق وعمّ شعور من التوتر المرهق لفترة من الزمن، قالت أخيراً بهدوء:

- نعم، أنت محق ولن أجادلك، ذلك الوغد حقاً لم تلده والدتي ولكنني نشأت وأنا أناديه بشقيقي! لقد كان يمثل لي الحياة بأكملها

فهو أول من دق له قلبي بالحب بعد أبي، هل ترغب حقًا في معرفة سبب رحيلي وهجرك؟ لأنني جبانة يا سيدي، أنا جبانة لم أستطع مواجهة مشاعري.

قال مراد بعد صمتٍ طويل:

- وأنا لا أكرث! لم أعد أشعر تجاهك بشيء بل على العكس تمامًا، أظن أن الشعور الجميل الذي شعرت به من قبل تحول ليصبح شيئًا مطلقًا للغاية. لقد تحول إلى كراهية لا أستطيع تخطيها!

نزل كلامه عليها كالصاعقة اخترقت قلبها وأحرقته من شدة الألم والمفاجأة، تلعمت وهي تقول محاولة ألا تنهار باكية:

- أنا... أنا حقًا... لم أقصد أن أجعلك تكرهني... لأنني...

لم تستطع إنهاء جملتها لأن دموعها خانتها إذ تساقطت أنهارًا على وجنتيها لتفضح مشاعرها أمامه. كان كلامه كالخناجر المسمومة التي طعنت قلبها فسالت الدماء منه في بحر من الألم والشجن. شعرت بأن الكون بأكمله يدور من حولها وأنها ستفقد الوعي من فرط الصدمة في أي وقت.

جاء صوته الحزين يقول:

- لا تناديني بسيدك مرة أخرى، فأنا لم أعد الملك!

بعينين مغرورقتين بالدموع رفعت نظرها إليه تتطلع إلى ملامح وجهه الحزينة والمتعبة، سألته بصوتٍ مبحوح:

- ماذا؟

زفر بقوة ثم قال:

- تحالفت شقيقتي مع حاشيتي لقتلي ولكنهم فشلوا، ولهذا السبب هربت من مملكة الشمال ثم سافرت إلى بيورين لأعثر عليك!

مسحت لومينا دموعها ثم قالت:

- هناك علامات استفهام كثيرة يجب أن نجد لها إجابات مرضية لتساعدنا في هذه المعضلة.

- علامات استفهام؟! مثل ماذا بالضبط؟

قالت وهي تتصنع أنها لا تكثر بما قاله منذ قليل:

- ما هي تلك الأجراس التي أسمعها تُقرع في السماء؟ ولماذا لا يسمعها أحد غيري؟

أجابها مفكراً:

- قرأت عن أجراس السماء من قبل، هناك مكان في إحدى العوالم الأخرى مثل سليستيا اعتاد جميع حُماة عرش الزمن على سجن أعدائهم فيه. لم يُذكر مكان أجراس السماء سوى في كتاب السحر الأسود. يُقال أن الحُماة وحدهم من يسمعون تلك الأجراس ولا يسمعها أحد غيرهم!

سألته بعبوس:

- ولكنني لسْتُ من حُماة عرش الزمن، فلماذا أسمعها؟

صمتت للحظات ثم أردفت:

- لماذا رغب الملم في انتزاع القلادة مني؟ وما هو عرش الزمن ولماذا طلب منك كيرال البحث عن كتاب "عين الإعصار"؟ و...

أدركت لومينا أنها كانت تتغافل عن حقيقة ما قاله منذ دقائق وأنها عادت تتعامل معه وكأنه صديقها الذي خاضت معه أغرب المغامرات بالعام الماضي، ولكن هيهات! شعرت لومينا أن قلبها سينفجر من فرط الألم؛ لذا نهضت وأمسكت بكتاب "عين الإعصار" واتجهت إلى الباب غير مبالية لسؤاله عندما قال:

- مهلاً، إلى أين تذهبين بالضبط؟

لم تبالِ به ثم خرجت من المنزل وسارت إلى الشاطئ وهي تعرج بسبب الألم الذي تفاقم في كاحلها بسبب هرولتها هكذا. كان تولاي وسيلين يحاولان صيد الأسماك عندما لاحظا أنها تسير على الرمال وهي تبكي. ألقى تولاي بشبكة الصيد الفارغة في البحر ثم توجه إليها واعترض طريقها قائلاً بقلق:

- لومينا، هل أنت بخير؟

توقفت وهي تمسح دموعها ثم قالت:

- لا أرغب في التحدث الآن رجاءً!

لم يستسلم فسألها وهو ينظر إلى مراد الذي وقف على باب المنزل يراقب المشهد أمامه:

- هل هو من أبك هكذا؟

لم تُجب لومينا على سؤاله ولكنها قالت بحدّة:

- من فضلك يا تولاي أنا لست في المزاج الجيد الذي يسمح لي
بالتحدث الآن!

هرولت إلى الغابة فصاح تولاي يسألها بقلق:

- لماذا تذهبين إلى الغابة؟

أجابته وهي تبكي:

- لِكَي أقرأ يا تولاي، القراءة تداوي جروح المرء.

استدار بغضبٍ ينظر إلى مراد الذي وقف أمام المنزل يبادله
النظرات نفسها. وقفت سيلين بجانب تولاي وهي تقول لاهمة:

- ما الذي تظن أنه قد حدث برأيك؟ هل ذلك الشاب السبب في
بكائها هكذا؟

قال تولاي وهو ينظر إلى مراد بتحدٍ:

- لا أدري ولكنني أصبحت متأكدًا أن صبري على ذلك الشاب بدأ
في النفاد.

عين الإعصار

عندما أيقنت أنني توغلت في الغابة كثيرًا توقفت فجأة فلم يعد كاحلي يتحمل السير أكثر من هذا. ركعت على الأرض في استسلام فوق الكتاب من يدي ثم سقط منه شيء معدني صغير الحجم لونه أسود يشبه العين. نظرت إلى السماء التي ما إن شعرت بحزني حتى أمطرت سيولًا على وجهي لمؤازرتي! لم أعد أميز دموعي من بين زخات المطر المتساقطة على وجنتي علها تذهب الألم. اتقدت نيران الوجد في قلبي الدامي الصريع كالفارس المغدور في الحرب.

لماذا قضيت عمري بأكمله أشعر بالتعاسة والبؤس؟ لا أتذكر أنني كنت سعيدة راضية عن حياتي أبدًا، فقدت أبي وأنا صغيرة وعشت مع شخص مريض قاتل مهووس بالسحر الأسود في كوخ واحد مع أم أخفت حقيقته عني وكأنني العدو. ماذا لو كانا أخبراني؟ ماذا لو كان أخبرني بما دار بينه وبين النكرومانسر؟ أكانت الأمور لتختلف قليلًا؟ إن لم أكن شقيقة القاتل لكنت عشت بقية حياتي أغرق في بحر من السعادة والرفاهية بالقصر مع حب حياتي، أليس كذلك؟

غمرتني السماء بدموعها فرفعت نظري إليها أراقب سحبها الباكية ثم أغمضت عيني لتنسب زخات المطر على وجهي فأزداد شجنًا وحزنًا. انتحبت بألم ممسكة بقلادتي ولا أدري السبب في هذه العادة الغريبة. إنها كل ما تبقى من ذكراه التي أصبحت تبتعد عني وتأفل كالشمس وقت الغروب. نظرت إلى الأشجار من حولي فرأيت أوراقها المغمورة بالمياه تتراقص رقصة ألم تعانقها الرياح على أنغام سيمفونية كئيبة للغاية.

أمسكت بالكتاب الملقى بإهمالٍ بجائبي، تفحصته بوهنٍ وكلمة "أكرهك" تتردد وترن كالجرس في أذنيّ فلم أعد أستطيع قراءة ما كُتب فيه. أحاطتني كلمته من جميع الاتجاهات فرأيتها في السماء تسير مع السحب، ثم رأيتها محفورة في كل جذع شجرة تقف بغلٍ تراقب قلبي المقهور. حاولت أن أتفحص صفحات الكتاب التي بدأت في التمزق من فرط البلل ولكنني لم أسمع سوى كلمته التي رن صداها في أرجاء الغابة فلم أتمكن من التركيز! غريبة هي الكلمات؛ إذ بإمكانها أن تُحيي قلبًا ميتًا أو تُميت روحًا حلقت في سماء الحياة ببراءة لتكتشف أن جناحيها احترقا فجأةً، وها هي ذي تسقط من الأعلى بعدما خذلتها الكلمة وطعنت قلبها ألف طعنة مسمومة.

انطلقت مني صرخة مدوية وأنا أمزق صفحات كتاب "عين الإعصار" بكل ما أحمله من ألمٍ في قلبي. توقفت عندما وضع أحدٌ ما يده على كتفي بحنوٍ قائلًا:

- لومينا، توقفي رجاء!

تمنيت لو كان مراد ولكن الصوت كان مألوفًا للغاية إلى الدرجة التي جعلتني ألتفت إليه أرمقه بنظرة غضب يتطاير الشرر منها. قال بوجهٍ حزين:

- لا تصبي غضبك في تمزيق هذا الكتاب فأنتِ تضيعين فرصة إنقاذ عالمٍ بأكمله مليء بالأبرياء!

تساقطت أوراق الكتاب الممزقة من يدي المرتعشة من فرط الغضب والبرد معًا. استدرت لأواجه أنس أتطلع إليه بنظراتٍ متناقضة مليئة بمشاعرٍ متضاربة. تأرجحت بين الاشتياق إليه

ولحضنه الدافئ الذي كان فيما مضى ملاذًا آمنًا لي من الصدمات التي اعتادت الحياة صفعي بها، وبين رغبتي الملحة في لكمه لأنه السبب في هذا الحزن المستعر بقلبي. لطالما ضمني إلى صدره عندما تألمت فيزول جزء كبير من الألم، وعلى الرغم من أنه يقف أمامي لا يفصل بيننا سوى خطوة واحدة فإنه بعيد لدرجة مؤلمة!

رمقت أنس بنظراتٍ تحمل بين طياتها الكثير. اقترب مني كثيرًا ناظرًا إلى عيني المتعبتين ثم قال وهو يضع يده على وجنتي كما اعتاد دائمًا عندما كنت أبكي:

- اشتقت إليك كثيرًا.

أمسكت بيده وأبعدتها عني ببطءٍ ثم قلت بامتعاض:

- إياك أن تلمسني ثانية!

لم يتذمر بل اكتفى بالتقاط العين المعدنية التي سقطت من الكتاب ثم قال وهو ينظر إليها باهتمام:

- ما هذا؟

لم أكرث بما قال فبدأت بالسير باتجاه الشاطئ أجر رجلي العرجاء التي نبضت بالألم الشديد. توهجت قلادتي وعلت أصوات أجراس السماء من فوق ولكنني لم أهتم حقًا! فلتضرب الأعاصير الشواطئ ولتثور البراكين في الجبال ولتتصاعد الأمواج العائرة في البحر لابتلاع السفن بمن على متنها فأنا لن أكرث في كل الأحوال. لقد انتهى كل شيء بالنسبة لي لأنني اكتفيت؛ فطوال العام الماضي أكبح مشاعر شعرت بها عنوة فلم يكن لي القرار ولا السلطة في التحكم

بها، وها أنا ذي أمشي محطمة الأمال في بحرٍ من الأشجار والنخيل،
تتساقط زخات المطر فوق رأسي انتقامًا مني.

سمعت صوت تولاي وهو يصيح:

- يجب أن أبحث عنها فأنا لن أتركها بحق الإله!

لماذا لم أشعر تجاهه بأي شيء؟ إنه الشخص الأنسب لي على
الإطلاق. عاد صوته يعلو مجددًا وهو يقول:

- الإعصار يقترب يا سيلين وهي تبكي وحدها في الغابة!

يبدو أن سيلين تنهره عن الذهاب إلى الغابة للبحث عني. كيف لم
ألاحظ من قبل أن الرياح اشتدت للغاية وأني أجد صعوبة في بلوغ
الشاطئ سوى الآن؟ أرجعتني الرياح إلى الخلف زغمًا عني في حين
كنت أحاول أن أتقدم إلى الأمام. تقدم أنس وأحاط خصري بكلتا
يديه حتى لا أطيح في الهواء مع أوراق الشجر التي راحت تدور
حولنا وتتراقص على صوت الإعصار المخيف.

قال أنس بصوتٍ عالٍ:

- أظنني أفهم معنى الرسالة التي عثرنا عليها في الكتاب.

سألته بذهول:

- ماذا؟ ما علاقة الرسالة بما نعانيه الآن؟

- عندما تسقط العين سيضرب الإعصار.

لاحظت أن هناك دخانًا أسود اللون يخرج من بين أصابع يده
اليمنى التي كانت تقبض على شيء ما بداخلها. وما إن بسطها حتى

شعرت بالذهول وأنا أراقب العين التي سقطت من الكتاب منذ قليل.
تصاعد منها دخان أسود تتبعته إلى الأعلى حتى وصلت عيني إلى
السحب السوداء في السماء. كيف لم ألاحظ الدخان من قبل؟ لقد
أعماني الغضب حقًا! إن العين تُخرج سحبًا سوداء تجمعت فوق
الجزيرة وهي ما تسببت في حدوث الإعصار.

صحت قائلة:

- هل هذه هي عين الإعصار؟

- نعم.

صحت قائلة للمرة الثانية:

- وماذا بعد؟ ما الذي يُفترض أن يحدث الآن؟

- لا أدري!

ما إن أنهى أنس كلامه حتى رأيت الإعصار يتقدم منا بسرعة
فنبض قلبي في حلقي من فرط الهلع. سألته ودموعي تسيل ثانية
على وجنتي:

- ماذا سنفعل الآن يا أنس؟

أحكم ذراعيه حول خصري وهو يقف بشموخ يتحدى الإعصار
الذي يتقدم منا كالوحش المكشعر عن أنيابه. أجبرتنا الرياح الشديدة
على التراجع إلى الخلف حتى توقفنا فنظرت خلفي لأتفاجأ أنه يُسند
ظهره على نخلة كانت تهتز.

قال أنس:

- تمسكي جيدًا بي فلا سبيل للعودة إلى الشاطئ أو إلى أي مكان،
نحن محاصران هنا!

على الرغم من خوفي من المشهد المرعب أمامي ولكن التصاق
جسده بي جعلني أشعر بالأمان قليلًا. ظلّ الإعصار يقترب منا وأنا
أتمسك الحماية من أنس الذي أحاطني بذراعيه القويين متحديًا كل
شيء. تذكرت شيئًا هامًا؛ عندما سقطت العين المعدنية على الأرض
فُتحت ولهذا السبب إن رغبتنا في أن يتوقف كل شيء لا بد أن
نغلقها.

صحت قائلة:

- ماذا لو أغلقنا هذه العين؟ أظن أن كل شيء سينتهي!

صاح أنس:

- لا أدري يا لومينا، لا أرغب في زيادة الطين بلة فالأمر سيئ
بالفعل!

سمعت صوت دُهلِت لسماعه وهو ينادي قائلاً:

- لومينا، أين أنت؟

إن كان قلبي ينبض بالخوف من الإعصار منذ قليل فها هو ذا الآن
ينبض من الهلع عندما سمعت صوت مراد وهو يناديني! لا، لست
مستعدة لمقابلته بعد، لا أرغب في رؤيته. إن كنت سأموت الآن فأنا
أفضل الرحيل دون رؤية وجهه مرةً أخرى. حاول أن يبلغنا بصعوبة
والرياح تجبره على التراجع إلى الخلف. نظرت إلى أنس الذي بادلني
نظرات الحزن والفرح التي تحمل كلاً ما كثيراً من عتابٍ وشجنٍ

ومواساة وأمور أخرى وحدنا من نشعر بها.

صاح مراد قائلاً وهو يمسك بجذع نخلة قريبة منا:

- لومينا، إنني...

لم ينفه جملته لأننا رفعنا أنظارنا إلى الأعلى لتفاجأ أن الإعصار أصبح لا يفصلنا عنه سوى بضعة خطوات مما أفقدنا توازننا فبدأنا بالتأرجح في الهواء ونحن ندور مع الرمال وأوراق الأشجار! كان الصوت مربعاً للغاية تنخلع له الأفئدة ونحن ندور في عين الإعصار الذي تخللته صعقات من البرق! توهجت قلادتي وتعالى صوت أنينها كلما علت أجراس السماء التي قُرعت بجنون وكأنها نهاية العالم حقاً! لم أعد قادرة على الدوران أكثر من هذا فأنا على وشك التقيؤ في أية لحظة! أظن أن الإعصار يتحرك بنا إلى داخل الغابة، فصحت بأعلى صوت:

- أغلق العين يا أنس!

فتح أنس يده فطارت العين على الفور ودارت بداخل الإعصار مثلنا فذهب الأمل مع الريح! تحولت صعقات البرق إلى شكل غريب يشبه الماسة كثيراً كانت تبرق بداخله ثلاث نجوم مشعة كاد وهجها أن يعميني. أغمضت عيني لحمايتهما من ذلك الوهج الشديد، ولكن النجوم والشكل الغريب تبدوا فخفت وهجهم ثم تغير المشهد تمامًا وهذا الإعصار على الفور! اتسعت عيني دهشة عندما رأيت فتاة في العشرينات من عمرها شعرها كلون الشمس ذهبي تربطه بشريطة شعر حمراء كتلك التي تركتها على المنضدة في منزل ميرون! اقتربت مني بسهولة، والغريب أنني كنت أقف بداخل الإعصار فوق

السحب وكأنها يابسة فبحث بعيني عن أنس ومراد ولكنني لم أَرهما. وضعت الفتاة يدها اليمنى برفق على وجنتي قائلةً وهي تنظر إلى قلادتي التي تعالي أنينها كثيرًا:

- أنتِ شجاعة للغاية يا "بريندا"!

عقدت حاجبي استغرابًا مما تقوله، فتطلعت الفتاة إلى وجهي وهي تقول بعينين دامعتين:

- سامحيني!

لم أكن أفهم شيئًا لذا سألتها بنفاد صبر:

- أنا لا أعرفكِ! من أنتِ؟

قالت بأسى:

- أنا أدلين يا بريندا، ألا تتذكرين؟!

سألتها بنفاد صبر:

- أتذكر ماذا؟

ظلت تنظر لي بحزنٍ تتوسلني نظراتها المرتبكة لأسامحها في حين حاولت أن أنتهز الفرصة لسؤالها عن عرش الزمن فقلت:

- ما هو عرش الزمن؟

قالت بنبرة يملؤها الشجن والأسى:

- نحن حماة عرش الزمن يا بريندا! ابحتي عن النجوم بداخل القلادات فهي تعرف بعضها البعض كما أخبرنا ليونيد، وتذكري دائمًا

أن عرش الزمن بإمكانه تغيير الأحداث بلا ثمن في المقابل.

قطبت جبيني مرةً أخرى وأنا أحاول ربط الأمور بعضها ببعض، ثم سألتها:

- ولماذا يبحث عنه النكرومانسر؟

ندمت على ذكر اسمه لأن وجهها شحب للغاية ثم أجهشت بالبكاء وهي تتنفس بسرعةٍ شديدة، وكأنني ضربت على وتر حساس من الذكريات. سألتها مرةً أخرى:

- هل النكرومانسر حقًا هو ذلك الملعن الذي رغب في قتلي؟

أمسكت بكتفي وهي تصيح بي قائلةً بنبرةٍ لم تخلُ من التهديد:

- اسمعيني جيدًا يا بريندا! ستحمين "لايدن" لأنني فشلت في حمايته!

قلت بعصبيةٍ غير مباليةٍ لأي شيء:

- ومن هو لайдن؟

قالت بجدية:

- نهاية الكون بأكمله على وشك الاقتراب يا بريندا! حُماة العرش وحدهم من يتحكمون في حارس الزمن!

لقد تهت الآن وغرقت في أفكار وتساؤلات لا إجابة لها، سألتها بحيرة:

- ماذا؟ حارس الزمن؟ أنا لا أفهم!

تعالّت أصوات الرياح مرةً أخرى فنظرت حولي لأجد أنس ممسكًا بالعين وهو يحاول غلقها ولكنني صرخت فيه لكي لا يفعل، ولكنه لم يسمعني على ما يبدو. سألت الفتاة برعٍ:

- أخبريني رجاءً، كيف أعر على عرش الزمن؟

قالت وصوتها يبتعد عني:

- افتحي قلادتك واتبعي الشعاع الذي سيقودك إلى النجوم الأخرى وإلى عرش الزمن.

صحت قائلةً عندما رأيته تبعد أكثر ويتبدد جسدها:

- أتوسل إليك أنا لا أفهم شيئًا، لا ترحلي. لا تغلق العين يا أنس!

صحت وأنا أحدث أنس ولكنه لم يسمعني بل أغلق العين بالفعل فسقطنا جميعًا على الأرض بعد اختفاء الإعصار وظهور الشمس مرةً أخرى في كبد السماء. كنت ممسكةً بقلادتي وأنا نائمة على بطني أنظر إلى أنس والغضب يستعر في صدري. أظن أنه و مراد فقد الوعي لأنهما لا يتحركان. لا أظنهما فارقا الحياة لأن المسافة التي سقطنا منها لم تكن كبيرةً إلى تلك الدرجة التي ستتسبب في موتهما. لا أرغب في النهوض بل أود لو أنني مكنت هكذا فلم تعد بي طاقةٌ تسمح بالقيام بأي شيء. سمعت خطوات أقدام تقترب منا فرفعت نظري أتطلع إلى ميرون.

سمعت أصوات أقدام أخرى تقترب منا أظنهما لتولاي وسيلين التي حاولت إيقاظ مراد من إغمائته على الفور. أفاق مراد وتبعه أنس وهما ينظران حولهما بحثًا عني على الأغلب! نهضت بمساعدة

سيلين وأنا أسند على كتفيها بقوة لكي لا أسقط من فرط الدوار الذي أصابني في عين الإعصار. عدنا جميعًا إلى منزل ميرون صامتين لا نرغب في الحديث. بعدما جلسنا على الأرض نستند إلى الجدران الخشبية، قال ميرون:

- ما الذي حدث بالضبط؟

أخبره أنس بكل ما جرى في الدقائق السابقة لعمورهم علينا في الغابة وهو ينصت بتركيز فتعتلي وجهه ملامح الدهشة تارةً وملامح الفزع تارةً أخرى. في حين أصغى تولاي وعينه لا تفارق مراد الذي بادله النظرات نفسها. سكبت سيلين المياه الفاترة في كوب زجاجي وأعطته لي فتجرعته دفعةً واحدةً ثم طلبت المزيد.

بعدما أنهى أنس كلامه قال ميرون:

- لقد كانت عين الإعصار حقًا! ظننتها اسم أسطورة ما بداخل الكتاب ولكنني لم أفطن إلى تلك الحقيقة...
قاطعته قائلةً:

- ليس هذا كل ما حدث يا ميرون فهناك المزيد.

أفرغت ما في جعبتي حتى تلك المرة التي ذهبت فيها إلى سليستيا وغيرها من الأحداث الغريبة التي رأيتها قبل سفري معهم عبر الزمن. أصغوا إليّ جميعًا بتركيز وأعينهم لم تتزحزح من على وجهي المتعب.

عندما انتهيت قال مراد:

- سليستيا! لقد قرأت ذلك الاسم سابقًا في أحد كتب مملكة
ليموريا!

تجنبتي الحديث إليه أو النظر في عينيه لذا لم أعلق على كلامه،
ولكن ميرون قال:

- سليستيا هي مملكة النور القديمة في سماء الكون السحيق، وهي
منبع السحر بنوعيه الأبيض والأسود، في الواقع إنهم أسلاف سحرة
النور جميعًا!

قالت سيلين بابتسامتها البريئة:

- هل هذا يعني أنكم أحفاد سحرة النور الذين عاشوا في
سليستيا؟

أوما ميرون بالإيجاب ثم قال موجهًا كلامه لي:

- لومينا! إن ما يحدث معك لا يبشر بالخير أبدًا، يجب أن تتوخي
الحذر من الآن فصاعدًا؛ فذهاب روحك إلى الأحلام ثم العودة منها
بأشياء من تلك العوالم لم يحدث لأحد من قبل، ولا أجد له تفسيرًا
حتى الآن!

قلت بحدة عندما شعرت بنبرة لوم في صوته:

- وما الذي يُفترض بي فعله؟ لماذا تتحدث معي وكأنني أذهب إلى
تلك الأماكن بمحض إرادتي؟

التفتوا إلي جميعًا يتطلعون إلى وجهي مذهولين من حدثي في
الكلام معه. لم يرد ميرون فساد الصمت بيننا، قطعه أنس قائلاً:

- أنا أتضور جوعًا، لم أشعر بالجوع أبدًا عندما كنت في متاهة الزمن!

قال ميرون:

- لأن روحك هي التي حبست في المتاهة فلم يعد جسدك يشعر بالاحتياجات التي يحتاج إليها البشر!

سألت سيلين بعبويس:

- هل كان أنس محبوبًا من قبل؟

لم ينطق أحدنا بكلمة، فماذا سنقول؟ التزمنا الصمت لأنه الحل الأمثل. نهض تولاي ثم قال:

- سأذهب لاصطياد أي حيوان يقابلني في الغابة فشبكة الصيد ضاعت أثناء الإعصار.

خرج من المنزل ولكننا ظللنا جالسين على الأرض صامتين لفترة من الزمن حتى قال مراد موجهًا كلامه إليّ:

- لماذا نادتكِ تلك الفتاة باسم بريندا؟ هل تعرفينها؟

لم أنظر إليه وأنا أقول:

- لا، لا أعرف أحدًا يدعى بريندا ولا أظن أنني قابلت أحدًا يحمل ذلك الاسم من قبل!

قالت سيلين:

- آسفة على التدخل في النقاش ولكنني أرغب في معرفة الخطوة

التالية لرحلتنا.

قال ميرون:

- الخطوة التالية هي فتح لومينا للقلادة ومن ثمّ مراقبة ما سيحدث، ولكنني أفضل أن يحدث هذا بعد أن نرتاح قليلاً فنحن منهكون بحق.

قضينا الوقت في صمت حتى عاد تولاي يحمل جديًا ذبحه بسيفه على الأغلب. لم أتحرك من التعب قيد أنملة فنهض ميرون وحمل الجدي ثم خرج إلى الشاطئ وهو يجمع الحطب ثم أشعل فيه النيران التي خرجت من يديه. كانت حفلة شواء جميلة تتصاعد منها الرائحة الشهية للطعام فأدركت وقتها فقط أنني كنت أتضور جوعًا حقًا كما فعل أنس!

تراقصت النيران على الشاطئ وهي تؤدي عملها جيدًا في حين التففنا حولها ننظر بهيام إلى ذلك الجدي اللذيذ ننتظر بنفاد صبر نضجه لنلتهمه.

سألني تولاي:

- من هو لايدن؟ ولماذا طلبت منك أدلين أن تحميه؟

أجبت:

- لقد أغلق أنس عين الإعصار فلم أتمكن من معرفة الإجابة عن أسئلتك.

سألت ميرون باستغراب:

- لماذا أخبرتني الفتاة في عين الإعصار أن النجوم بداخل القلادات تعرف بعضها البعض؟ أنا لم أفهم!

نظر ميرون إلى الأفق ثم قال بهدوء وهو يراقب أمواج البحر التي تعانق الشاطئ بين الحين والآخر:

- سليستيا هي موطن سحرة النور الأوائل الذين وُكلوا بمهمة حماية عرش الزمن الذي لم يستخدمه أحد من قبل.
سأله مراد بعبويس:

- ولماذا لم يستخدمه أحد من قبل إن كان به تلك القوى الخارقة؟
أجابه أنس وهو ينظر إلى رمال الشاطئ:

- ذكر في كتاب السحر الأسود أن هناك حارس يحمي عرش الزمن، ووحدهم حُماته من يستطيعون التحكم به، إنه ليونيد وسلالته.
قلت بحماس:

- ألا يعني هذا أنك وميرون و... وسحرة النور الآخرين حُماة عرش الزمن؟

ابتسم مراد عندما لم أستطع نطق اسمه ثم أجاب بالنيابة عن أنس
ليستفزني:

- لا، الأمر لا يسير بهذا الشكل يا آنسة، ليونيد ونسله فقط هم حُماة عرش الزمن ولكن سحرة النور الآخرين ليسوا من الحُماة مثلهم! هذا يعني أنني ربما أكون أو لا أكون من سلالة ليونيد.

قال ميرون وهو يقطع قطعة من لحم الجدي:

- لقد نضج الطعام، تفضلوا رجاءً!

أكلت حتى امتلأت ولم أعد قادرة على تناول المزيد من الطعام. عندما انتهوا جميعًا أحمد ميرون النيران بالرمال ثم نهض وهو يتجه إلى الشاطئ. وقف أمام البحر ثم أخرج شيئًا معدني مستدير لونه أزرق من جيب سرواله، فحدث شيء غريب للغاية عندما فتحه؛ انطلق سائل فضي اللون تصاعد إلى الأعلى ثم تحول إلى سماءٍ منشقة! اقتربت منه لأرى المشهد الغريب فتفاجأت أنها ما هي إلا مرآة جيب مدمجة في ذلك المعدن المستدير القابل للطي. قال ميرون:

- لقد اتسع الانشقاق السماوي، يجب أن نتحرك بسرعة.

لم أعد أحتمل، فصحت فيه بعصبية:

- نحتاج إلى الراحة بحق الإله يا ميرون!

صاح ميرون بدوره:

- ولكن الانشقاق في ازديادٍ يا لومينا، ماذا سيحدث إن اتسع ذلك الانشقاق برأيك؟ ألا تعرفين أن العالم سينتهي؟ هل هذا ما ترغبين به؟ ليس لأنك تعيشين في ملاذٍ آمنٍ هنا يعني أن تتناسي حقيقة أنك في مهمة كونية يعتمد البشر أجمعين عليك، ما هذه الأنانية؟

نهض أنس من مكانه ثم توجه إلى ميرون قائلاً بحزم:

- اهدأ يا ميرون فنحن متعبون!

إنها المرة الأولى التي أرى فيها ميرون متوترًا وغازبًا هكذا. أعلم

أنه خائف على حاضرننا وأعلم أيضًا أنه يرغب في مساعدتنا وللحق أنا ممتنة من أجل مساعدته ولكن ضغطه هذا سيؤدي إلى انهيارى في نهاية المطاف.

قلت بهدوء:

- دعنا نرتاح لبضعة ساعات فقط!

زفر بقوة ثم أوماً بالإيجاب متجهًا إلى منزله. قالت سيلين:

- نحن نحتاج إلى ثياب جديدة ونظيفة، أليس كذلك؟

عدنا إلى المنزل فطلبث من ميرون إحضار ثياب جديدة لنا فقال:

- لن أتمكن من السفر إلى مملكة الشمال في المستقبل لإحضار ملابس خاصة بكم، كما أخبرتكم من قبل السفر عبر الزمن خطير ولا يجب العبث به، يكفيننا ما سنفعله بالفعل في الأماكن التي سنسرق منها القلادتين! يوجد مفارش في الطابق العلوي سأصعد لإحضارها لتقيكم من برد الليل حتى تجف ملابسكم.

تنهدت على مضض ثم توجهت إلى الأعلى فرأيت غرفتين مغلفتين فتوجهت إلى اليمنى ثم فتحت بابها وأنا أنظر إلى ما بداخلها. كانت غرفة عادية وضع فراش في ركن بعيد منها والركن الآخر انتصبت فيه خزانة صغيرة توجهت إليها ثم فتحتها. نظرت إلى المفارش الكثيرة التي طويت بعناية أمامي فتعجبت لكثرتها! إنه وحيد ومع ذلك توجد عشرات من المفارش لسبب لا أفهمه. أمسكت بواحدة منها لونها أبيض فإذ بي أفاجا بخطوات أقدام تقترب من باب الغرفة. أمسكت بالمفارش وانتظرت رؤية وجه الشخص الذي صعد

الدرج إلى هنا لاكتشف أنه مراد!

دلف إلى الغرفة واقترب مني بخطواتٍ متعاقلة مترددة، قال بعد تفكير:

- أنا مدين لك بالاعتذار!

تفاجأت باعترافه بخطئه بل ومحاولته للاعتذار أيضًا، ولكنني قلت على الرغم من هذا:

- في الواقع، أنت لست مدينًا لي بشيء، فأنت لم تكذب عندما قلت إنك تكرهني بل كانت هذه حقيقة مشاعرك وأنا أحترم هذا، وأظن أنني من يجب أن أعتذر لك عما بدر مني طوال الفترة التي عملت فيها بالقصر لأنني دائمًا ما كنت فظة معك، لم أمنحك المعاملة الحسنة التي استحققتها، ومع ذلك، أظننا متعادلين؛ فأنت تعاملني معاملة سيئة للغاية مذ رأيتني، ولذلك فالاعتذار الآن ليس في محله على الإطلاق، و...

توقفت عن الكلام أفكر مليًا في ما سأقوله لأن مجرد التفكير فيه كان يفطر قلبي كخيرًا. قلت أخيرًا وأنا أنظر إلى عينيه الحزينتين:

- في الواقع، سأكون سعيدة للغاية إن حالفك الحظ وعمرت على حب حقيقي، سأكون سعيدة لأجلك لأنك تستحق أن تعيش حياة مليئة بالحب يا مراد!

خانتني ابتسامتي الحزينة المليئة بالشجن عندما اعتلت وجهي. سرت باتجاه الباب ثم نزلت الدرج ولم ألتفت لأرى ماذا يفعل. أعطيتهم المفارش فقال ميرون:

- اصعدي مع سيلين إلى الغرفة التي في الطابق العلوي لترتاحا فيها.

نظرت إلى سيلين التي أومأت على الفور ثم صعدت معي إلى الأعلى، فاختلست النظر إلى الغرفة التي تركت مراد فيها فرأيته نائماً على السرير يبدو عليه التعب. دخلت الغرفة الأخرى التي لم تختلف كثيراً عن تلك التي ينام فيها مراد ثم استلقيت على الفراش الدافئ. شعرت أن سيلين ترغب في قول شيء ما وهي ممددة بجانبها على الفراش، لذلك أرحتها من العناء وبادرت بالكلام قائلة:

- فيم تفكرين؟

قالت بعد برهة من التفكير:

- هل هناك شيء بينك وبين مراد؟ شعرت أن الأمور بينكما غريبة وكأنكما تكبحان مشاعر دفينه في قلوبكما.

لم أرد، فماذا سأقول؟ الأمر واضح للجميع ولكننا نكابر حقاً، ولكنني لم أعد واثقة بحقيقة مشاعره تجاهي، قلت:

- أنا متعبة للغاية، ليلة هنيئة.

استدردت موليةً ظهري لها دون أن أنطق بكلمة أخرى ولم أكثر صراحةً إن كنت أخرجتها فأنا متعبة حقاً وأرغب في النوم كثيراً. كانت أمواج البحر والرياح تعزفان سيمفونية رائعة بالخارج. ظننت لوهلة أنني سمعت صوت شيء يتحرك ففتحت عيني بعد أن أغلقتهما عنوةً من شدة التعب. اعتدلت في جلستي ثم أصغيت بتركيز إلى شخص ما يطرق الباب بعنف. مشيت باتجاه الباب ولكن

يد رجل غريب في الثلاثين من عمره أوقفني وهو يضعها على
كتفي قائلاً:

- سأفتحه أنا.

تسمرت مكاني ولم أتحرك قيد أنملة وأنا أرمقه بنظرات ذهول
واستغراب فعبس وجهه وهو يقول:

- لا تقلقي!

إنه منزل غريب، على الرغم من أن المنزل الذي أنا فيه الآن يشبه
منزل ميرون فإنه كان من طابق واحد فقط. كانت هناك مرآة على
يميني فنظرت إلى وجهي فيها فاكتشفت المفاجأة! رأيت انعكاس
شخص آخر تمامًا لا يشبهني على الإطلاق يتطلع إلى وجهي. كانت
امرأة في العشرينات من عمرها، ربما نتقارب في السن ولكن شعرها
أسود كالفحم، وعيناها زرقاوان، لها بشرة ناضرة جميلة للغاية إلى
تلك الدرجة التي وددت لو كنت أشبهها حقًا من فرط حسنها. فتح
الرجل الباب فاختلست النظر إلى ذلك الرجل الضخم الواقف أمام
المنزل والشريقدح من عينيه قائلاً:

- إنه اليوم الحادي عشر، أخبرتني أنك ستحضر المال في اليوم
العاشر.

قال الرجل الذي كان يحدثني منذ قليل:

- سيد "أنمار"، سعيد لرؤيتك كثيرًا.

- قال المدعو أنمار وهو يكز على أسنانه مكورًا قبضته:

- التملق لن يفيد الآن يا "أكين"! أين هو المال أيها الوغد؟

قال أكين بهدوء:

- سأذهب اليوم إلى القصر الملكي وسأطلب من كبير الخدم أن يقرضني المال، حسناً؟

نظر أنمار إلي نظرة غريبة وهو يتأمل كل تفصيلة في وجهي وجسدي ثم نظر إلى أكين قائلاً:

- إن أتيت غداً ولم أجد مالي، لا تغضب إن فعلت ما سأفعله!

يبدو أن أكين لم يفهم ما يرمي إليه أنمار، ولكنني فهمت من نظراته الحيوانية فتوجهت إلى الباب وأغلقتة في وجهه بعنف ثم صحت في أكين:

- لماذا تقترض المال من ذلك الحقير بحق السماء؟

اقترب مني أكين ثم وضع يديه على كتفي قائلاً بوهن:

- لأنني فعلت شيئاً لم أخبرك به واحتجت إلى المال حتى أفعله!

سألته قاطبة جيني:

- وما هو ذلك الأمر بالضبط؟

تنهد ثم قال:

- سمعت عن طبيب مشهور في المدينة أخبرني أحد الجيران عنه وقال أنه بإمكانه شفاء "روبين".

قلت عنوةً وكأنني لا أتحكم في عقلي أو جسدي كما حدث وأنا في

سليستيا:

- أنت تعلم جيدًا أن "روبين" مريض ولن توجد قوة على الأرض
ستتمكن من شفائه! لماذا لم تستطع تقبل حقيقة ابنك يا أكين؟

أمسك بيدي ثم نظر إلى عيني بتعبٍ قائلًا:

- أنت لا تفهمين! يؤلمني كثيرًا رؤيته منطويًا لا يتحدث مع أحد
في حين يلهو الأطفال من حوله ويلعبون ولكنه يرفض المشاركة!
شعرت بغصة في قلبي فامتلات عيناى بدموع الألم وأنا أقول:

- أعلم أنك مستاء وأنهم يلومونني لأنه مريض فهو أتى من هذه
البطن الخبيثة كما أخبروني من قبل، ولكنني أتألم بالمقدار نفسه
يا أكين، ولكن هذا لا يعني أنني أصدق كل ما يُقال لي عن احتمالية
شفاء طفل مريض ولن يُشفى من مرضه أبدًا!

ترك يدي ثم قال بحدة:

- لقد اقترضت المال وسأسدده اليوم، إن لم ترغبى في العمل
بالقصر الملكي فلن ألومك! سأذهب على كل حال هناك لاقتراض
المال من كبير الخدم حتى يحين موعد قبض الرواتب فيُخصم المال
منه.

شعرت بالشفقة على حاله فاحتضنته قائلةً:

- لا تحمل همنا وحدك يا أكين، سأدعمك دائمًا.

ضمّني بقوة فهمست:

- سأوقظ الصغار حتى أصطحبهم معي إلى القصر.

ابتعدت عنه عندما أدركت فجأة أنني أحتضن رجلاً غريب لا أعرفه
وكان روحي تستيقظ فجأة بداخل جسد المرأة لتدرك أنها مسجونة
فيه. توجهت إلى غرفة مقابلة لتلك التي كنت أنام فيها منذ قليل.
في الواقع، لقد كان هذا كوخًا عاديًا كأكواخ القرويين في أية مملكة؛
فهو يتكون من طابق واحد فقط مع غرفة أو اثنتين للنوم إلى جانب
غرفة لقضاء الحاجة وأخرى للطهي!

رأيت طفلة صغيرة في السابعة من عمرها تقف أمام الغرفة
المخصصة للطهي وهي تنظر إلى الموقد بيأس ثم قالت:
- ألن نتناول اللحم يا أمي؟ لقد مضت فترة طويلة وقد اشتهيته
اليوم.

تطلعت إلى وجهها الهزيل الضعيف وإلى نظراتها التعيسة البائسة
فشعرت بالعجز يجتاح قلبي. اقتربت منها ثم أحاطت يداي وجهها
الصغير بحنو وقلت مبتسمةً إليها:

- حبيبتي، أعدك بوجبة لذيذة من اللحم بمجرد أن نذهب إلى
القصر، حسناً؟

لم ترد ولم تتحرك بل اكتفت بتلك النظرة التي اخترقت قلبي
كالسهم فأصابته بالغم والشجن وزادت من همومه التي اشتعلت
فكادت تحرقه. تنهدت ثم قضيت الوقت في مساعدتها لارتداء
ملابسها لتذهب معي إلى القصر. خرج طفل في الثانية عشر من
عمره تقريبًا من الغرفة المقابلة لغرفة الطهي وهو يتعاب قائلاً:

- أنا جائع!

ابتسمت ثم قلت:

- يجب أن ترتدي ملابسك لنذهب إلى القصر، لقد وعدني كبير الخدم أن تمكث بيت التعليم حتى أنتهي من عملي!

تأفف الطفل الصغير ثم اندفع إلى خزانة الثياب المهرثة ففتحها بعنف عن آخرها ثم أخرج ثيابه البالية ليرتديها. صحت فيه قائلة:

- فلتأدب يا روبين!

وضعت يدي على ثغري أتحسس ملمس الاسم الذي اندفع منه وكأنه يعرف هذا الطفل جيدًا وينطق باسمه طوال أعوامه الاثني عشر. خرجنا من الكوخ فتفاجأت بأن المكان يشبه القرية بمملكة الشمال إلى حد كبير. توجهت مع الطفلين وذلك الرجل الذي يبدو أنه زوج المرأة التي سكنت روعي بجسدها إلى عربات البريد التي اندفعت جيادها إلى المدينة الملكية.

تركني أكين على باب القصر الذي كان يشبه إلى حد ما ذلك الذي عملت به في مملكة الشمال ثم توجه إلى الحديقة حيث يعمل على ما أظن. أخذت الطفلين ودخلت القصر فرآني كبير الخدم فأخذ روبين الذي راح يضرب الأرض بقدميه غاضبًا لأنه لا يرغب في الذهاب معه إلى بيت التعليم ليتعلم القراءة والكتابة.

توجهت مع الطفلة التي أدرك عقلي أن اسمها "ديالا" إلى المطبخ لمباشرة الأعمال. مضت الساعات بطيئة للغاية وأنا أطهو الطعام وأنظف مع مساعدة أخرى أخبرتني أن اسمها "ريفال". لعبت ديالا بالأواني وبالملاعق الخشبية في ركن بعيد عن الموقد الطيني.

لماذا لا أستيقظ من النوم؟ أشعر بالملل يأكلني، ولكن المضحك في الأمر هو أنني كنت أعمل مجبرة ولم أتمكن من الهروب، فأنا لا أعرف إلى أين سأهرب؟ دخلت المطبخ فتاة صغيرة لم يزد عمرها عن الستة أعوام وتوجهت إلى ريفال قائلةً وهي تنظر إلى ديارا:

- من تلك الفتاة؟

ابتسمت ريفال ثم قالت وهي تنحني لها:

- إنها ابنة الطاهية الجديدة يا سمو الأميرة!

سألتنى ديارا:

- لماذا تنحني ريفال يا أمي؟

أمسكت بها وأنا أهمس في أذنها:

- لا تتحدثي حبيبتي.

اعترضت ديارا قائلةً:

- ولماذا لا أتحدث؟

اقتربت منا الأميرة الصغيرة قبل أن أنهر ديارا عن التحدث ثانيةً، ثم نظرت إليها وقالت:

- هل تريدان اللعب معي؟

نظرت إليّ ريفال بنظرات حائرة، ولكنها قالت على كل حال:

- بالطبع فمن لا يرغب باللعب مع سمو الأميرة الجميلة؟

أمسكت الأميرة بيد ديارا واقتادتها إلى خارج المطبخ فشعرت

بغصة في قلبي ولا أدري السبب. سألت ريفال بقلبي:

- إلى أين أخذتها تلك الفتاة؟

أجابني ريفال بعبوس:

- إنها سمو الأميرة يا إلينا، تذكرني هذا دائمًا!

إن، اسم المرأة الجميلة التي سكنت روعي في جسدها في هذا الحلم الغريب هو إلينا. تعالت أصوات الضحكات والصياح خارج المطبخ للطفتين اللتين كانتا تمرحان كثيرًا وهما تتشاركان اللعب في حين وضعت قدرًا كبيرًا مليئًا بالمياه على الموقد حتى أضع اللحم بداخله لينضج فلم يكن يحبه الملك مشويًا بل مسلوقة.

كانت رائحة اللحم شهية للغاية فشعرت بحرب ضروس تندلع في بطني الجائع ولكنني لم أجرو على تذوق قطعة من داخل ذلك الإناء الكبير الممتلئ باللحم عن آخره. لا بد أن الرائحة الطيبة للطعام جذبت الطفتين إلى المطبخ، ولكنني لن أعطي قطعة لحم لديالا الجائعة إلا عندما تنتهي الأسرة الحاكمة من تناولها أولًا. نظرت الطفلة إلى القدر الممتلئ باللحم ثم قالت وعيناها تلمعان:

- إنه لحم يا أمي! أنا جائعة للغاية.

نظرت إلى ريفال أتوسل إليها لكي أعطي ديالا قطعة لحم ولكنها رمقتني بنظرة لن أنساها، وكأنها أرادت أن تخبرني أنني لو فعلت ما تخشاه سيكون اليوم الأخير لي في القصر. ظلت ديالا تبكي حتى لم أعد أطيق الاستماع إلى بكائها فأنفعلت وصحت بها قائلة:

- ديالا، عندما ينتهي الملك من تناول طعامه ستأكلين!

لم تستمع إلى كلمة مني فواصلت البكاء حتى أعطتها ريفال قطعة صغيرة التهمتتها الطفلة فهدأت قليلاً. نظرت إلى ريفال نظرات امتنان لما بدر منها ولكنها لم تنطق بكلمة. خرجت ديالاً من المطبخ بصحبة الأميرة الصغيرة ثانية لتتشارك اللعب. مضت دقائق معدودة قبل أن أسمع صوت حطام شيء ما تبعته صرخة مدوية جعلت قلبي ينتفض هلعاً! كانت صرخة لطفلة صغيرة لذا ألقيت بالإناء على الأرض فسقطت قطع اللحم منه وتبعثرت في كل مكان!

جريت إلى مصدر الصوت ولكنني توقفت عن الجري عندما رأيت ما يحدث في الغرفة المجاورة للمطبخ. تمدد جسد الأميرة الصغيرة على الأرض وفوقها تناثرت شظايا مرآة محطمة يبدو أنها وقعت على جسدها! سألت دماء الطفلة التي لم تتحرك ويبدو أنها فارقت الحياة بالفعل. نظرت إلى ديالاً بذهول وهي تصرخ وتبكي لهذا المشهد المؤلم أمامها. أتى الحراس والملكة التي ما إن رأت جثة ابنتها غارقة في دمائها على الأرض حتى أطلقت صرخة ألم انخلع لها فؤادي. ما الذي فعلته يا ديالاً؟ انهمرت الدموع على وجنتي وأنا أشاهد الحراس يمسكون بطفلي وهي تصرخ وتنادي قائلةً بهلع:

- أمي، أنا خائفة، لم أفعل لها شيئاً!

ركعت على الأرض أقبل قدم الملكة وأنا أبكي أنهاراً قائلةً:

- عاقبيني أنا واتركيها أتوسل إليك!

نهضت الملكة وهي تنظر لي بكره ثم أمسكت بجزء من المرأة المكسورة وبكل ما أوتيت من قوة يدفعها الغضب ويعميها الانتقام

توجهت لديالا ثم ذبحت رقبتها الصغيرة، فتناثرت دماؤها على وجهي وملابسي. لم أنطق ولم أتحرك لأنني شعرت وقتها أنني سأموت من فرط الصدمة! طاوعني صوتي أخيرًا فانطلقت مني أعلى صرخة استطاعت حنجرتي إطلاقها. كانت صرخة ألم وغضب وذهول مليئة بالكره والبغض. نظرت إلى الملكة التي كانت تولول وهي تحتضن جثة ابنتها في حين كنت أنوح وأصرخ كالمجانين حتى أتى الملك.

احتضنت دياالا المذبوحة ودماؤها الدافئة تسيل على جسدي وأنا أولول فاختلطت صرخاتي مع نواح الملكة في حين وقف الجميع ينظرون إلينا في ذهول تام! تقدم الملك من طفلة الميتة ثم ركع على الأرض ينظر إليها بعينين متسعيتين عن آخرهما ثم نظر إلي فأدرك ما حدث دون أن ينطق أحد بكلمة ليفسر ما وقع للطفلتين! لمس دماءها يتأملها في شروء ثم تطلع إلى وجهي الباكي. استل سيقًا من ذلك الحارس الواقف بجواره وفي لمحة بصر شعرت بالسيف يخترق قلبي فبصقت الدماء من فمي على الفور ثم أظلم كل شيء!

تمائيل في منتصف البحر

فتحت سيلين عينيها عن آخرهما وهي تستمع إلى همسات قادمة من لومينا تتوسلها لإيقاظها فتطلعت إليها، ولكنها صرخت عندما تفاجأت بما يجثم فوق صدرها! انطلقت منها صرخة مدوية جعلت جميع من بمنزل ميرون يستيقظون. توجه أنس إلى الغرفة ثم دفع الباب بقوة وهو ينظر إلى ذلك الشيء الجاثم فوق جسد لومينا ثم توجه إليه بحذر وهو يسأل سيلين:

- ما الذي حدث؟

جثم على صدر لومينا كتلة من الضوء الأبيض الذي يتخلله بقعة ضوئية سوداء صغيرة في المنتصف. جلست سيلين على الفراش وهي تقول:

- لا أدري، لقد سمعتها تهمس بأشياء غريبة فاستيقظت لأتفاجأ بهذا المشهد أمامي!

نهضت سيلين ببطء وهي تراقب لومينا بخوف، في حين دخل ميرون ومراد تبعهما تولاي إلى الغرفة ولكنهم ثبتوا في أماكنهم ولم تصدر عنهم أية حركة من هول ما رآته أعينهم! قال ميرون بحذر:

- لا يقترب منها أحد وإلا تاهت روحها في الثقب الزمني.

سأله أنس بترقب:

- وما الذي جذب الثقب الزمني إليها؟

أجابه ميرون وعيناه لا تتزحزحان من فوق الكتلة المستقرة فوق

قلبها:

- هذا سؤال مهم سنعرف إجابته قريبًا!

مرت دقيقة وهم يراقبونها هكذا دون كلمة واحدة، ولكنهم تفاجأوا عندما اختفت الكتلة الضوئية في قلبها فأدركوا على الفور أنها المتسبب في رؤيتها لتلك الأحلام والكوابيس التي حكت عنها بالأمس. فتحت لومينا عينيها ثم صرخت بألم وهي تضع يدها على قلبها تتحسسها وكأنها تبحث عن شيء فقدته. أسرع إليها تولاي ثم قال بعدما جلس بجانبها على الفراش:

- ماذا رأيت هذه المرة؟

ابتلعت ريقها ثم دفنت وجهها بين يديها وقالت بصوتٍ مخنوق:

- لا أستطيع التحدث الآن، اتركوني رجاءً!

وقف تولاي ثم غادر الغرفة بهدوءٍ وهو يشعر بخيبة الأمل وتبعه البقية تاركين إياها وحدها تبكي بسبب الأهوال التي رأتها في الحلم. لم تعد تحتل ما يحدث من حولها فهي متعبة منهكة تملأ اليأس منها، فلم تعد تستطيع أن تمارس حياتها بشكلٍ طبيعي كما كانت تفعل قبل أن توافق على خوض هذه المغامرة الكئيبة! نهضت ثم توجهت إلى المرحاض لتغسل وجهها بالماء الفاتر علّه يمحو ذكريات مؤلمة أصبحت تطاردها كالوحوش. هبطت الدرج فرأتهم جالسين بانتظارها، تطلعوا إليها يراقبون ملامحها المذعورة والمتعبة كثيرًا.

تقدم منها ميرون قائلاً:

- أعلم أن ما تمرين به مؤلم للغاية، ولا نعرف حتى لماذا تحدث

معك تلك الأشياء الغريبة، ولكننا متأخرون كثيرًا يا لومينا.

أخرج الشيء الغريب من جيب عبائه السوداء ثم قال وهو يفتحها:

- الانشقاق يتسع والنهاية تقترب، إن لم نعلم على نجوم عرش الزمن سينتهي كل شيء قريبًا.

قالت بوجه مكفهر:

- ما هي الخطوة التالية؟

قال ميرون وهو ينظر إلى لومينا:

- اسمعيني جيدًا! ما سأخبرك به قد يبدو مخيفًا لوهلة، ولكن ما باليد حيلة يا لومينا فهي الطريقة الأمثل للعثور على القلادات دون عناء.

سألته بهدوء:

- كيف أساعدكم؟

قال وهو يتحاشى النظر في أعين الكل سواها:

- ستفتحين القلادة لتحرري النجمة بداخلها ثم ستقفين في منتصفها.

تبادلوا النظرات جميعًا فيما بينهم، ثم صاح أنس قائلاً وهو يقف أمام ميرون لا يفصله عنه سوى خطوة واحدة:

- هل جنت يا هذا؟ هل تطلب منها أن تقف داخل النجمة التي من

الممكن أن تبتلعها أو تحرقها وهي ما تزال على قيد الحياة؟

تفاجأ مراد بما يقوله أنس، فقال قاطبًا جبينه:

- ما هذا الهراء يا ميرون؟ أنت لن تخاطر فقط بحياة لومينا بل أيضًا ستخاطر بفقدان النجمة إلى الأبد!

أصبحت لومينا متأكدة تمامًا في هذه اللحظة بالذات أن مراد لم يعد يكن لها المشاعر كما كان يفعل في العام الماضي، فهو لا يفكر سوى في القلادة! كاد تولاي يقول شيئًا ما ولكنها بادرت قائلةً بحدة:

- بربكم جميعًا! ماذا سيحدث إن قتلتني النجمة؟ هل هذا هو ما يشغل بالكم حقًا؟ ماذا عن هلاك عالم بأكمله؟ ألا يعني لكم هذا شيئًا؟

ساد الصمت بينهم قطعته لومينا عندما أردفت قائلةً:

- من الآن فصاعدًا سأقرر لنفسي ما سأفعله في هذه الرحلة فأنا لست طفلة صغيرة تنتظر الإذن من والديها، ولن أسمح لأحد أن يقرر بالنيابة عني.

أخرسهم كلامها فلم يعد هناك ما يُقال لذا قال ميرون:

- عندما تقفين بداخل النجمة ستكشف لك أماكن النجمتين فحاولي أن تتذكرها جيدًا.

خرجوا جميعًا ثم وقفوا على رمال الشاطئ الباردة ينظرون إلى البحر المظلم على شمالهم وإلى القمر المنير بوجهه الأبيض الذي يبعث على أمل مزيف في السماء. أوما ميرون للومينا لتفتح قلادتها

فأمسكت بها ثم نزعتهما وهي تنظر إليها بعبوس.

بيد مرتعشة وبقلب نابض بالخوف فتحت القلادة فخرجت منها النجمة التي وقفت أمام لومينا وكأنها تنظر إليها. اقتربت بخطوات مترددة من النجمة ثم وقفت في منتصفها فلم يحدث شيء في البداية، ولكن جسد لومينا بدأ في الاهتزاز فجأة فانطلقت منها صرخات مفزعة. كاد أنس يبعدها عن النجمة ولكن ميرون منعه محذراً إياه بتذكيره بالقسم الذي أقسمه قبل أن يسافر معهم عبر الزمن.

رأت لومينا أشياء غريبة بداخل النجمة ولكن جسدها شعر بألم شديد وكأنه يحترق. لم تكن نيران حقيقية تشتعل في جسدها المهتز ولكن شعور الاشتعال نفسه لم يفارقها فتألمت وتأوهت من شدة الألم. ظلت تصرخ وهي تمسك برأسها من قسوة الألم المستعر في جسدها الواهن فراحت تتلوى كاللعبان بداخل النجمة وهي تقول:

- تماثيل في منتصف البحر، الغابة الصامتة، بئر الهمسات.

ظلت لومينا تردد هذه الكلمات وهي تتلوى من الألم وتصرخ فازداد القلق على محياتهم جميعاً. تقدم منها ميرون وهو يصيح في وجهها:

- تراجعى الآن يا لومينا.

تلوى جسدها من الألم وهي تصارع شعور الاحتراق بالنيران الوهمية التي راحت تأكل في جسدها مجبرة إياها على الصراخ بأبشع الصرخات التي من الممكن أن يطلقها المرء. قال مراد بعصبية

وهو يصيح في ميرون:

- فلتفعل شيئًا، إنها تتألم!

فكر ميرون في أية وسيلة لإجبار لومينا على الخروج من منتصف النجمة ولكنه لم يجد في دهاليز عقله أي شيء بإمكانه مساعدتها. تقهقرت سيلين إلى الخلف وهي تشعر بالذعر والحزن لما تشعر به لومينا، في حين وقف تولاي ينظر إليها وقلبه يدق كطبول الحرب خوفًا وهلعًا من فراقها. أتت مراد فكرة ظن أنها سوف تساعد، فانطلق إلى القلادة الملقاة على الأرض ثم أمسكها وفتحها ووقف أمام لومينا آملاً أن تعود النجمة إليها.

دفعت النجمة بلومينا إلى الخلف فأمسكها أنس قبل أن ترتطم رأسها بالأرض. بمجرد أن عادت النجمة إلى القلادة انطلقت ناحية عنق لومينا على الفور فهي ترفض أن تتركها لسبب لم يعلموه. حاول أنس إفاقة لومينا ولكنها لم تستجب فصاح في سيلين لكي تقترب منها لتعيد إليها وعيها! فتحت لومينا عينيها بعد محاولة سيلين لإفاقتها وهي تنظر إلى أنس الممسك بها فحنَّ قلبها إليه. رغبت لو أنها تضمه أو تتركه يحتضنها ولكن حقيقته تراقصت أمام عينيها فابتعدت عنه على الفور ثم نهضت وهي تعرج قائلة:

- تماثيل في منتصف البحر، الغابة الصامتة، بئر الهمسات!

تطلعوا إلى وجهها بعبوس، أردفت بجدية:

- هل تلك هي أماكن النجمتين وعرش الزمن؟

أجابها ميرون:

- نعم!

سأله مراد:

- وما هي التماثيل في منتصف البحر؟

تنهد ميرون ثم قال:

- تماثيل في منتصف البحر أو... مملكة ليموريا الغارقة!

سأله مراد:

- هل تقصد أننا سنسافر إلى ليموريا بعدما أغرقها الساحر الأسود

أسفل البحر؟

أجابه ميرون:

- بالضبط!

سأل تولاي:

- ولكن كيف سنذهب إلى مملكة تقع أسفل البحر؟

أجابه ميرون:

- هذا ما سنعرفه أيها الفارس! أظن أنكم تجيدون السباحة جميعًا،

أليس كذلك؟

غرقت لومينا في غياهب أفكارها السوداوية لأنها تعي جيدًا أنها

لا تستطيع السباحة، فهي كادت تغرق العام الماضي عندما ألقت بها

الفتاة ذات الشعر الأسود في مياه البحر بمملكة الشمال. كيف لها أن

تذهب إلى مكان من الممكن أن تغرق فيه ثانية؟ هل ستمنحها الحياة

فرصة أخرى للنجاة؟ راودها ذلك الشعور الذي شعرت به منذ أن رحلت عن مملكة بيورين، فهي تظن أنها لن تعود من هذه الرحلة في قيد الحياة أبدًا. لم تتذمر بل فكرت أنها لو كانت سترحل عن عالمهم فلترحل بسلام وبسرعة لأنها سئمت حقًا من الانتظار!

قال ميرون:

- سنسافر الآن إلى التماثيل في منتصف البحر للبحث عن القلادة!
فُتح الثقب فدخلوا إليه واحدًا تلو الآخر ثم خرجوا منه ليتفاجأوا أنهم يقفون على جبل مغطى بالثلج يحيطه الضباب من كل مكان. شعروا بلسعات البرد التي كانت تنخر في عظامهم فجعلت أسنانهم تصطك من البرد الشديد!

قال مراد وسحابة من الدخان تتكون أمام فمه:

- لماذا لا يوجد بحر هنا؟

انطلق شعاع من قلادة لومينا مشيرًا إلى نقطة بعيدة عنهم فساروا جميعًا إلى حافة الجبل عليهم يرون ما يشير إليه الشعاع، ولكنهم بمجرد أن وصلوا إليه توقفوا ينظرون إلى المفاجأة التي كانت بانتظارهم!

قال تولاي مشيرًا إلى الشيء البعيد عنهم قاطبًا جبينه:

- أظننا عمرنا على البحر!

قالت سيلين باندهاش:

- يا إلهي! هل ما أراه هناك حقيقي أو أنني متوهمة؟

قال ميرون بعبويس:

- لست متوهمة أيتها الطيبة، إن ما تريئه أمامك حقيقي لسبب
أجهله!

تراصت أسفل الجبل منازل مصنوعة من الحجارة انتصبت في
منتصفها تماثيل ضخمة لملوك يقفون بشموخ مشكلين ممراً ضيقاً
إلى حد ما. لم يُجر مشهد المملكة الخاوية من البشر دهشتهم، بل ما
غطاها من الأعلى هو الذي جعلهم يفغرون أفواههم من فرط الدهول!
استوى البحر فوق المملكة الكبيرة فأصبح لها كالسماء المليئة
بالأسماك التي راحت تسبح فيه، وكأنه مشهد طبيعي يراه المرء كل
يوم.

تساءل أنس بعبويس:

- ما ذلك المكان بالضبط؟

قال ميرون بجدية:

- سنسافر عبر المكان إلى ذلك الممر في منتصف المدينة.

أنهى جملة ثم فتح الثقب الأسود فدخلوا فيه جميعاً ليخرجوا
أمام شاطئ بلا بحر! انتصبت التماثيل الكبيرة أمامهم مكونة ممراً
ضيقاً وعلى جانبيها تراصت المنازل الحجرية الكثيرة! تطلعوا إلى
المشهد أمامهم بانبهار يشوبه الكثير من القلق والذعر والرغبة من
السير بين أطلال هذه المملكة المخيفة التي وقفت أمامهم بتعالٍ
وكانها تتحداهم للدخول إليها.

تساءلت سيلين:

- كيف يطفو البحر فوق المدينة هكذا؟

لم يُجبها أحد فهم لا يملكون إجابة لسؤالها. تقدم ميرون بتؤدة من الممر الضيق ثم خطا أول خطوة بداخله وتبعه الباقيون. ما زال الشعاع الذي خرج من قلادة لومينا يشير إلى مكان ما داخل الممر لم يره أحدهم بعد. تقدمت لومينا وهي تنظر فوقها إلى الأسماك التي تسبح في البحر غير عابئة بما يحدث أسفلها.

سأل تولاي:

- كيف للبحر أن يطفو فوقنا هكذا؟ ألم تقولوا من قبل إن هذه المملكة قد غرقت أسفل البحر؟ لماذا لا يوحى المشهد بهذا؟

قال ميرون وهو يسير بين التماثيل:

- أغرق ساحر نور ضال يُدعى بالساحر الأسود مملكة ليموريا عندما شن الحرب عليها ولكن هذا المكان ملعون، فالمملكة لا تتعفن أسفل المياه كما تخيلت بل هناك سبب جعل البحر يطفو فوقنا هكذا، ولكنني للحق لا أعرف ما هو.

سأل مراد بلامح وجه مكفهرة:

- لماذا لا تبدو مثلما رأيتها عندما سافرت إليها العام الماضي؟ كانت المنازل مصنوعة من الذهب تطفو فوق حفرة الخلود، ولكن المكان هنا مختلف للغاية وكأن ليموريا اختفت ليحل محلها مدينة كثيفة كهذه.

أصابت ميرون تساؤلاتهم الكثيرة بالغيب فقال:

- إن كنت أعلم إجابة تشفي فضولنا جميعًا لما بخلت بها عليكم،
والآن لنركز في مهمة البحث عن القلادة!

أخرستهم جملته فساروا بهدوء يتوغلون داخل الممر ويتبعون
الشعاع المنطلق من قلادة لومينا. انتفضوا جميعًا في أماكنهم عندما
سمعوا صوت غريب يصدر من إحدى التماثيل! تسمروا في أماكنهم
ينظرون حولهم بترقب استعدادًا لأي هجوم قادم. استل تولاي سيفه
بهدوء وهو ينظر حوله مراقبًا المكان في حين توهج جسد ميرون
استعدادًا لحرق أي شخص يعترض طريقه.

وقف مراد وأنس وسيلين أمام لومينا لحمايتها مما جعلها تجفل
كثيرًا، فهو أمر مزعج أن يتولى الآخرون حمايتها فهي ليست عاجزة
عن حماية نفسها. جعلت عرجة قدمها السير مؤلمًا ولكنها تحاملت
على نفسها حتى تنتهي من هذه الرحلة. ساد الصمت المكان فلم يعد
أحدهم يسمع شيئًا سوى أصوات أنفاسهم المتهدجة.

تنفس ميرون الصعداء وهو يقول:

- ربما كان ثعبانًا ما يختبأ خلف التماثيل.

ساروا جميعًا إلى حيث يقودهم الشعاع، يتطلع بعضهم إلى
التماثيل الضخمة والبعض الآخر يراقب البحر فوقهم بحذر! صاحت
سيلين فجأة وهي تشير إلى البحر بالأعلى:

- إنها جمّة!

ارتفعت أنظارهم إلى الأعلى يراقبون جمّة لامرأة عجوز تفتح
عينيهما عن آخرهما، جسدها منتفخ قليلًا ولون بشرتها شاحب، ترتدي

ثيابًا بالية ممزقة. سأل أنس قاطبًا جبينه:

- كيف وصلت تلك الجثة إلى هناك؟

ارتفع الصوت الذي كان يشبه فحيح الثعابين كثيرًا ليجبرهم على الثبات دون حراك في أماكنهم يلتفتون حولهم بحثًا عن مصدر الصوت. قال ميرون بتجهم:

- ذلك الصوت، إنه لا يبشر بالخير...

لم ينته من جملة لأن رجل ضخم البنيان قفز على الفور أمامهم كان يختبئ خلف أحد التماثيل. ارتدى الرجل قناعًا لجمجمة ذئب أخفت ملامح وجهه جيدًا فلم تظهر سوى عينيه فقط. كانت أربع ثعابين ضخمة تخرج من ظهره ويصدر منها الفحيح الذي يجعل الدم يتجمد في العروق! وقف الرجل يتأملهم في حين ارتفع صوت فحيح الثعابين فقذف في قلوبهم الرعب!

قال الرجل بصوت رخيم يتناقض مع هيئته تمامًا:

- هل اشتقت لي يا ميرون؟

اتسعت عينا ميرون بمجرد أن استمع إلى صوت الرجل ثم قال متلعثمًا:

ولكن، كيف؟ لقد... أنت لم تمت؟

قال الرجل بهدوء:

- أنت لست من هذا الزمن يا ميرون! لماذا أتيت؟

تعالى فحيح الثعابين التي راحت تنظر إليهم بتوعد وكأنها تنتظر

الإشارة من الرجل للانقضاء عليهم! أجاب ميرون قائلاً:

- سبب مجيئنا إلى هنا لا يعنينا في شيء أيها الساحر الأسود.

تبادل مراد ولومينا نظرات الحيرة، فهي من قرأت مخطوطات ساحر النور الأعظم في الكهف وهي تتذكر أن الساحر الأسود مات بعد أن أغرق ليموريا، فكيف له أن يقف أمامهم حيًا يُرزق؟ اختبأت لومينا خلف أكتاف تولاي ومراد العريضة التي حجبت الرؤية عنها فلم يكن الساحر الأسود يراها!

سألهم الرجل وما يزال صوته الرخيم يثير استفزازهم:

- لن أكرر سؤالاً ثانية!

لم يرد عليه أحد فتحفزت التعابين ثم تعالى صوت الفحيح عن آخره مما أصابهم بالرعب عندما اتخذ الرجل موضع الهجوم! تقدم تولاي بسيفه من الساحر الأسود ولكن الأخير أطلق كتلة من الظلام تشبه الكرة خرجت من يده متجهةً إلى الأول ولكنه تفادها ببراعة فأكملت طريقها إلى إحدى الصخور فدمرتها على الفور لتتفتت إلى غبار افترش الهواء والأرض معاً!

قال الساحر الأسود موجهاً حديثه إلى ميرون:

- الساحر الأسود لا يموت، هل ظننت حقاً أنني سأموت ببساطة لأن كيرال توهم أنه قتلني؟ لقد ظننتك أذكى من هذا!

يدرك ميرون أن مشاركته في الأحداث ستؤدي إلى إراقة الدماء في ليموريا ولكنه مضطر إلى هذا؛ لذا توهج جسده وهو يقول محذراً:

- ابحثوا عما جئتم من أجله فأنا سأخوض نقاشًا محتدًا للغاية مع هذا الوغد!

ضيّق الرجل عينيه ثم قال:

- لماذا تتحدث وكأنك بريء لم تمارس السحر الأسود من قبل؟

لم ينتظر ميرون كلمةً أخرى فانقض على الساحر الأسود وجسده مشتعل بالنيران ثم راح يطلق كرات الضوء فتفادها الأخير ولكن واحدة استطاعت أن تصيب إحدى الأفاعي فصرخت الأخريات مما زاد من غضبه. أمسك مراد بيد لومينا عنوةً ثم قادها إلى ممرٍ أصغر على يمينهما تاركين خلفهم تولاي وأنس محاولين قتل الساحر الأسود في حين اختبأت سيلين خلف إحدى الصخور وهي ترتعش من الهلع. تقدم تولاي من إحدى الثعابين التي حاولت أن تبخ سمها في ذراعه القوي الذي هبط على رقبتها ببراعة فقطعها على الفور.

كان الساحر الأسود مشغولاً بالكتلة الظلامية التي خرجت من يديه لتصطدم بكتلة النيران البيضاء التي خرجت من ميرون، ولكنه ترك كل شيء وتقهقر إلى الخلف عندما قطع تولاي رأس الأفعى فتلوى في ألم زاد من غضبه كثيرًا. اندفع الساحر الأسود يتطاير الظلام من جسده ثم تقدم من تولاي وأطاح به إلى الخلف لعدة أمتار فسقط على الأرض مغشيًا عليه!

في تلك الأثناء كانت لومينا تسير وهي تعرج ولم تعد تحتل الألم متبعةً ذلك الشعاع الذي كان يقودها إلى منزلٍ في منتصف الممر الجانبي. وقفت أمام المنزل وهي تنظر إلى الدرجات المؤدية إليه

بعبوس من فرط الألم الذي استعر بداخلها كالبركان فلم تعد تحتمل.
شعر مراد أنها تعاني فقال:

- بإمكانك الاستناد على كتفي حتى لا تضغطي على قدمك أكثر من هذا.

قالت بعناد:

- شكراً لك، أنا بخير.

سمعا صوت صراخ الأفاعي المرعب ثم تبادلا نظرات القلق فقال مراد:

- يجب أن نُسرع.

صعدا الدرج ولومينا تثن من الألم كلما اقتربت من باب المنزل ولكنها عنيدة إلى تلك الدرجة التي لن تسمح لها بطلب المساعدة من مراد حتى لا تُظهر ضعفها أمامه! وصلت أخيراً إلى الدرجة الأخيرة ثم وقفت أمام المنزل تلهت من التعب وتتصبب عرقاً وكأنها كانت تصعد لساعة كاملة!

بمجرد أن فتح مراد باب المنزل تفاجأ بسرب من الخفافيش تطير باتجاههم فاقترب من لومينا على الفور ثم أحاطها بجسده ليحميها منهم. عندما خرجت الخفافيش من المنزل تفاجأت لومينا أنه يحيطها بذراعيه فابتعدت عنه على الفور وهي تشعر بالحرج الشديد. كاد قلبها يتوقف من فرط النبض. شعرت بشرارة غريبة تتقد في قلبها ولكنها ترغب في التوقف عن الشعور بهذه المشاعر فلا طائل منها في نهاية المطاف.

تطلع مراد إلى المكان من حوله فتذكر منزل ساحر النور الأعظم الذي لم يختلف كثيرًا في الماضي عن الحاضر ولكنه كئيب لا تعمه البهجة أو السعادة التي شعر بها عندما دخل إليه وهو يدور في الهواء فوق حفرة الخلود. ازداد توهج القلادة كلما اقتربت لومينا من ذلك الحوض الذي رأى فيه مراد النجوم عندما سافر إلى ليموريا في الماضي. وقفًا أمام الحوض فلم يجد فيه شيئًا بل كان فارغًا تمامًا! قطبت لومينا جبينها ثم سألت بعبوس:

- لماذا يشير الشعاع إلى هذا الحوض، إن كانت القلادة ليست فيه! وضع مراد كلتا يديه فوق رأسه وهو يتطلع إلى كل شبر بداخل المنزل لعله يجد القلادة! جلست لومينا على الأرض أمام الحوض فلم تعد تحتمل الوقوف أكثر من هذا في حين ظلّ مراد يراقب المكان عله يهتدي إلى أي شيء.

فتح تولاي عينيه فضربه ألم شديد في مؤخرة رأسه التي ما إن تحسسها بيده حتى شعر بدمائه الدافئة على أصابعه! كانت الرؤية ضبابية إلى حد ما ولكنه تمكن من مشاهدة ما يحدث على بعد أمتار قليلة منه. يبدو أن الشجار احتد بين ميرون والساحر الأسود الذي كانت إحدى الأفاعي في ظهره تحترق بنيران سحرة النور البيضاء! انطلقت كتلة ضوئية من النيران من يد ميرون فأطاحت بالساحر الذي اصطدم بأحد التماثيل وهو يتأوه من شدة الألم.

قال الساحر الأسود:

- أتعلم يا ميرون؟ لم أشعر بالانتماء إليكم أبدًا!

تقدم منه ميرون والشرر يتطاير من عينيه يشعر بغضب شديد يستعر بداخله. تقدم من الساحر الأسود ثم بيد منيرة بالنيران البيضاء أمسك رأس الأفعى التي فتحت فمها عن آخره مكشرة عن نابيها الحادين وهي تصدر الفحيح المخيف أثناء احتراقها. نهض تولاي ثم أمسك سيفه وهرع إلى الساحر الأسود ثم نزل بالسيف على الأفعى الرابعة والأخيرة فقطع رأسها التي طارت في الهواء على الفور. صرخ الساحر الأسود في ألم والأفاعي تحترق خلفه فظل يطلق كرات النيران السوداء إلى ميرون الذي تراجع إلى الخلف ليتفادها.

قال ميرون مبتسمًا لاستفزاز الساحر الأسود:

- أعلم أن نيران سحرة النور لا تؤثر بسحرة الظلام، ولكنني اكتشفت أنها تؤثر على التعابين المنبثقة من ظهورهم!

صعد الساحر الأسود فوق التماثيل بسرعة شديدة وهو يصيح بغضب:

- كان كيرال يحاربني طوال الوقت ولكنه غبي لم يدرك أن السحر الأسود لا يموت!

قال أنس وهو يبصق الدماء من فمه:

- ما الذي يفعله ذلك الوغد؟

نظروا جميعًا إلى الساحر الأسود الذي ظل يصعد فوق التماثيل حتى وصل إلى أعلاها ثم وقف وصاح وهو يلمس مياه البحر من

فوقه:

- كما أغرقت ليموريا من قبل، سأغرقها ثانية!

المملكة الغارقة

كاد مراد يفقد عقله وهو يتجول في المنزل كالمجانين بحثًا عن القلادة. تطلعت لومينا إليه تنظر بذهول لتصرفاته قائلةً:

- أنت تعلم أن الشعاع يقودنا إلى القلادة، وبما أنها لا توجد في الحوض حيث أشار الشعاع فأنا لا أفهم لماذا ترهق نفسك في البحث عن شيء ليس له وجود من الأساس؟

التفت إليها بوجه مكفهر ثم تقدم منها ناظرًا في عينيها وهو يقول بحدة:

- وما الذي تقترحين أن أفعله الآن؟ أن أجلس مثلك على الأرض ليتمكن مني اليأس حتى ينتهي العالم؟

لم تتمالك لومينا نفسها فقالت بوجه حزين:

- أنت تكرهني حقًا!

قال بعصبية:

- نعم، أكرهك يا لومينا! ولم أكره أحد في حياتي مثلما كرهتك من قبل!

أصبحت كلماته كالخنجر المسموم، كلما استمعت إليها ازداد الألم بقلبها. أدمعت عيناها وهو ينظر إليها بكراهية شعرت بها لأول مرة وأجاد هو تمثيلها ببراعة فصدقته على الرغم من أنه كان يكذب عليها. ابتعد عنها وهو يمسح قطرات العرق من فوق جبينه بيده المتعركة في المقام الأول من فرط التوتر والعصبية. نظر حوله في

يأس ثم زفر بقوة وهو ينظر إلى لومينا التي التزمت الصمت.

سألها بضيق:

- لماذا أرى دموع في عينيك؟

أجابته وهي تمسح دموعها:

- لأنني أشعر بالوحدة كثيرًا.. أتعلم؟ سأبوح لك بسرٍ أريدك أن تتذكره دائمًا!

صمتت لبرهة ثم التفتت تنظر إلى سور الحوض وهي تتحسس الرسومات التي زينته. أردفت:

- لم أشعر بالرضا عن حياتي من قبل! لم أشعر بالسعادة إلا في لحظاتٍ قليلةٍ أنعمت بها الحياة عليّ ولكن تلك اللحظات تبددت. هل استحققت هذا يا مراد؟ هل كنت شخصًا بشعًا إلى تلك الدرجة التي جعلت الحياة تسخر مني مرارًا وتكرارًا؟ عشت طفلة يتيمة معظم الوقت ولكن الحياة كافأتني بشقيقٍ قاتلٍ تعلقت به كثيرًا ثم انتزعتني مني كما سلبتني والدي، ولكنها لم تكتف. لم تكتف ولن تفعل أبدًا، فها أنا ذي أجلس هنا معك، أنا التي لم ترغب في رؤية وجهك مجددًا لأن رؤيتك هكذا تؤلمني للغاية، ولكن الحياة تستهزأ بي مجددًا. أراها تُخرج لسانها في محاولة طفولية منها لأن تثير استفزازي حتى أستسلم وأقتل نفسي في نهاية المطاف لأتخلص من هذه الأعباء الثقيلة، ولكنني لن أفعل.. أتدري لماذا؟

نظرت في عينيه وهي تقول بإصرارٍ وتحدي:

- لأنني محاربة، والمحاربون لا يرفعون الرايات البيضاء بهذه

تبادلا النظرات لبرهة ثم أسندت لومينا يدها على سور الحوض لتنهض ولكن شيئاً ما حدث جعلها تتسمر في مكانها! دخل السور بأكمله إلى داخل الحوض ليفصح عن جزء فارغ منه توهجت بداخله قلادة تشبه قلادة لومينا! كان مشهد القلادة وهي تتوهج يشبه القمر في ليلة حالكة السواد. بعثت القلادة الأمل في نفسيهما وهما يراقبانها في ذهول. أمسكتها لومينا مبتسمة وهي تتفحص النجمة السابحة بداخلها بانبهار، ولكن ابتسامتها اختفت عندما سمعت صوتاً غريباً يقترب منهما.

وقف الساحر الأسود أعلى التمثال وهو يقول بغضب:

- ألم تتساءل كيف وصل المحيط إلى هنا؟ أراهنك أنك لا تبالي!
- نظر أنس إلى ميرون بعبوس متسائلاً عن حقيقة ما يقوله الساحر الأسود. تحاشى ميرون النظر في عيني أنس ثم قال صائحاً:
- ألم يحدث ما تمنيته؟ لقد غرقت ليموريا فتشتت أهلها وجابوا بقاع الأرض كلها باحثين عن موطن جديد لهم، ألا يكفيك هذا؟
- قال الساحر الأسود وهو يخفي ألمه ببراعة:
- لن أكتفي أبداً!

ساد الصمت وهم ينظرون إليه بتجهيم. أشارت سيلين إلى نور قوي يسبح في البحر يتجه نحو يد الساحر الأسود ثم قالت بصوت واهن:

- هل يستدعي النور إليه؟

أدرك ميرون ما يفعله الساحر الأسود فقال بذعر:

- لهذا السبب يطفو المحيط فوق المنازل! إنه لا يستدعي نور عادي أيتها الطيبة، بل ذلك الذي انبعث من حفرة الخلود وجعل المنازل عائمة في الهواء.

اكفهر وجه أنس عندما استوعب ما سيحدث لهم في الدقائق التالية، لذا صاح قائلاً وهو ينظر إليهم:

- سيهبط المحيط فوق رؤوسنا!

فتح ميرون الثقب بسرعة وهو يصرخ فيهم قائلاً:

- ادلفوا إليه قبل فوات الأوان!

قال تولاي بعصبية:

هل جنت؟ هل سنترك لومينا وحدها لتغرق؟

نظر إليه ميرون بنفاد صبر وهو يصيح:

- ستحميها القلادة، ادخلوا قبل أن يُغلق الثقب!

فاضت مياه البحر عندما أمسك الساحر الأسود بكتلة النور فارتفع في الهواء في حين تساقطت المياه على المدينة بأكملها! دلف أنس وسيلين وتولاي إلى الثقب وتبعهم ميرون ثم انغلق على الفور قبل أن يغرقوا أسفل مياه البحر.

سألت لومينا بعبوس:

- هل ذلك صوت مياه جارئة؟

نبض قلب مراد في حلقه وهو يفكر في الورطة القادمة إليهما. نظر إلى الباب ثم جرى نحوه بسرعة ليغلقه. قال لاهتًا وهو يسير نحوها:

- إنها مياه البحر، يجب أن...

لم يمه مراد جملة أنه المياه دفعت بباب المنزل بقوة لتدخل طاغية لا تكثر لشيء فهي مكلفة بمهمة إغراق من يعترض طريقها. صرخت لومينا وهي تنظر إلى المياه المندفعة في حين وقف مراد يفكر في الخطوة التالية. امتلأ المنزل بمياه البحر بسرعة شديدة فارتدت لومينا القلادة حول عنقها حتى لا تضيع منها.

صاح مراد قائلاً:

- عندما أطلب منك أن تستنشق أكبر قدر من الهواء ثم تكتمينه بداخلك افعلي على الفور، حسناً؟

أومأت لومينا وهي تنظر إليه بملامح مذعورة من مشهد المياه التي كانت ترتفع رافعة إياهما إلى سقف المنزل. لم يستغرق الأمر أكثر من دقيقة حتى امتلأ المنزل بالمياه عن آخره بل امتلأت المملكة بأسرها بمياه البحر فأصبحت غارقة في قاعه! يعرف مراد كيفية السباحة والغوص في حين لم تكن لومينا تفقه شيئاً سوى الغرق والاستسلام للموت! أمسك مراد بيد لومينا ثم سبح معها إلى خارج المنزل متجهاً إلى سطح البحر.

بدأ الهواء ينفذ من رئتيها فتمردتا بحثاً عن الهواء وهي ترتجف من

هول الموقف ولكن مراد لم يستسلم بل سحبها خلفه وهو يواصل السباحة إلى السطح. توهجت القلادتان وخرج من إحداها صوت الأنين في حين صارعت لومينا نقص الهواء في رئتيها في معركة كانت تعلم أنها الخاسرة فيها! توقف مراد من فرط التعب فهو لم يعد قادرًا على السباحة أكثر من هذا.

أدركت لومينا ما سيحدث لذا فتحت فمها وهي تحاول التحدث أسفل المياه بصوتٍ لم يكن مسموعًا أبدًا:
- اذهب.

تركها مراد على الفور ثم سبح بأقصى سرعةٍ لديه إلى السطح، وما إن وصل إليه حتى استنشق من الهواء ما يكفي ثم كتم أنفاسه ثانيةً وعاد سابحًا إلى لومينا ولكنها لم تكن تتحرك! أمسك بيدها وسحب جسدها معه أثناء السباحة إلى السطح وعيناها مغلقتين! تنفس الهواء بمجرد أن بلغ السطح ولكن لومينا كانت لا تتحرك أو تتنفس لذا صاح مراد قائلًا:

- لومينا، استيقظي، لقد نجونا!

لم ترد فأصابته نوبة ذعر جعلته ينادي بأعلى صوتٍ له عسى أحدهم يسمعه ولكنه لا يرى أحدًا! أمسك بها ثم حاول السباحة ضد الأمواج التي دفعته إلى الخلف تارةً وإلى الأمام تارةً أخرى! تعب من السباحة فتوقف يلتقط أنفاسه وهو يمسك بلومينا التي ما زالت لا تتحرك. امتلأت عيناه بالدموع لإدراكه الموقف الذي حاول جديًا أن ينكره ولكنه كان جلي كالشمس في كبد السماء!

قال وهو يحاول ألا يفلتها من يديه:

- لن أتركك! إن كنت تركتيني من قبل فأنا أعرف كيف أتمسك بما يخصني جيدًا؛ لذا لن أتركك. لا تستسلمي فالشاطئ يقترب منا.

عاد يسبح وهو يسحب جسدها معه فتزايد الألم في ذراعيه فتوقف ثانية وهو يلتقط أنفاسه المتسارعة ويتلاشى الأمواج العائرة التي أبت أن تسمح لهما بالوصول إلى بر الأمان. كلما تذكر أنها لا تتحرك ازداد غضبه الذي دفعه إلى السباحة عندما زوده بالقوة اللازمة لمجابهة اليأس وعدم الاستسلام. سحب جسد لومينا الساكن والخالي من الحياة في حين حاول جاهدًا أن يبلغ الشاطئ.

وقف أنس على الشاطئ يراقب الأفق أمامه بجانبه تولاي الذي لم يعبأ بالجرح في مؤخرة رأسه. قال أنس بتجهم لميرون الجالس خلفه على إحدى الصخور:

- أخبرتنا أن القلادة ستنقذها، لقد مرّ الكثير من الوقت ولم تظهر بعد.

صاح تولاي وهو يشير إلى البحر أمامه:

- إنها لومينا!

هرع تولاي يتبعه أنس إلى الشاطئ فوجدا مراد يحمل لومينا بين ذراعيه وهو يلهث بقوة. لم يسلم مراد جسد لومينا إلى أي أحد بل توجه على الفور إلى سيلين. وضع جسدها الساكن على الرمال ثم قال وهو يصيح في الطبيعة:

- ساعديها أتوسل إليك!

نظرت سيلين إلى جسد لومينا الممد على الأرض بلا حراك ثم
تحققت من نبضها فلم تشعر بأي شيء! نظرت بقلبي إلى مراد وأنس
المتساءلين بنظراتهم ثم قالت وصوتها يرتجف من الخوف:
- أظنها رحلت.

وقف ميرون يراقب المشهد أمامه فاغراً فاه من الدهشة والحيرة؛
فمن المفترض أن تنقذها القلادة وألا تسمح بموتها أبداً! ظلّ يتمتم
بصوتٍ منخفض:

- كيف؟ كيف؟

ركع أنس بجانب جمّة شقيقته ثم أمسك بيدها والدموع تنهمر على
وجنتيه قائلاً بنبرة مخنوقة من الألم:

- لا، لم ترحل! لا، افعلي شيئاً!

قالها وهو يصرخ في سيلين التي راحت تتحسس نبضها ثانيةً
ولكنها لم تشعر بشيء! جلس مراد أمام جمّة لومينا ينظر إليها
بشروء وكلماتها الأخيرة تتردد في أذنيه. اعترف مراد بكرهه لها في
آخر نقاش حاد يدور بينهما فشعر بغصة في قلبه. تطلع إلى وجهها
الشاحب وهو جالس على الرمال أمام الجمّة الخالية من الحياة.
إنها الفتاة الوحيدة التي أحبها وهي من تقبلت حقيقة التي أفزعت
الفتيات الأخريات!

قال بصوتٍ مبحوح:

- هل رحلت دون أن أعذر منك؟ لماذا ترحلين دائمًا؟

في هذه اللحظة فقط هربت الدموع من سجن كبريائه وغروره. بكى وهو يتذكر كلامه القاسي لها عندما أخبرها كذبًا أنه لم يكره أحدًا مثلما كرهها من قبل! رغب في البكاء كثيرًا من الوهلة الأولى التي حاولت شقيقته فيها قتله ولكنه تماسك ثم تماسك مرارًا وتكرارًا ولكنه لا يستطيع مواصلة التظاهر برباطة الجأش بعد الآن. لقد انتهى كل شيء، والعالم سينتهي، وماتت حبيبته!

توجه تولاي إلى الشاطئ ثم جلس واضعًا سيفه بجانبه وهو ينظر إلى البحر أمامه بعينين دامعتين. خيم الحزن على المكان فلم يعد أحد يسمع سوى أصوات الشجن يتردد صداها في الأفق. نهض أنس ثم توجه إلى ميرون ولكمه فتقهقر الأخير إلى الخلف وهو يتحسس وجنته التي راحت تنبض بالألم.

صاح أنس وهو يسدد لكمةً أخرى إليه:

- لقد أخبرتني أن القلادة اللعينة ستُنقذها! لماذا لم تنقذها؟

خرَّ أنس راكعًا أمام ميرون قائلاً وهو يبكي متوسلاً إياه:

- أعد لي قواي يا ميرون! سأعود بالزمن لأنقذها! بربك، اشفق على قلبي التعس هذا!

ما زال مراد جالسًا أمام جثة لومينا يتطلع إليها بحزن ودموع الألم تهبط من مقلتيه. ضمها إلى صدره وهو يبكي بحرقة وكلماته القاسية تتراقص أمام عينيه. كم رغب في الاعتراف لها بحبه، ولكنه أخبرها أنه يكرهها! ظل يفكر في ابتسامتها وطريقتها المتمردة عندما كانوا

في القصر والألم يستعر في قلبه الصريع. كلما أحب قلبه أحد سلبته الحياة وكأنها تعاقبه على شيء خاطيء لا يتذكر أنه اقترفه.

وضع رأسها على الرمال برفق ثم قال بصرامة:

- أخبرتني أنك محاربة، والآن أريني كيف يتصرف المحاربون.

أمسك برأسها بكلتا يديه وأرجعها إلى الوراء ثم دفع بذقنها إلى الخلف. أغلق فتحتي أنفها وهو يأخذ نفسًا عميقًا ثم أحكم ثغره على شفتيها ونفخ الهواء بقوة فارتفع صدرها إلى الأعلى. عندما شاهد صدرها يعلو تسلل الأمل إلى ثنايا روحه المتألّمة فنفخ الهواء في فمها ثانية ثم ضغط على صدرها لفترة في حين راقبه الكل وهم ينظرون إلى حالته التي يثرى لها!

اقتربت سيلين وهي تضع يدها على كتفه قائلةً بحزن:

- لقد رحلت يا سيد مراد، من الأفضل أن تودعها لكي يتسنى لنا دفنها.

لم يستمع إلى كلمة مما قالت وكأنها شبح فظل يضغط على صدر لومينا وهو يبكي قائلاً:

- لا ترحلي، أنت محاربة، استيقظي!

تقدم ميرون بوجه اسود من الحزن فجلس بجانب جمّة لومينا الشاحبة وهو يربت على كتف مراد قائلاً:

- اتركها، لقد رحلت يا مراد، لقد رحلت!

في غياهب الظلم

عندما سبح مراد إلى السطح سمعتُ الأئين الصادر من القلادة يرتفع مع ازدياد توهجها. بدأ الهواء ينفد من صدري فلم يعد بإمكانني التحمل أكثر من هذا. تمرد جسدي الذي كان في أمس الحاجة إلى الهواء فبدأ يهتز رُغمًا عني حتى أظلم البحر ولم أعد أشعر بشيء!

أدركت أنني مستلقية على شيء صلب لذا نهضت وأنا أستند على يديّ حتى وقفت فتفاجأت أن الألم في قدمي زال تمامًا! مشيت أتحسس طريقي علني أجد أية بقعة من الضوء ولكنني لم أجد. أظنني سمعت صوتًا غريبًا قادمًا من بعيد؛ لذا مشيت على الأرض الصلبة والباردة من أسفلي أتبعه عسى أن أهتدي إليه. اصطدمت بشيء صلب أمامي فتحسسته حتى لمست يدي مقبضًا فأدركت أنه باب. أمسكت بالمقبض وأدرته ففُتح الباب ثم انسلت خيوط الضوء إلى المكان الذي أقف فيه فأغلقت عيني على الفور لأنني تألمت كثيرًا. حاولت أن أفتح عيني ببطء لتعتادا الضوء ولكنني فتحتهما عن آخرهما عندما رأيت ما يحدث بالخارج!

إنني أقف في حديقة القصر الذي عملت به إلينا! رأيت طفلًا يجري مسرعًا إلى رجلٍ يقف على مسافةٍ مني ممسكًا بشوكة الحديقة في يده وهو يغرسها في التربة ولكنه توقف متطلعًا إلى الطفل الخائف أمامه!

قال الطفل وجسده ينتفض:

- الدماء يا أبي! الدماء في كل مكان!

تمعنت النظر في ملامح الرجل فتذكرته، إنه أكين ولا بد أن ذلك
الطفل هو روبين، ولكن روعي لا تسبح في جسد إلينا! تذكرت أن
إلينا قُتلت على يد الملك في حين قتلت الملكة ابنتها ديالاً. هل
سأعيش في هذا الكابوس ثانية؟ اقتربث بحذرٍ من أكين الذي
شحب وجهه من الخوف والفرع.

سأل روبين:

- هل آذاك أحدهم؟

رفع روبين عينيه وهو ينظر إلى أكين نظرات غريبة غير مفهومة
توحي بأن ذلك الطفل يعاني من خطب ما حقاً! قال الطفل مبتسماً:

- لقد أوقعث المرأة فوق الأميرة فانطلقت الدماء وأغرقت الأرض!

شعرث أن أكين على وشك أن يفقد عقله في هذه اللحظة! أمسك
بروبين وسأله بوجهٍ شاحب:

- أين أمك؟ أين ديالاً؟

أجابه الطفل بابتسامةٍ متسعة:

- لقد رحلاً!

سمعت أصوات صرخات قادمة من القصر فنظرت إلى أكين الذي
ازداد شحوب وجهه ثم قال لروبين:

- هيا الآن! سنخرج من ذلك الباب.

أشار أكين إلى بابٍ خلفي مغطى بالأزهار والورود توجه إليه وهو
يمسك بيد ابنه الذي كان يبتسم بسعادةٍ غريبة فتبعتهما على الفور.

خرجت من الباب لأتفاجأ أنني خارج القصر. هرب أكين مع ابنه حتى وصل إلى كوخه، دخلت خلفهما ثم نظرت إلى أكين الذي راح يبحث عن زوجته وابنته ولكنه لم يجدهما فصاح في ابنه:

- لماذا لا توجد أمك هنا؟ هل أنت متأكد أنها غادرت القصر مع ديالاً؟

وقف روبين ينظر إلى والده وهو يبتسم فراقبت المشهد المؤسف أمامي بذهول. اعتلت ملامح الريبة والارتباك وجه أكين الذي عاد يسأل ابنه بنبرة هادئة:

- حبيبي روبين! ما الذي حدث في القصر بالضبط؟

جلس روبين على الأرض ثم راح يهز في يديه ورجليه بطريقة غريبة فأدرك أكين أن هناك خطب ما فعاد يسأله مجدداً بصرامة:

- روبين! ما الذي حدث؟

انتشلتنا طرقات قوية على الباب من الضياع في هذه المحادثة التي لا طائل منها على ما يبدو. توجه أكين بحذر نحو الباب وهو يستمع إلى الصوت الذي راح يقول:

- أكين! هل أنت بالمنزل؟ لقد قتلوا إلينا وديالاً!

كاد أكين يقع من الصدمة، ولكنه أصابني بالدهشة عندما فتح الباب لأرى الشاب نفسه الذي أنقذ أدلين عندما سقطت من سليستيا يقف أمامه مرتعّباً ينظر إليه بملامح باكية مذعورة. قال:

- كنت أنظف القاعة الملكية عندما سمعت الصراخ فتوجهت إلى

أحد الحراس وسألته فأخبرني أن الأميرة الصغيرة قُتلت! لم يعلم أنني شقيقك على ما يبدو لأنه قال لي أن الملكة قتلت طفلة تدعى ديانا ثم جاء الملك، وعندما علم بمقتل ابنته استل السيف وقتل والدة الطفلة! لقد قتل إلينا يا أكين!

صاح روبين مبتسمًا:

- أنا من قتلت الطفلة الغبية!

ركع أكين على الأرض غير مصدقٍ لما يسمعه ثم بدأ يبكي بكاءً شديدًا تحول إلى نحيبٍ في حين راقبتهم جميعًا باندهاش. أمسكه الشاب الواقف أمام المنزل ثم قال له:

- أكين! لا بد أنهم سيبحثون عنك للقبض عليك ولقتل روبين وأي شخص يمت لكما بصلّة! هيا بنا الآن لنهرب!

لم ينهض أكين من على الأرض لأنه غرق في بحرٍ من النحيب والشجن لقتل زوجته وابنته. توجه الشاب نحو روبين ثم أمسك به وهو يقول بحدّة:

- هيا بنا يا روبين، ستذهب معي!

نهض أكين ثم نظر إلى الشاب وهو يقول بصوتٍ مبحوح:

- وإلى أين سنهرب؟

- سنذهب إلى صديقٍ يعيش على أطراف الغابة وحيدًا! أدلين هناك وحدها! يجب أن نُسرع.

نهض أكين متحاملًا على نفسه يساعده شقيقه الذي لم أعرف

اسمه بعد ثم توجه إلى روبين وقال بحدة:

- اذهب وارتي عبايتك وضَع غطائها فوق رأسك فلا أريد
لملامحك أن تظهر لأحد!

ارتدى روبين عبايته كما أمره والده في حين راقبت أكين وشقيقه
وهما يضعان عبايات مختلفة فوق أجسادهم. خرجنا جميعًا وسرنا
إلى أطراف الغابة ثم توقفنا أمام كوخٍ طرق شقيق أكين بابه الذي
فُتح بعد برهة من الزمن. نظرت إلى رجلٍ في الأربعين من عمره
ينظر إليهم بقلقٍ ولكنه دعاهم للدخول إلى الكوخ فدخلوا جميعًا!
رأيت أدلين ذات الشعر الذهبي تجلس على مقعدٍ وبطنها منتفخة
فأدركت أنها تحمل طفلًا بداخلها! بدت مرهقة وهي تتصبب عرقًا
فظننت أنها على وشك أن تلد طفلها الآن، ولم يخب ظني لأن هناك
صرخةً انطلقت منها ثم قالت بصعوبةٍ وهي تكافح الألم:

- خذ هذه القلادة وافتحها ثم اهمس لشقيقتي بريندا! أخبرها أنني
أحتضر!

تبادلوا النظرات جميعًا غير مدركين لما تقوله. راقبت القلادة التي
أعطتها إلى زوجها فلاحظت أنها تشبه كثيرًا القلادتين حول عنقي.
كزت أدلين على أسنانها وهي تقول:

- الآن!

أمسك زوجها بالقلادة ثم فعل ما أمرته به، وما هي إلا ثوانٍ
معدودات حتى رأيت ثقبًا أسود يُفتح في الهواء خرجت منه
المدعوة بريندا التي كانت تشبه أدلين كثيرًا! اتسعت عيناها عندما

رأت شقيقتها هكذا فاقتربت منها تمسك يدها وهي تنظر إليها
بخوف! راقبت نظرات الذعر والهلع على وجوه الرجال الثلاثة وهم
يحدقون بالثقب الأسود.

قالت لهم بريندا بلهجة امرأة:

- ساعدها على النهوض ثم ادلفوا إلى الثقب الأسود!

سأل أكين بذهول:

- ما الذي يحدث بحق الإله؟

قالت بريندا:

- لا وقت للشرح الآن! ساعدها يا أكين رجاء!

قطب أكين جبينه متساءلاً:

- من أنت؟ وكيف تعرفين اسمي؟

صاحت أدلين وهي تتألم:

- الآن يا أكين.

أمسك بها أكين وشقيقه وتوجها إلى الثقب ثم دلفوا إليه جميعًا
تاركين روبين مع صديقهم. كنت على وشك الدخول في الثقب
ولكنني سمعت صوت مألوف قادم من بعيد يتوسلني ألا أرحل لأنني
محاربة. أمرني الصوت بالاستيقاظ فلم أفهم ولكنني رأيت ثقبًا
ينبعث منه النور فسرت إليه دون وعي وكأنني مسحورة مسلوبة
الإرادة ثم دخلت بداخله.

فتحت عيني فرأيت مراد راكعًا بجانبني ولكنني كنت أشعر بالإعياء الشديد لذا تقيأت ما في بطني من مياه ثم سعلت بقوة حتى كدت أتقيأ حنجرتي. أحاطتني سيلين بجسدها لتدفعني على الأغلب وهي تطلب مني أن أتنفس، ولكنني لم أستطع سوى أن أسعل حتى أخرجت ما بداخلي ثم تنفست الصعداء عندما شعرت ببعض من الراحة أخيرًا. عندما أنام لا أدري إلى أين تذهب روحي، ولكنني هذه المرة شعرت بالهلاك حقًا عندما شاهدت ما حدث. ما زلت عاجزة عن معرفة السبب وراء ما أراه في تلك الأحلام الغريبة وما علاقته بما يحدث في عالمنا، ولكنني على يقين أنني سأصل إلى قطعة اللغز المفقودة عاجلاً أو آجلاً.

رأيت أنس يقف بعيدًا عني مذهولًا يبدو على وجهه التعب والإرهاق. راح يتطلع إلى وجهي فتبادلنا النظرات لوقتٍ طويل. كم وددت أن أفنى في حضنه الدافئ! ولكنني أعلم أن هذه الآمال لن تتحقق أبدًا.

اقترب مني تولاي ثم جلس بجانبني وهو يقول بقلبي:

- هل أنت بخير؟

أجبتة بوهن:

- نعم يا تولاي، سأكون بخير.

قال ميرون وهو ينظر إلى الأفق:

- لا بد أن نرحل، من الممكن أن يعود الساحر الأسود ثانيةً.

ساعدني تولاي وسيلين على النهوض ثم اتكأت على كتفهما

وأنا أسير إلى الثقب أمامي. عندما خرجت منه شعرت أن الألم في كاحلي سيقتلني، فأنا لم أعد أحتمله. كدت أسقط ولكن تولاي وسيلين أمسكا بي على الفور قبل أن أفعل. رأيت مراد يرمقني بنظرات غريبة مختلفة عن تلك التي اعتاد على إظهارها لي قبل الغرق. كانت نظرات حزينة توحى بأنه أتعس شخص على وجه الأرض.

ما الذي حدث لك يا مراد؟ لقد كانت عينيك تتقدان بالكره والغضب قبل أن تسبح نحو السطح تاركًا إياي أعاني الغرق وحدي! لم أتخيل أبدًا أنه سيتخلى عني فهذا ليس من شيمه ولكنني يجب أن أترك التفكير في الأمر برمته وألا أفكر فيه حتى أتمكن من إنهاء الرحلة بسلام والعودة إلى والدتي.

مضى الوقت ونحن جالسون على رمال الجزيرة ننتظر الدجاج المشوي حتى ينضج. تبادلوا أطراف الحديث ولكنني لم أسمع معظم ما قيل لأن عقلي شرد في أشياء كثيرة فلم أهتم بما يقولون من الأساس. نهضت وأنا أستند على كتف سيلين حتى أتمكن من الوقوف دون الوقوع ثم سرت إلى البحر ووقفت أمامه أتأمل به بوجل وأنا أتذكر لحظات الغرق. هربت الدموع من مقلتي عندما تذكرت شعوري بالوحدة وبالغضب، ولكن أكثر ما ألمني هو ما رأيته عندما كنت أحلم.

شعرت باقتراب شخص مني فمسحت دموعي بسرعة وكأنها وصمة عار! التفث إلى الشخص الواقف بجانبني لأتفاجأ أنه تولاي يقف وعيناه تلمعان وهو ينظر لي قائلاً:

- ظننت أنني فقدتك للأبد!

ابتسمت ثم قلت له:

- لم تفقدني يا تولاي، في الواقع، أظن أن الحياة تأبى أن أرحل
لسببٍ أجهله.

قطب جبينه ثم قال متأثراً بكلامي:

- لماذا أشعر أنك وددتِ لو أن السيد مراد لم ينقذك؟ أل هذه الدرجة
ترغبين في الموت؟

تطلعت إلى عينيه وأنا أعيد الجملة في عقلي مرارًا وتكرارًا. هل
أنقذني مراد؟ ولكن آخر ما أتذكره هو تركه لي لأواجه الموت وحدي!
قلت على الفور:

- لقد تركني مراد لأغرق وحدي في قاع البحر، ثم سبح إلى السطح
ولم يعد!

ازداد عبوس تولاي وهو يقول:

- لا أدري ما الذي حدث بينكما في البحر ولكنه أصرَّ على إنقاذك
ولم يستسلم عندما يأسنا جميعًا! وللحق أظن أن ذلك الرجل يحبك
مثلما...

صمت قليلًا وهو ينظر إلى مراد بحزنٍ ثم قال وهو ينظر إليّ
بصدق:

- مثلما أحبتك!

أنهى جملته التي أصابتني بالذهول والارتباك ثم ذهب عائداً إليهم

ليتركني غارقة في بحر من الأسئلة التي لم أجد لها إجابات. تمنيت
كثيرًا ألا يعترف لي تولاي بحبه لأنني لا أبادله المشاعر نفسها ولا
أظن أنني سأخطئ مراد لأنني أحبه حقًا ولن أتمكن من الوقوع في
حب أحد غيره!

نظرت إلى مراد الذي نهض من مكانه متجهًا إلى منزل ميرون دون
أن ينطق بحرف وعلى وجهه ارتسمت ملامح عابسة للغاية، ولكنه
اختلس النظر إلي ثم تحولت أنظاره إلى المنزل ثانية وكأنه يتحاشى
النظر في عيني.

لن تتوقف الحياة عن إثارة دهشتي أبدًا! ما الذي من المفترض أن
أفعله الآن؟ لماذا علي أن أعاني هكذا؟ سأفطر قلب تولاي وسأمزقه
إن نطقت بحقيقة مشاعري تجاهه، ولكنني يجب أن أتكلم في نهاية
المطاف حتى لا يبني قصورًا في الهواء!

دعانا ميرون لتناول الطعام فذهبت أجز قدمي وأنا أتألم. رمقني
أنس بنظرات يملؤها الشجن وكأنه يرغب في قول شيء ما ولكنه
متردد لن يجرؤ على اتخاذ هذه الخطوة أبدًا. جلست بجانب سيلين
التي نظرت إلى وجهي واستشعرت الألم الذي حاولت بصعوبة
إخفائه ولكنني فشلت؛ لذا سألتني:

- هل تؤلمك كثيرًا؟

أومأت بالنفي كذبًا ثم نظرت إلى مراد الذي أتى ثم جلس بجانبني
فازدادت ضربات قلبي. هل جلس بجانبني عمدًا أو أنه لم يلقِ بالًا من
الأساس؟ تناولنا الطعام في صمت دون أن ينظر أحدهما إلى الآخر
فجميعنا نتلاشى الحديث إلى بعضنا البعض لسبب أجهله! يبدو أن

أنس تذكر شيئًا لأنه قال وهو يلوك الدجاج المشوي:

- ما الذي قصده ذلك الوغد عندما اتهمك أنك مارست السحر الأسود من قبل يا ميرون؟

رفعت نظري إلى ميرون الذي توقف عن مضغ الطعام وهو على استعداد للإجابة، فلامحه بدت أنها كانت بانتظار هذا السؤال بالذات. قال بعد ابتلاع الطعام بلامح متجهمة:

- لقد مارست السحر الأسود لفترة ولكنني ثبتت توبةً نصوح فلم أعد أمارسه منذ ذلك الوقت، ولكن ذلك الحقيق ظلّ يُذكرني بذلك الأمر عندما كان يعيش معنا في ليموريا، فمهما حاول المرء أن يقلع عن عادة سيئة يعود ليذكره بها مجددًا.

قال مراد بصرامة:

- السحر الأسود هو ملاذ الضعفاء والجبّاء!

اختلست النظر إلى أنس الذي لم يتحرك قيد أنملة ولم تظهر على وجهه ملامح الضيق على الإطلاق، بل على العكس تمامًا رأيت لمحة من تعبيرات الندم ارتسمت ببطءٍ على وجهه. قالت سيلين:

- أظن أن معركة النبلاء في مملكة الشمال كان المتسبب بها شخصًا مارس السحر الأسود، أليس كذلك؟

تمنيت في تلك اللحظة أن تنشق الأرض وتبتلعني حتى لا أشاهد ما سيحدث تاليًا. نظر مراد شزّرًا إلى أنس وحده بنظرات كرهٍ لم أشهد لها مثيل من قبل ثم التمعت عيناه عندما تحولت أنظاره إليّ! تبادلنا النظرات لبرهة والجميع يشاهدون بصمتٍ متعجبين من

نظراتنا التي حملت الكثير بين طياتها.

نهض ميرون ثم قال وهو ينظر إلى القلادتين بتركيز:

- احتفظي بهما جيدًا.

لم أعلق ولم أدرِ السبب في صمتي، ولكنني نهضت ثم قلت بجديّة:

- ما هي الغابة الصامتة؟

يبدو أن سؤالي أصاب دهشته ولكنه قال على كل حال وهو يبتلع ريقه:

- الغابة الصامتة هي مكان لا يمكنك سماع أي شيء فيه!

سأله أنس بعبوس:

- لماذا لا يمكننا سماع أي شيء فيها؟

أجابه ميرون:

- عندما غادر الساحر الأسود مملكة ليموريا توجه إلى الغابة المظلمة ومارس فيها طقوس السحر الأسود كما تعلمون ولكنه غادرها تاركًا أثر ذلك السحر البغيض فيها، يُقال إن هناك وحوشًا استوطنت الغابة وقيل أيضًا إنها أصيبت بلعنة الصمت بسبب ما حدث بداخلها، ولكن الأغرب من كل هذا هو ما قالته امرأة عجوز تسكن بالقرب من الغابة.

صمت قليلًا ونحن ننظر إليه جميعًا بترقب. أردف:

- قالت لي تلك المرأة عندما كنت أفتقد حال الغابة بعد خروج

الساحر الأسود منها أنها ترى حارس يقف على أطرافها كل ليلة بانتظار من يتجراً للدخول فيها.

ساد الصمت ونحن نتبادل نظرات الريبة فيما بيننا حتى قطعه مراد قائلاً:

- نحن منهكون، لم لا نذهب إلى المنزل لنرتاح قليلاً؟

لا أدري لماذا شعرت بالذعر عندما علمت أنني سأنام! لا يمكن أن أذهب إلى تلك الأماكن مرة أخرى، إنها تجعلني أعاني ما عاناه أولئك الناس الذين تتلبس روعي أجسادهم وكأنها وعاء مخصص لي! ساروا نحو المنزل واحداً تلو الآخر ولكنني لم أتحرك قيد أنملة فالتفت تولاي لي متساءلاً باستغراب:

- ألن تأتي؟

أجبتة دون تفكير:

- لا، سأجلس على الشاطئ هنا حتى يصفو ذهني.

قطب جبينه متعجباً لقراري ثم قال:

- سأجلس معك إذن!

وقف مراد أمام المنزل وهو يراقبنا ثم دلف إليه عندما انتبهنا إلى نظراته التي كادت تخترقنا! جلست على الرمال أنظر إلى البحر بشروء فتبعني تولاي وجلس بجانبني ثم قال بنبرة هادئة:

- لم تخشين النوم؟

ساد الصمت قليلاً قبل أن أجيبه:

- لأن روعي تحلق في سماء أزمنة قاسية للغاية يا تولاي! أشاهد الموت وأعاني ما عاناه الأشخاص الذين أذهب إليهم. الأمر مؤلم للغاية وغير عادل أبدًا لأنني أعاني هنا من أشياء كثيرة ولا أستحق أن أحمل معاناة الآخرين فوق ظهري.

- لا تنظري للأمر من هذا الاتجاه، ألم تتساءلي من قبل لماذا اختارتكِ القلادة لخوض هذه المغامرة ولم يقع الاختيار على شخص آخر سواكِ؟

نظرتُ إليه بعدم فهم، لذا استطرَد:

- أنتِ مميزة للغاية يا لومينا! لا أقول هذا بعين العاشق بل بعين الإنسان الناضج الذي يرى الأمور بوضوح أمامه. هل ترين ذلك الطائر هناك؟

أشار إلى الطائر الذي حلق فوق سطح البحر محاولًا التقاط سمكة تسبح فيه. نظرتُ إلى حيث أشار بيده فأردف:

- إنه طائر النورس الذي يسير على الشواطئ حافطًا إياها من المخلفات والقمامة، وهو الذي يحلق فوق المراكب لتخليصها من بقايا الأسماك.

تطلع إلى عيني ثم قال بصدق:

- أنتِ كطائر النورس تحلقين في سماء الحياة وحدكِ مكلفة بمهام كثيرة، فلولاكِ لما كنا هنا ولفقدت البشرية أجمعها الأمل في النجاة. أنتِ كالفارس تقودين جيشًا من المحاربين نحو العدو غير عابئةٍ بعرجة قدمكِ أو بتلك الآلام التي تعانينها مع أولئك الأشخاص عندما

تسافرين إليهم عبر الزمن.

صمت قليلاً ثم أكمل قائلاً وهو ينظر إليّ بنظرات حانية:

- لولا طائر النورس لغطت المخلفات الشواطئ، ولولاك لغرقنا جميعًا في مستنقع من الشرور والظلام!

سألته وأنا أتجنب النظر في عينيه:

- ألا تخشى أي شيء يا تولاي؟ هل أنت شجاع هكذا دائمًا؟ ألا تخشى الموت على سبيل المثال؟

ابتسم ثم أجابني:

- ولم سأخشى الموت؟ سنموت جميعًا في نهاية المطاف شئنا أم أبينا! إن ما يخيفني حقًا هو أن يتركني من أحببتهم ويرحلوا لأصبح وحيدًا بصحبة الألم!

تبادلنا النظرات لفترة وجيزة من الوقت قبل أن ألتفت إلى البحر وإلى أمواجه التي بدأت في الاضطراب قليلاً لأن الشمس غابت ويبدو أن رياحا قوية ستضرب المكان بعد قليل! بدأت زخات المطر تهطل فوق رؤوسنا فابتلت ملابسني التي لم تكن قد جفت بعد. تساقط المطر على وجه تولاي الذي كان ينظر إلى السماء الملبدة بالغيوم التي لا توحى بالخير أبدًا.

قال بتعبيرات وجه حزينة:

- لا تخافي يا لومينا، ستجدين من يضمك جراحك دائمًا!

لا أدري لماذا قال هذه الجملة الغريبة فكنت على وشك أن أسأله،

ولكنني سمعت صوت ميرون وهو يصيح من نافذة منزله:

- لتدخلا إلى المنزل الآن قبل أن تغرقا في بحرٍ من السيول!

مشيت أعرج على رمال الشاطئ التي جعلت السير فوقها صعبًا للغاية ثم دلفث إلى المنزل فرأيت مراد يجلس وهو يمسك بالشريطة الحمراء ولكنه تركها عندما رأيته ثم صعد إلى الطابق العلوي تاركًا إياي مع تولاي وأنس.

قال تولاي:

- أنا منهك للغاية، سأصعد إلى الأعلى لأنام.

جلست على المقعد أمام أنس الذي حدجني بنظراتٍ معاتبة حزينة. رأينا البرق ينير السماء خارج المنزل ثم تعالت أصوات الرعد لذا نهض ثم أغلق الباب حتى لا نعوم في مياه الأمطار بعد قليل.

سألني:

- ألن تصعدي إلى الطابق العلوي لتنامي؟

سألته بوجه خالٍ من أي تعبير:

- ما الذي كان سيحدث إن لم أفتح القلادة في المعركة بمملكة الشمال؟ هل كان النكرومانسر سيحكم بالعدل حقًا مثلما ظننت؟

لا أدري لماذا قلت هذا ولكن الغريب أنه لم يتفاجأ ولم يبدِ انزعاجه بأسئلتي بل على العكس تمامًا، رأيت يبتسم بحزنٍ على غير المتوقع ثم قال على أنغام الرعد والمطر بالخارج:

- طوال العام الماضي في متاهة الزمن رأيت أشياء كثيرة جعلتني

أفهم حقيقة الأمر.

عبس وجهي وأنا أسأله:

- ماذا تقصد؟

أجابني وهو يتجنب النظر في عيني:

- أقصد أن النكرومانسر لو كان خرج من سجنه في مملكة الجحيم لعقت الفوضى ولم تكن لتتذوق طعم العدل أبدًا، أتعلمين؟ لقد تعلمت الدرس يا لومينا، كان قاسيًا بحق ولكنني تعلمته. لا يوجد مكان في أي زمان به عدل، لا بد أن يسود الظلم والظلام حتى تسير الأمور بشكلها المعتاد. لا بد أن نعيش مع غلبة القوم وأغنيائهم طوعًا وكرهًا أو استسلامًا فلن يحدث الأمر فارقًا يذكر. ظننت أنني سأتمكن من تحقيق العدل بين المدينة والقربة ولكنني أخطأت. أخطأت عندما ظننت لوهلة أن الأمور ستجري بتلك الطريقة الساذجة.

صمت قليلًا وأنا أتطلع إلى وجهه بتجهم. أضاف قائلاً بعبوس:

- لا يوجد ما يسمى بالعدل! يجب أن تسير الأمور كما المعتاد، فقير وغني، قوي وضعيف، وهكذا دواليك.

صفقت ببطء قائلةً بنبرة ساخرة:

- هل من المفترض أن أشعر بالشفقة على حالك وأن أسامحك على ما اقترفته؟

زفر بقوة ثم قال:

- أنا لا أبحث عن العفو هنا يا لومينا، فأنت لست الإله لتمنحيني

إياه! إنني أنتظر الغفران منه وحده لذا دعوته طوال العام الماضي
عسى أن يستجيب!

كانت نبرة صوته صادقة لا توهي بالكذب أو الخداع أبدًا! ظننت
لوهلة أنني أنظر إلى شخص آخر مختلف عن ذلك الذي عشت معه
أغلب أوقات حياتي أو حتى ذلك الذي هددني بالقتل ببساطة حتى
يجبر مراد على تسليم كتاب السحر الأبيض له! لعله تاب حقًا، أو أنه
ما زال يكذب؟

قال بحزن:

- صحيح أنني لا أطلب العفو منك، ولكن هناك من أود بشدة
أن أعذر له ولكنه لن يسامحني ولن يشكل اعتذاري له فارق، لذا
سألتزم الصمت.

إنه يقصد مراد بالطبع وللحق أتفق معه، فهو لن يسامحه أبدًا لأنه
من قتل والدته وجدته ووالده الذي رباه حتى إن لم ينجبه ولكنه
يظل والده الحقيقي في نظري. لن يسامحه مراد بالطبع، وإن فعل
فسيصيبني هذا بالذهول تمامًا لأنني لو مكانه فلن أسامح أنس! أنا
عاجزة عن مسامحته وهو لم يقترب في حقي شيئًا، ولكنه أخطأ
عندما سلك طريق السحر الأسود. عله تاب حقًا كما يتظاهر الآن؟

قلت وأنا أنظر إلى نور البرق الذي راح يضرب السماء خارج
النافذة:

- ربما لم تقتل أحدًا أكثرث لأمره، ولكن أفعالك الحمقاء قتلت
شيئين كنت أهتم بهما كثيرًا.

توقفت عن الكلام وأنا أراقب ملامح وجهه العابسة ثم أضفت:

- لقد قتلت حبي واحترامي لك يا أنس.. أنا أكرهك!

أقسم أنني رأيت عينيه تلمعان في ظلام المنزل! هل تلك دموع ندم وحسرة على ما اقترفه في حقنا جميعًا في العام الماضي؟ لم أعتد على رؤية دموعه فهو شخص عنيد للغاية بارع في إخفاء غضبه ومشاعره، فكلما شعر بالحزن تركنا لينفس عن غضبه بعيدًا عنا ولكنه الآن يجلس أمامي مشاركًا آلامه وضعفه معي بلا خوف.

لماذا أشعر بامتلاء الدموع في مقلتي؟ لماذا أشاركه حزنًا لا يُغتفر؟ هل أشعر بالشفقة على حاله أو أنني حقًا أفتقده إلى تلك الدرجة التي تجعلني متوسلةً إليه ليمنحني سببًا واحدًا لأغفر له؟ سقطت الدموع من عيني فمسحتها على الفور حتى لا تتعقد الأمور أكثر من هذا.

نهضت لأصعد إلى الطابق العلوي ولكنه قال قبل أن تخطو قدمي الدرجة الأولى:

- لا أعلم ما الذي سيحدث عند العثور على عرش الزمن وانتهاء الرحلة ثم اكتشافكم أنكم لستم بحاجة لي، ولكنني أود أن أخبرك بشيء!

كنت موليةً ظهري له بانتظاره ليكمل كلامه بترقب. قال بنبرة مخنوقة من البكاء الصامت:

- يجب أن تعي جيدًا أنني ممتن لتلك اللحظات التي قضيتها معك، صحيح أنني أحببت والديك ولكنك كنت عالمي يا لومينا، أنت القمر

الذي أضاء سمائي الملبدة بغيوم الحزن والألم! أعلم أنني خذلتك
ووحده الإله من يطلع على القلوب، ولكن إن كان بك من قوة تمكنك
من رؤية ما في ثنايا قلبي ستفهمين، ستدركين أنني أشعر بالضيق
لأنني خسرتك بل خسرت حبك واحترامك لي إلى الأبد. إن انتهت
الرحلة ورحلت إلى زمن آخر كما أخبرني ميرون، أريدك ألا تنسي أبدًا
أن هناك من يحبك حقًا وأن طيفك سيلازمه إلى الأبد حتى لا يفقد
عقله!

انهمرت الدموع من عيني أنهارًا عندما تذكرت أنه سيرحل عن
حياتي عند انتهاء الرحلة. ما نهاية هذه المشاعر المتضاربة؟ أكرهه
ولكنني أفتقد حضنه الدافئ، أبغض أفعاله ولكنني أشعر بالشفقة
عليه، أتمنى أن يذهب وألا يعود ثانية ولكنني لن أنساه وسأتنفس
ذكراه ما دمت حية!

لم أعد أحتمل أكثر من هذا فصعدت الدرج بصعوبة بسبب الألم
المرهق في قدمي. دخلت الحجرة التي نامت فيها سيلين ثم جلست
بجانبيها على الفراش أتطلع إلى السقف حتى لا أغفو عنوة فتخلق
روحي في أزمنة قاسية لن أحتملها أكثر من هذا. مرّت الدقائق
وأنا أتجول في الغرفة تارة وفي البهو تارة أخرى حتى أقضي على
الشعور بالملل.

هدأت العاصفة قليلًا ففتحت الباب وخرجت أسير على الرمال
حتى وصلت إلى البحر أنظر إلى عتمة الليل بهيبة. وقفت أمامه
ثم تنهدت بوهن وأنا أتنفس رذاذ البحر المنعش الذي تخلل صدري
فمنحه شعورًا طيبًا بالسكينة التي افتقدتها كثيرًا مؤخرًا. انحنيت

وأمسكت بحجرٍ صغيرٍ ثم قذفته في مياه البحر المظلمة ولكن
كاحلي التوى فكدت أسقط إلا أن يد قوية أمسكت بي! التفثُ أتطلع
إلى وجهه وهو يمسك بيدي حتى لا أسقط ولكنني سرعان ما أفلتتها
من يده والخجل يملأني!

ابتعدت عنه قليلًا ثم سألته:

- لماذا لم تنم؟

أمسك بحجرٍ صغيرٍ ثم قذف به في البحر وهو يقول:

- هناك ما يورقني فلم أتمكن من النوم بسببه!

راقبت ملامح وجهه الحزينة التي تخفي الكثير من الألم. وددت
لو أسأله عن سبب إصراره على إنقاضي ولكنني تراجعته. تراقص
كلام تولاي أمام عيني وهو يخبرني بأن مراد يحبني بصدق، ولكنني
تذكرت كلامه المسموم ومعاملته السيئة لي طوال الرحلة فنفضت
تلك الأفكار عن بالي، فالحقيقة واضحة أمامي ولا تحتاج إلى
تفسير. لن أشغل بالي بتساؤلات لا طائل منها فهو أوضح شعوره
نحوي وأعلنه صراحةً أمامي بل أمام الجميع عندما اعترف أنه لم
يعد يحب الفتاة التي وقع في حبها! كنت أنا المقصودة بالطبع، لذا لن
أغوص في دهاليز هذه المعضلة مرةً أخرى.

سألته:

- هل يحق لي معرفة السبب الذي يحول بينك وبين النوم؟

كاد يقذف بحجرٍ آخرٍ في البحر ولكنه توقف متطلعًا إلى وجهي
بنظراتٍ اشتقت إليها كثيرًا. لطالما رمقني بتلك النظرات وأنا أعمل

في القصر بمملكة الشمال. في هذه اللحظة فقط شعرت أنني أقف أمام مراد الذي قضيت معه مغامرة مؤلمة ولكنها كانت جميلة لأنه شاركني إياها.

يا إلهي! كم اشتقت إليه وإلى نظراته المحببة إلى نفسي! عادت بي الذكريات إلى تلك اللحظة عندما اعترف بحبه لي ونطق بتلك الكلمة التي اخترقت قلبي كالسهم فكاد قلبي يقفز من صدري من فرط السعادة والهلع في آن واحد.

تذكرت ما قلته وقتها وتذكرت جفائي وغضبي منه طيلة الوقت، فوددت لو يعود بي الزمن لأرجوه ألا ينسى كيف يشعر بحبي ثانية. إنه يقف أمامي الآن ينظر إلي بعينين صادقتين كما اعتاد وكما ألفته في الماضي، ولكنني أترجاه بنظراتي أن يشعر بتلك الكلمة مرة أخرى، ولكن هيهات! لا يمكن للمرء أن يجبر قلبه على الشعور بشيء لم يعد يرغب فيه.

اعتلت نظرات الحزن وجهي المنهك وأنا أقول:

- حسناً، إن كنت لا ترغب في الإجابة فأنا أتفهم!

أوما بالنفي ثم قال عابساً:

- ولكنني أرغب حقاً في إخبارك هذه المرة!

قطبت جبينني وأنا أنظر إليه بانتظار اعترافه لي بالسبب الذي حال بينه وبين النوم، فقال بنبرة صادقة هادئة للغاية يملؤها الشجن:

- أخبرتك أنني أكرهك، أليس كذلك؟ حسناً، أنا كاذب! نعم، أنا كاذب

فاشل بامتياز!

صمت قليلاً ثم قال ونظرات الحزن لم تفارق مُحياه:

- أتعلمين؟ حاولت مرارًا أن أدفن قلبي بجروحه الغائرة التي تسببت فيها عندما رحلت ولكنني فشلت. هل ترين عيني الآن؟ أترين الاشتياق؟ هل تشعرين بمرارة الألم المنبعثة من صوتي المخنوق؟ هكذا كان حالي طوال عام كامل حاولت فيه تصنع السعادة التي لم تلمس قلبي أبدًا. عاملتك بقسوة لأنني غاضب. أنا غاضب كثيرًا لأنك هجرتني! لم أعلم أننا سنتقابل بعد رحيلك فحاولت مرارًا أن أنساك ولكنني فشلت. كنت أسافر عبر الزمن إلى تلك اللحظات التي جلست فيها أعلى البرج لأجلس بجانبك أتطلع إلى وجهك والاشتياق يأكلني.. أنا كاذب يا لومينا!

سكت ثانية وهو يراقب عيني الممتلئتين بالدموع. قال أخيرًا بنبرة أشعلت نيران الحب بداخلي:

- أنا كاذب فاشل للغاية لأنني أحبك ولم أتوقف قط!

تساقطت الدموع الحبيسة في مقلتي وأنا أغتصب ابتسامة صادقة اعتلت وجهي بسهولة للمرة الأولى منذ بدء الرحلة. قلت بصوت مبحوح:

- ولكن...

قاطعني قائلاً:

- ظننت أن حبي لك انطفأت شعلته عندما رحلت عني، ولكن نيرانًا مستعرة تأججت بداخلي فور رؤيتك ثانية، فكاد لهيب الاشتياق إلى عينيك يحرق قلبي البائس!

لماذا أشعر أنني على وشك أن أفقد اتزاني؟ شعرت بالخلج
الشديد فاحمرت وجنتي وهو يعترف لي بحقيقة مشاعره التي نجح
في إخفائها عني بجدارية! راح قلبي يدق وينبض بقوة في صدري
كطبول الحرب قبل المعركة! تكمن قوة كبيرة في الكلمات المنطوقة؛
في إمكانها إحياء أرواح أوالفتك بأخرى!

تبادلنا نظرات العشق والشجن لفترة ولكنه قاطع عناق النظرات
هذا عندما قال:

- ولكنني أعلم أن قلبك يميل إلى تولاي!

تجهم وجهي بسبب جملته الأخيرة التي لا أساس لها من الصحة
على الإطلاق! لماذا يفترض أن قلبي يميل إلى تولاي؟ ما الذي فعلته
ودفعه إلى الظن بي هكذا؟ أنا لا أحب تولاي بل أحبك أنت يا مراد،
لم لا تستوعب الأمر؟

قلت بنبرة حادة بعض الشيء:

- أنا لا...

قاطعني قائلاً بنظرات غاضبة حزينة ولكن نبرته كانت هادئة على
الرغم من هذا:

- لومينا! أنا لا ألومك لأن قلبك مال لشخص آخر! ما أتمناه لك هو
السعادة! لقد كنت أراقب نظراتكما منذ قليل وطوال الرحلة وهي لم
تكن نظرات عادية بل نظرات عاشقين!

تركني ثم رحل بهدوء وهو يسير إلى المنزل. هل أتركه كعادتي؟

هل أهرب من كل شيء كالمعتاد أو أجري خلفه لأخبره أنني أحبه؟
قبل أن أخطو خطوة واحدة نحوه سمعت ميرون وهو يصيح من
المنزل بأن ندلف إليه في الحال!

الغابة الصامتة

دلف مراد ولومينا إلى المنزل ليتفاجأ بميرون وهو يمسك بمرآة الجيب وعلى وجهه أعتى علامات العبوس والفرع. تبادلوا جميعًا نظرات الريبة والقلق فقال مراد متساءلاً:

- ماذا حدث؟

أجابه ميرون بوجه مكفهر:

- اتسع الانشقاق في السماء وهذا لا يعني سوى أن النهاية اقتربت أكثر مما ظننت.

قال أنس بعبوس:

- يجب أن نجد القلادة الأخرى قبل أن يتسع الانشقاق أكثر من هذا.

قال ميرون وهو يفتح الثقب الأسود:

- قبل أن تدلفوا إلى الثقب، يجب أن تدركوا جيدًا أن المغامرات التي خضناها حتى الآن، لم تكن سوى نقطة في محيط الخطر.

راقب وجوههم المرتعبة ثم أضاف:

- ولكن الغابة الصامتة هي أخطر مغامرة سنخوضها في هذه الرحلة!

تبادلوا نظرات الحيرة والفرع فيما بينهم، أردف ميرون:

- ولهذا السبب لن تأتي معنا الطيبة سيلين.

قطبت سيلين جبينها ثم احتجت قائلة:

- ماذا؟ هل ستتركاني هنا في زمنٍ آخر وحدي؟ هل ستفعلوا هذا حقًا؟

تناقش ميرون مع أنس في هذا الأمر مسبقًا وأخبره أن هذه الرحلة بالذات محفوفة بالأهوال والمخاطر ولن يكون تواجد سيلين في الغابة الصامتة معهم ذا فائدة؛ لذا اتفقا الاثنان على عدم قدومها معهم!

قال أنس بنفاد صبرٍ:

- آنسة سيلين! أعلم أن الفكرة برمتها تبدو غريبة ومخيفة للغاية ولكنها الأصلح للجميع! لن يشكل وجودك في الغابة الصامتة أية فائدة بل على العكس تمامًا، ستصبحين عبئًا علينا لأننا كما ترين بحاجة إليك فلا يوجد طبيب هنا سواك!

لم تقتنع سيلين بكلامه ولكنها لا تملك خيارًا آخرًا وحتى رفاهية الاعتراض كانت بعيدة المنال عنها، فأجفلت وظهرت ملامح الضيق على وجهها ثم جلست على المنضدة وهي تمسك بشريطة الشعر الحمراء التي تركتها لومينا ولم تأخذها معها.

دلفوا واحدًا تلو الآخر إلى الثقب تاركين سيلين على الجزيرة وحدها. عندما خرجوا رأوا المكان الموحش من حولهم مغلفًا بالضباب الأبيض الذي جعل الرؤية ضعيفة إلى حدٍ ما. انتصبت في الغابة أمامهم أشجار طويلة للغاية نحيفة ذات شكل مستقيم وأفرعها منتصبة شحيحة بالأوراق!

كانت الأشجار تشبه تلك التي تطرح ثمار الخوخ في مملكة الشمال ولكنها أطول بكثير حتى كاد ارتفاعها يلمس السماء! وقفوا أمام حافة الغابة ينظرون إليها بوجلٍ وهيبةٍ يفكرون في شكل المغامرة التي على وشك أن يخوضوها. انطلق شعاع ضوئي من قلادة لومينا يشير إلى الغابة لذا قال ميرون:

- يجب أن نستدعي حارس الغابة ليسمح لنا بالدخول!

سأله مراد بترقب:

- وكيف سنستدعيه؟

أشار ميرون إلى ضريح انتصب على يمينهم مبني من الطوب الأبيض الشاحب له باب أسود اللون فالتفت الأربعة إليه لتنقبض قلوبهم على الفور!

سأل أنس:

- هل سنطرق على باب الضريح؟

أجابه ميرون على الفور:

- لا! وُلد حارس الغابة الصامتة من رحم السحر الأسود ولن يقبل بأي ثمن يُقدم إليه سوى الدماء!

صمت قليلًا ثم أضاف:

- دماؤنا جميعًا!

اعتلت ملامح الذعر وجوههم وهم يتبادلون نظرات الحيرة فيما بينهم، سأل مراد بعبوس:

- وكيف سنفعل هذا بالضبط؟

أشار ميرون إلى حوض صغير أمام الضريح محاط بورود ذابلة لونها أسود ففهموا أنهم سينزفون الدماء فيه. اتخذ ميرون أولى خطواته متوجهًا إلى الحوض الصغير يتبعه مراد وتولاي ثم أنس في حين تسمرت لومينا في مكانها وهي تنظر إليهم بفزع لم تشعر بمثله من قبل! هناك غصة في قلبها لا تدري سببها، وعلى الرغم من أنها مرت بالأسوأ فإن هذه المرة احتل الخوف قلبها لسبب تجهله!

وقف ميرون أمام الحوض ثم بسط يده اليسرى لتولاي فاستل الأخير سيفه وجرحها لتنزف الدماء التي راحت تسير فوق الحوض حتى وصلت إلى قاعه! فعل مراد وأنس الأمر نفسه فجرت دمائهما فوق دماء ميرون تبعهم تولاي وتبقت لومينا التي راقبت المشهد بذهول. التفتوا إليها جميعًا مراقبين ملامح الذعر على وجهها فكان مراد على وشك أن يخطو خطوة ناحيتها ولكن ميرون نهره قائلاً بصرامة:

- توقف! إن ذهبت إليها الآن سثحرم من الدخول إلى الغابة الصامتة، فلا بد من نزف الدماء ثم استدعاء الحارس ليسمح لنا بالعبور، وإن ذهبت الآن سأضطر إلى استدعائه وسأدخل الغابة مع تولاي وأنس!

تسمر مراد في مكانه ثم نظر إلى لومينا وقال مطمئنًا إياها:

- اقتربي ولا تخافي، سأكون بجانبك!

نظر تولاي إليهما وأدرك أن أيًا كان ما بينهما من خلافات قد تلاشى

الآن فاتقدت شرارة الألم في قلبه، ولكنه حاول ألا يمعن التفكير في الأمر فهو ليس بالوقت المناسب أبدًا. ما زالت قدم لومينا تؤلمها فتقدمت من الحوض وهي تعرج حتى وصلت إلى تولاي الذي جرح يدها اليسرى فنزفت الدماء في الحوض مثلهم.

قال ميرون بصوت مرتفع:

- أيها الحارس، نحن أبناء الظلام جئنا لنتوصل إليك لتسمح لنا بعبور الغابة الصامتة!

تردد نعيق غراب ما في أرجاء المكان تبعه واحد آخر حتى عجت الغابة بعشرات من الغربان السوداء التي وقفت فوق الأفرع تراقبهم بمكرٍ وخبت بانتظار وليمتها! قالت لومينا بصوت مرتعش من الخوف:

- أنا لست مرتاحة للأمر برمته.

توقفت عن الكلام فجأة لأن هناك صوت هامس راح يقول:

- أنا أراكم!

تشبعت لومينا بذراع مراد فور سماعها للصوت الهامس الذي تمكنوا جميعًا من سماعه غير مدركة لما تفعله، وكأنها طفلة صغيرة تلتمس منه الأمان! عاد الصوت يقول مجددًا:

- أيها الحارس، نحن أبناء الظلام، من رحمه وُلدنا وفي ظلاله نعيش!

تبادلوا نظرات الحيرة وعدم الفهم فيما بينهم ولكن الصوت

الهامس عاد يقول مجددًا:

- نسير في جنبات الظلام ثم نعود جميعًا ولكنني أحذركم..

توقف الصوت فجأة عن الكلام فالتفتت لومينا حولها وكأنها تبحث عن مصدر الصوت، وهي ما تزال تتشبث بذراع مراد الذي لم يمانع. حدقت بظلام المكان وعلى يمينها الغابة الصامتة تنتظرهم كالوحش.

أتى الصوت من خلفها يقول:

- الغابة الصامتة تحب الأرواح كثيرًا!

يبدو أن حارس الغابة يقف خلفها فالتفتت ببطء شديد وهي ترتقب ما سيحدث! اتسعت عيناها دهشة عندما رأت الكائن المخيف الواقف في الهواء مرتفعًا عن الأرض بمسافة قصيرة ينظر إليها! كان جسده يشبه أجساد البشر ولكن بلا عظام أو لحم بل تكون بأكمله من أفرع الشجر، يزينه جماجم صغيرة الحجم يبدو أنها لأطفال صغار! خرجت من يد حارس الغابة أفرع طويلة نسبيًا إن اخترقت جسد أحدهم ستقتله على الفور.

ارتدى عباءة رمادية تطايرت في الهواء في مشهد مقبض تتوقف له القلوب هلعًا! أخفى الحارس وجهه بجمجمة لأيل يخرج منها قرنان طويلان تبث رؤيتهما الهلع في النفوس! أمسك الحارس في يده عصا غليظة طويلة بعض الشيء ينتهي طرفها بجماجم بشرية ولكنها صغيرة للغاية كجماجم الفئران!

ضغطت لومينا على ذراع مراد الذي سأل الحارس:

- ماذا تعني بأن الغابة تحب الأرواح؟

تأمله الحارس مليًا ثم قال وهو يشير إلى الغابة:

- لقد سمحت لكم بالدخول! اذهبوا، ولا تنسوا أن صراخكم لن يفيدكم بشيء بداخلها!

تبادلوا نظرات الارتباك والفرع فيما بينهم قبل أن يرفع ميرون يده ليبعدها عن الحوض فتبعه البقية. توجهوا جميعًا إلى الغابة المغلفة بالضباب الكثيف، بمجرد أن وطأت أقدامهم إياها صمت كل شيء فلم يعد أحد فيهم يسمع ما يدور من حوله! تحدثت لومينا وقالت شيئًا ما ولكنها لم تسمع صوتها ولم يسمع البقية أي شيء مما قيل! نبضت القلوب في الحلق من الخوف ولهذا السبب نظر مراد إلى لومينا ثم إلى يدها المتشعبة بذراعه فأشار لها ألا تفلته حتى لا يفترقا! في هذه اللحظة أدركت لومينا أنها لم ينبغ أن تفعل في المقام الأول فابتعدت عنه وهي تشعر بالذنب في حين قطب مراد جبينه استغرابًا.

ما زال الشعاع يشير إلى شيء ما أمامهم ولكنهم لم يتبينوا ملامحه بعد! استل تولاي سيفه تحسبًا لحدوث أي شيء. ساروا في الغابة لا يسمعون شيئًا على الإطلاق حتى وصلوا إلى صخرة كبيرة للغاية مرتفعة عن الأرض وعلى قممتها يد صخرية منبسطة فوقها القلادة المتوهجة! نظرت لومينا إلى القلادة الموضوعة فوق اليد وهي تتأملها ثم نظرت إلى ميرون متسائلة فهي خائفة لم ترغب في انتزاعها إلا بموافقته، فعسى أن يحدث أمرًا ما في النهاية!

أومأ إليها بالإيجاب فتقدمت من الصخرة بخوف وهي تعرج

ثم صعدت على درجاتها الصخرية بحذر حتى وصلت إلى القلادة فتوقفت على الفور. تنفست لومينا الصعداء لأنها خشت كثيرًا أن يحدث أمرًا ولكن الأمور عادية حتى الآن. مدت يدها المرتعشة إلى القلادة ثم أمسكت بها وتأملتها لعوان ثم ارتدتها حول عنقها وهي تبتسم لأن الخلاص اقترب كثيرًا.

قالت وقد نست تمامًا أنها لن تسمع أي شيء في الغابة:

- أشعر أن النهاية...

لم تكمل لومينا كلامها لأنها استمعت إلى صوتها جيدًا! قطبت جبينها وهي تقول:

- هل أنا فقط من تسمع الصوت أو أنكم...

توقفت عن الكلام تمامًا عندما استدارت وتفاجأت بمجموعة من الكائنات التي تشبه حارس الغابة ولكنها صغيرة وقصيرة للغاية لا ترتدي أقنعة تخفي وجوهها الكريهة كانت تقف بالأسفل! حارب تولاي الكائنات المخيفة بسيفه فكان يكسر أفرعتها لتتساقط على الأرض في حين أشعل ميرون النيران فيها فراحت تسير بسرعة بين الأشجار وهي تصرخ بصوتٍ مفزع جعلهم يغطون أذنه من الألم! أمسك مراد بفرع سقط من تلك الكائنات وحاربها به، فعل أنس ما فعله مراد بالضبط، فكانوا جميعًا يستमितون لحماية لومينا التي شاهدتهم وهي فاقدة للنطق لا تعرف ماذا تقول أو تفعل.

تمكنت إحدى الكائنات من الصعود على الصخرة واقتربت من لومينا التي تراجعت إلى الخلف وهي تتنفس بسرعة وقلبها يدق

كطبول الحرب غير مستوعبة للأمر برمته! ظلت تتراجع حتى انزلت قدميها وسقطت من أعلى الصخرة ولكن إحدى الكائنات وكانت أكبر حجماً من الأخريات أمسكت بها ثم جرت في الغابة وهي تصرخ بصوتٍ مفزع! صرخت لومينا بأعلى صوتٍ تمكنت حنجرتها من إخراجهِ حتى كادت تلفظها من كخرة الصراخ!

توقف الكائن عندما قذفه ميرون بكرة نارية اشتعلت في جسده على الفور فألقى لومينا على الأرض وهو يصرخ كالمجانين! لاحظت لومينا أن حارس الغابة يقف مرتفعاً في الهواء بعيداً عنهم وهو يشاهد المشهد دون حراك وكأنه يرغب في اكتشاف المنتصر في هذه المعركة الدامية! التفتت لومينا إلى مراد الذي انطلقت صرخة ألم منه وإحدى الكائنات تغرس فرعاً صغيراً في ذراعه الأيسر!

اتسعت عينا لومينا ثم نهضت وجرت مسرعةً حتى وصلت إليه ثم أمسكت بفرع صغير وظلت تضرب الكائن به حتى تكسرت أفرعه تماماً وتناثرت على الأرض! اقتربت من مراد فشعرت بالذعر عندما رأت ملابسه وهي ملطخة بالدماء فصاحت تصرخ في ميرون:

- ميرون!

انشغل ميرون في حرق الكائنات الصغيرة وهو يدرك أن هذا سيؤدي إلى إراقة الدماء في ليموريا فلم يكن عليه التدخل من الأساس ولكنه لم يجد حلاً آخر لهذه المعضلة! أدار تولاي سيفه في الهواء وهو يضرب الكائنات التي انقضت عليه من الأعلى واحدةً تلو الأخرى فكان المشهد ملحمي من فارس مقدام شجاع مثله لا يعرف قلبه الخوف! أدركت لومينا أن أحداً لن يساعدها فمزقت سترة مراد

ثم ربطتها حول الفرع المنغرس في ذراعه لتوقف النزيف.

بمجرد أن أحكمت العقدة أمسكتها إحدى الكائنات من شعرها وجرتها على الأرض وهي تصرخ مستغيثةً بأنس الذي انشغل بمحاربة الكائنات بضراوة! نهض مراد من على الأرض ثم اندفع بقوة نحو الكائن ثم أمسك بإحدى الأفرع الملقاة على الأرض وراح يضربه بها حتى تكسرت أفرعه تمامًا وتبعثرت على الأرض! ازداد عدد الكائنات الغريبة فكانت تخرج من كل حدبٍ وصوبٍ لتهاجم الخمسة في حين راقبهم حارس الغابة بصمتٍ.

انضم الخمسة إلى بعضهم البعض فكانوا يحاربون الكائنات العجيبة ويكسروا فروعها التي كانت تتناثر على الأرض من حولهم. ضرب تولاي الكائن الأخير ثم فتح ميرون الثقب الأسود للدخول فيه، ولكن الساحر رفع يديه الاثنتين في الهواء فنهضت أفرع الشجر ثانيةً ولكنها أصبحت كائناً ضخماً هذه المرة! وصل ارتفاع الكائن إلى خمسة أمتار على الأرجح، كان عريضاً للغاية ممتلئاً بالأفرع التي راحت تطلق نحوهم وهم يتفادونها بصعوبة.

صاح ميرون محدثاً ساحر الغابة:

- ما الذي تريده؟

تراجعوا جميعاً إلى الخلف والكائن العملاق يتقدم منهم وهو يبتسم أبشع ابتسامة من الممكن أن يراها المرء! سار حارس الغابة في الهواء ثم قال وهو يقترب منهم:

- لقد حذرتكم قبل دخول الغابة أنها لن تترككم ترحلوا إلا عندما

تفوز بروح تمكث معها!

قال ميرون بسرعة:

- حسنًا، ولكن مُز ذلك الكائن بالابتعاد!

قال ساحر الغابة وهو يضحك بصوت مكتوم:

- هل عقدتم النية بهذه السرعة؟ ثرى من سيضحي بروحه؟ أهو ذلك النازف هناك؟

كان يقصد مراد بالطبع. توقف الكائن العملاق عن التقدم ناحيتهم بأمرٍ من الحارس. قال ميرون:

- وما الذي سيحدث إن رفضنا التضحية بروح أحد منا؟ ما الذي سيحدث؟

رفع الحارس يده في الهواء وهو على وشك أن يعطي الكائن إشارة الهجوم فقال محذرًا إياهم:

- إذن، ستنقض عليكم كائنات الغابة حتى تمزقكم إربًا إربًا، فكما رأيتم.. إنهم لا يموتون! من الممكن أن تتناثر أفرعهم على الأرض ولكن سرعان ما أحييهم على الفور!

إن أعطى الحارس الإشارة للكائن الضخم سيهجم عليهم على الفور وسيخسرون المعركة! إنهم يدركون هذا الأمر جيدًا ولا يحتاجون إلى التفكير؛ لذا كان عليهم الاختيار بمن سيضحون! تقدم ميرون من الكائن الضخم ثم اشتعل جسده بالنيران وهو يقول بغضب:

- لن يموت أحد اليوم، ليس وأنا هنا!

أمر الحارس الكائن بالانقضاض عليهم فراح يقذفهم بأفرع الشجر وهم يتفادونها. صاح تولاي قائلًا:

- لتفتحوا الثقب الآن لكي ندلف إليه!

ضربت لومينا رجل الكائن بإحدى الفروع فتساقطت أجزائها على الأرض. فتح ميرون الثقب الأسود ثم أطلق كرات نارية كثيرة نحو الكائن فاشتعلت فيه النيران وهو يصرخ بألم أبشع صرخة من الممكن أن يسمعاها أحد! شاهد الحارس المشهد بغضب فأطلق غصن اخترق صدر أنس على الفور! وقفوا جميعًا يشاهدون المشهد بذهول انعقدت على إثره ألسنتهم. خز أنس راكعًا على الأرض ثم قال وهو يمد يده إلى لومينا:

- لومينا، سامحيني!

سقط على وجهه فاقترب منه الحارس ثم رفع جسده في الهواء ليمزقه إربًا إربًا قبل أن يحلق في الهواء بلا جناحين! هدا كل شيء فجأة فلم يعد أحد يسمع صراخ الكائن أو الغربان أو أي شيء آخر! أمسك ميرون بذراع لومينا ليحبسها على الدخول إلى الثقب الأسود عندما بدأت الأشجار بالاقتراب منهم لتعتصرهم! أبعدت لومينا يد ميرون عنها وهي تقاوم صارخة باسم أنس الذي لم يعد في قيد الحياة!

أمسك بها مراد ثم جذبها بسرعة إلى الثقب في حين حاولت التملص من قبضته وهي تصرخ وتبكي في الوقت ذاته! دخلوا إلى الثقب بصعوبة وعندما خرجوا وجدوا سيلين بانتظارهم على الشاطئ بنظرات تملؤها الحيرة والارتباك! اقتربت على الفور من

مراد الذي جلس على الرمال الباردة وهو يتأوه لأنه بدأ يشعر بالألم.
ساعده ميرون في الدخول إلى المنزل لتضمد سيلين جراحه في
حين وقف تولاي أمام لومينا ينظر إليها بشفقة وهي تقف محمقة
في الفراغ أمامها بمقلتين مغرورقتين بالدموع!

بريندا

لقد مات أنس! مات من أحبني بصدق، مات من أخبرته قبل موته أنني أكرهه! هل تكرهني الحياة إلى هذه الدرجة؟ انتزعت أبي مني ثم نور، تلك الفتاة الرقيقة التي أخطأت في حق نفسها كثيرًا فماتت في المعركة التي شنها أنس علينا! كم وددت لو أنني انتزعت قلبه وسحقته غضبًا منه ولكنني أقف هنا الآن أبكي دماءً على موته! مات أنس وهو يتوسل إليّ لكي أسامحه.

مات أنس كما مات أبي وأنا أشاهد سحرة النور ذوي العباءات السوداء وهم يجرونه إلى الثقب الأسود لأعمر عليه بعدها في حقل الذرة ميثًا. مات أنس كما ماتت نور بين يديّ وهي تبكي فرحًا لأن طفلها ركل بطنها فظنت البائسة أنه في قيد الحياة في حين لم تكن تلك الركلة سوى انتفاضة روح تخرج من الجسد. مات أنس فمات قلبي معه!

اقترب مني تولاي ثم قال:

- أنا آسف حقًا يا لومينا!

لم تكفّ دموعي عن الانهمار كالسيول على وجنتي هكذا، وللحق أظن أنها لن تتوقف أو تجف أبدًا. راقبت عينيه ونظراته الحزينة فابتسمت على الرغم من كل ما أشعر به، ولكنها ابتسامة تحمل الهم والشجن بين ثناياها! قلت:

- أتعرف يا تولاي؟ أنا أكره نفسي كثيرًا لأنني شخص ملعون، لعنت بقتل من يقترب مني؛ لذا أنصحك بالابتعاد عني حتى لا تموت يومًا

تطلع إلى وجهي بحزنٍ ولكنه لم ينطق بحرفٍ ولم يتحرك قيد أنملة! تبادلنا النظرات لبرهةٍ ثم استطردت:

- رغبت في قتل أنس كثيرًا، رغبت في انتزاع قلبه وسحقه في يدي، ولكن هيهات! لقد كذبت يا تولاي! كذبت لأنني لم أستطع كرهه أبدًا، هل غضبت منه؟ نعم، غضبت كثيرًا وشعرت بالسخط بسبب ما فعله، ولكنني لم أتمكن من كرهه!

بكيت أنهارًا ونحن نتبادل نظرات الضياع والحزن فيما بيننا. شعرت لوهلة أن قلبي سيتمزق من شدة الألم الذي يشعر به. وضعت يدي على قلبي وأنا أتنفس بصعوبة من فرط الحزن والبكاء ثم قلت له:

- أنا لن أسامح نفسي أبدًا يا تولاي!

تركته ثم سرت بصعوبة إلى المنزل وقدمي تنغرسان في الرمال وأنا أعرج فتألمت أكثر فانطلقت مني صرخةٌ باكيةٌ أطلقتها في الفضاء عسى أن أرتاح! توقفت عن السير والدموع تجري على وجنتي بلا توقف. أشعر بغصةٍ في قلبي.. انتحبت ثم رفعت نظري إلى السماء وصرخت قائلة:

- لماذا؟

توقفت عن الكلام وأنا أمسح دموعي وشعور القهر يتسلل إلى قلبي الجريح. جلست على الرمال ثم نظرت إلى الأعلى ثانيةً وقلت بصوتٍ مبحوح:

- لماذا لم أمت؟ لماذا أنقذني مراد؟ لماذا؟ حتى تجعلني أشاهد أحبائي وهم يموتون أمام عيني؟ هل هذا انتقام ما؟ لماذا تحدث لي أشياء بشعة دائمًا؟ أنا دون سواي! ما الذي اقترفته في حق أي أحد حتى يُنتقم مني بهذا الشكل؟ ما الذي فعلته؟

عندما أدركت أنني أخاطب الإله متذمرةً بكيت وانتحبت كثيرًا لأنني غاضبة من نفسي، فكيف أجرو على مخاطبته بهذا الشكل؟ يا للحسرة! شحًا لي إن تجرأت على مناجاته هكذا! لقد كرهت نفسي في تلك اللحظة كثيرًا وهذا ما أغضبني وجعلني أبكي بصوت مرتفع للغاية جعل جميع من بالمنزل يخرجون منه ليشاهدوني في هذه الحالة التي يرثى لها حقًا! لا أظن أنني سأسامح نفسي على هذا التطاول! لن أسامح نفسي لأنني اعترضت بجرأة على مشيئة القدر! توقف كل شيء وكأن الكون بأكمله يرغب في سماع نجوى نفسي الهائلة على وجهها في صحراء الغضب والحزن! نظرت إلى مراد وميرون الواقفين أمام المنزل يتأملاني بعبوس ثم تحولت أنظاري إلى سيلين التي اقتربت مني وهي تربت على كتفي قائلة:

- لومينا! لم لا تأتين معي الآن لأضمد جروحك هذه؟

كانت تقصد هذه الكدمات البسيطة التي تسببت فيها الكائنات الغريبة في الغابة الصامتة. توقفت عن النحيب عندما تطلعت إلى وجهها البريء ثم قلت لها:

- ابتعدي عني يا سيلين ولا تقتربي مني لأنني أخاف عليك من الموت، إنه يطارد من أحببتهم، أظنني ملعونة أو ما شابه!

أحاطتني سيلين بذراعيها بحنانٍ افتقدته كثيرًا في الآونة الأخيرة.
انبعث الدفء من حضنها الذي كان بمثابة دواء لجروح نفسي
الغائرة! احتضنتها بقوةٍ وكأنني طفل صغير يتشبث بأمه ليلتمس
منها الأمان! بكيت كثيرًا وهي تضمّني إلى حضنها الآمن من وحشة
الطريق وغياب اليأس والحزن! بكيت حتى ظننت أنني سأظل
أبكي إلى الأبد بلا انقطاع!

ابتعدت عنها وأنا أنظر بامتنانٍ لعينيها ثم نهضت وأنا أعرج
على قدمي التي اشتعل فيها الألم ثم دلفت إلى المنزل متحاشيةً
النظر في أعين مراد وميرون. صعدت الدرج إلى الطابق العلوي ثم
استلقيت على الفراش لأنام. لقد خضت معارك كثيرة في الأيام
القليلة الماضية وأنا أستحق الراحة الآن، وعلى عكس المتوقع تمامًا،
بمجرد أن وضعت رأسي على الوسادة أظلم كل شيء لأغوص في
حلمٍ مرعبٍ آخر وكأن الحياة لن تتركني أبدًا! الواقع مؤلم والحلم
أكثر بؤسًا وظلامًا!

فتحت عيني لأجد نفسي واقفةً أمام امرأةٍ مستلقيةٍ على الفراش
وهي تصرخ. نظرت حولي فأدركت أنني أقف في مكانٍ غريبٍ يشبه
جناح الملك. هناك فراش مصنوع من الذهب في ركنٍ من المكان
الواسع جدًا لسببٍ غير مبرر على الإطلاق؛ فمن الذي يستخدم هذا
المكان المتسع للنوم فيه؟ ازدانت الجدران برسوماتٍ غريبةٍ لأجسامٍ
كرويةٍ تسبح في الفضاء، إلى جانب الكثير من النجوم والأقمار!
أظن أنها لوحةٌ للسماء، ولكن ما أثار انتباهي حقًا هو رسمةٌ لجزيرةٍ
سليستيا على أحد الجدران!

انتشلتني صرخات المرأة من أفكاري هذه وهي تنادي على زوجها!
تقدم شقيق أكين من المرأة ثم جلس بجانبها وهو يمسك بيدها
للتخفيف عنها! انطلقت الصرخات المدوية من أدلين وهي تحاول أن
تُخرج الطفل إلى الحياة! اقتربت مني إحدى النساء اللاتي ساعدن
أدلين في الولادة ثم قالت:

- أما زلتِ هنا؟ لقد أخبرتك أن تذهبي إلى والدكِ!

تطلعت إلى وجهها ثم تأملت ملابسه التي كان النور يشع منها ثم
راقبت ملابسني فأدركت أنني واحدة منهم على ما يبدو! توجهت إلى
الباب ثم خرجت منه إلى الحديقة التي مشيت فيها من قبل لأجد
أكين جالسًا بذهول على الأرض العشبية وهو يراقب الشلالات التي
تصب في بحر العقوب الملونة!

اقتربت منه ثم سألته:

- ما الذي تفعله هنا؟

حملق في وجهي لتوانٍ ثم قال:

- أين نحن؟ ومن أنتم؟ هل أنا مريض مثل روبين؟

- لا، لست مريضًا.. هذه مملكة سليستيا، موطن السحر الأبيض!

سألني بلامح مذعورة:

- السحر؟

تنهدت ثم أجبت:

- نعم.. نحن سحرة النور وحُماة عرش الزمن! قوانا هي السفر

عبر الأزمنة والأمكنة خلال الثقوب السوداء ونحن من نتحكم فيها.
هذه القوى هبة منحنا إياها الإله لمراقبة الأحداث الزمنية بالأكوان
المتعددة في الكون العظيم وللحفاظ على سيرها دون العبث
بالأحداث الماضية أو المستقبلية على حد سواء. وتلك الشلالات
تصب في بحر الثقوب الزمنية التي تفصلنا عن العوالم الأخرى، وهي
النور الذي يمنع الثقوب من الانغلاق!

ساد الصمت للحظات، قطعه سؤال أكين:

- هل أدلين ساحرة نور مثلك؟

- نعم، إنها شقيقتي، وليونيد هو والدنا، إنه الملك المعظم لمملكة
سليستيا، ونحن الثلاثة حُماة عرش الزمن!

سألني وملامح الاندهاش لم تفارق وجهه:

- وماذا يفعل عرش الزمن ذلك؟

تنهدت بتعبٍ ثم قلت:

- إنه المسؤول عن تغيير الأحداث الزمنية دون إراقة الدماء
بالمقابل، ولكن من يتحكم به يجب أن يكون من نسل الحُماة حتى
يتحكم بالحارس!

قطب أكين جبينه ثم قال:

- الحارس؟

أجفلت من كثرة تساؤلاته فتطلعت إلى وجهه بعبوس قائلة:

- لماذا تهتم كثيرًا بعالمنا؟

قال بتردد:

- أخبرتني أدلين أنها ستساعدني في استعادة زوجتي وابنتي.. لقد قتلها الملك وزوجته.

سألته باستغرابٍ على الرغم من أنني أعرف الإجابة، فإن بريندا لم تكن تعرفها بعد على ما يبدو:

- ولماذا قتلوا عائلتك؟

سمعت أكين وهو يحكي لي حكاية عشت تفاصيلها بنفسي ورأيت أحداثها بل وشاركت فيها بدورٍ قُلت فيه في النهاية! شعرتُ بالحزن يتملكني بسبب ما أسمع، إنها مشاعر بريندا عندما سمعت حكاية أكين.

قلت بحزم:

- أنصت إليّ جيدًا يا أكين، لن يسمح والدي لأدلين بالتحكم في عرش الزمن لمساعدتك في استعادة عائلتك؛ لذا أنصحك بتقبل الأمور كما هي وأن تتقبل الواقع!

نهضتُ على الفور وتركته وحيثًا ثم مشيت إلى القصر لمقابلة ليونيد. اختلف القصر كثيرًا عن ذلك الذي يسكنه الملوك في عالمنا، فهو مصنوع من الزمرد المطعم بالذهب، وحتى أصل إليه كان عليّ أن أصعد بضعة درجاتٍ مصنوعةً من الألماس! وقفت أمام الباب الكبير الذي ازدان برسوماتٍ لنجومٍ وأقمارٍ وثقوبٍ سوداء كتلك التي كانت على جدران جناح أدلين.

طرقت الباب ففتحه لي حارس لا يرتدي مثل الحراس في زماننا، بل يرتدي سترة بيضاء وسروالاً بني وتغطي ملابسه عباءة بيضاء يشع منها النور! ابتسم لي ثم دعاني إلى الدخول فدخلت إلى بهو متسع للغاية ضُنع من الرخام الأبيض والأزرق معًا وازدان بالرسومات نفسها التي على الباب وجدران جناح أدلين. كانت هناك درجات أمامي تؤدي إلى منصة انتصب فوقها عرش كعروش الملوك مصنوع من الذهب ومطعم بالآلماس جلس فوقه ليونيد وهو يضع تاجًا من النور فوق رأسه الأشقر. تقدمت ببطء من الدرج ثم صعدته وقلبي يدق في صدري كطبول الحرب خوفًا وهلعًا مما سيحدث بعد قليل!

وقفت أمام عرشه ثم ركعت وأنا أقول متوسلة إياه:

- سيدي، هناك ما يجب أن نتحدث عنه بمفردنا!

رفعت نظري إليه لأراه قاطبًا جبينه استغرابًا، ولكنه فاجأني عندما أمر الحراس بمغادرة البهو ففعلوا على الفور. نهض من على عرشه ثم وقف أمامي وهو يقول بصوت أجش:

- انهضي!

نهضت بالفعل ثم وقفت أتطلع إلى عينيه الزرقاوين أراقبهما بتوجس ولكنني بدأت الكلام بعقّة مزيفة:

- سيدي.. لقد عادت أدلين!

راقب ملامحي بهدوءٍ أدهشني كثيرًا ثم قال بعبوس:

- هل ظننت أنني لا أعرف ما يدور في سليستيا؟

ابتلعث ربيقي ثم حاولت أن أبدو قوياً في حين يضطرب قلبي في
صدري:

- حسناً.. وماذا سيكون قرار جلالتك؟

استدار ثم توجه بتؤدة إلى العرش وجلس عليه وهو يحدجني
بنظراته المتكبرة التي اعتدتها على مر السنين. قال بصرامة:

- القوانين واضحة للجميع يا عزيزتي بريندا، ونحن نعيش في عالم
عادل، وإن العقاب الذي فرضناه على من خالف القوانين من قبل
سنفرضه ثانية على أدلين!

صحت قائلةً والكره يملأ قلبي:

- ولكنها ابنتك يا سيدي.

نهض من على العرش وهو يصيح بغضب:

- لا يجب على القوانين أن تفرق بين أحد، فالكل سواسية أمامها!

تساقطت الدموع على وجنتي وأنا أقول:

- وماذا عن وصية والدتنا؟ هل ستضرب بها عرض الحائط؟ ألم
تكتف بنفي أدلين إلى عالم البشر؟ الآن ترغب في حرمانها من
قواها؟ أنت شخص قاسي وأنا لن أسامحك أبداً.

فتحت عيني فتفاجأت بسيلين وهي تحملق في وجهي بذعر.
قطبت جبیني واعتدلت في جلستي على الفراش أنظر إليها
باستغراب ثم سألتها:

- ماذا هناك؟

أشارت إلى قلبي ثم قالت:

- لقد رأيته ثانية! أعني ذلك الضوء الذي يجثم فوق قلبك ولكنه يختفي قبل أن تستيقظي.

- هل هذا حقًا ما يخيفك يا سيلين؟ لقد رأيت أهوالًا منذ تلك اللحظة التي وطأت فيها قدمي القصر الملكي بمملكة الشمال! إن الأحداث الغريبة والمرعبة تطاردني من وقتها ولم تتوقف، وللحق لا أظنها ستفعل.

سمعت أحدًا يطرق على الباب، ثم قال الصوت:

- لومينا! يجب أن نتحرك على الفور، اتسع الانشقاق كثيرًا، ولا يعني هذا سوى أن النهاية اقتربت للغاية! إن لم نتحرك الآن فسينتهي كل شيء.

زفرث بقوة ثم نهضت من على الفراش وتوجهت إلى المرحاض. استعددت للمغامرة الأخيرة فخرجت من المنزل لأجدهم جميعًا واقفين بانتظاري على ما يبدو، ولكنني لاحظت أن نظراتهم كانت منصبةً على القلادات حول عنقي!

اقترب مني ميرون ثم قال:

- القلادة هي وعاء يحمي النجمة بداخله، لذا ستفتحين القلادتين الآخرين لثدخلي النجمتين بهما في القلادة الأولى!

انتزعت إحدى القلادات من حول عنقي ثم فتحتها فسبحت

النجمة في الهواء وظلت هكذا لم تتحرك، ثم انتزعت الثانية وفعلت
المثل. سبحتا النجمتان في الهواء ونحن ننظر إليهما بانبهار يشوبه
الكثير من الخوف. فتحت القلادة الأخيرة ثم اقتربت من النجمتين
اللتين سبحتا إليها على الفور ثم استقرتا بداخلها فأغلقتها وارتيديتها
ثانية!

قال ميرون بتجهم:

- الوجهة الأخيرة في هذه الرحلة هي جسر الموتى، سنبحث عن
عرش الزمن هناك!

قال مراد:

- ولكننا لا نعرف مكانه!

لم ألاحظ أن ميرون يمسك في يده بأوراق مهترئة يبدو أنها جفت
بعدما أغرقتها المياه إلا عندما رفعها إلى الأعلى ثم قال بحدة:

- هذه هي الصفحات المتبقية من كتاب "عين الإعصار". أحدهم لم
يتمالك أعصابه فمزق صفحاته وألقى بها في الوحل بالغابة ولكنني
أنقذت ما يمكن إنقاذه، فعرفت مكان بئر الهمسات.

رمقني بنظرات تعني الكثير وكأنه رغب في إخباري بأنه يعلم أنني
من فعلت هذا في الكتاب ولكنه لم يتهمني علانية لسبب أجهله!
اكتفى بالنظر إليّ بتلك النظرات المعاتبة ثم أردف قائلاً:

- العالم ينتهي، البشرية بأجمعها تعتمد علينا، إنها الرحلة الأخيرة
التي سنخوضها في هذه المغامرة، أعلم أننا فقدنا أشخاصاً نحبهم،
ضحى أنس بحياته في سبيل إنقاذنا، وكدنا نفقد لومينا التي تتحمل

أهوالاً ربما لم أكن لأتحملها إن كنت مكانها. مراد جريح وذراعه يؤلمه، تنتشر الجروح المؤلمة في جسد تولاي، أعلم! أنتم أبطال، وأنا فخور لأن كيرال اختارني لاصطحابكم إلى هذه الرحلة، فأنتم أهل للثقة وتستحقون الاحترام.

كنا ننظر إليه متعجبين من كلامه الذي عنى الكثير، وكأنه يؤهلنا للحقيقة؛ فالرحلة الأخيرة ستسلب روح أحد منا على ما يبدو، ولكننا لا نعلم من هو بعد! على الرغم من أنني كدت أفارق الحياة فإن الغصة اجتاحت قلبي ثانية عندما نظرت إلى مراد وتولاي وتخيلت نفسي ميتة! إن مت لن أراها ثانية، وبمجرد تخيل هذه الفكرة امتلأت عيناى بالدموع، ولكنني مسحتها بسرعة قبل سقوطها على وجنتي!

سأل مراد:

- من الذي كتب تلك الصفحات؟

أجابه ميرون:

- للحق لا أعلم، ربما كان كيرال، ربما كان شخصاً آخر، ولكنني ممتن لأي كان من كتب هذه الصفحات؛ فلولاها لما وصلنا إلى هذه المرحلة من الرحلة، أليس كذلك؟

تساءلت سيلين:

- ولكننا لا نعرف بعد ما هو عرش الزمن، فكل ما نعرفه أننا يجب أن نضع النجوم الثلاث فيه، ولكن لماذا؟ لم يخبرني أحدكم من قبل!

قال ميرون وهو يشير إلى إحدى الصفحات التي كان يمسك بها:

- إن من يتحكم في عرش الزمن يتمكن من تغيير الأحداث الزمنية دون إراقة الدماء في المقابل.

سألته سيلين متشككة:

- أهذا كل شيء؟ إن تحكمت فيه سأغير الأحداث الزمنية؟

قال مراد:

- هذه قوة عظيمة أيتها الطبيبة سيلين، فلا تستخفي بها! بإمكانك أن تتخيلي شعور من يتحكم في عرش الزمن ليعود إلى الماضي حتى ينقذ أشخاصًا لم ترغب الحياة في استمرارهم بالعيش! هل هذه قوى يُستخف بها برأيك؟

قلت بصرامة:

- لا، ليست قوى يُستخف بها ولكنها مخيفة ومحزنة.. الحياة تختار من يعيش ومن يفارقها، لماذا نتدخل في مشيئة القدر؟

سألني ميرون بجدية:

- لا أقول أنني لا أتفق معك ولكنني سأسألك سؤالًا واحدًا، لو أُتيحت لك الفرصة للتحكم في عرش الزمن لإنقاذ أنس، ألن تفعلني؟

انعقد لساني عن الكلام فلم أنطق بحرفٍ لأنني سأكذب إن تكلمت! هل أقول له إنني لن أفعل؟ هل أقول إنني سأفعل؟ لم أجبه لأنني سأكذب في الحالتين لأن جزءًا كبيرًا بداخلي يتمنى لو عاد بالزمن لتغيير أحداث كثيرة من بينها موت أنس. إن كنت أمتلك قوةً كنتك فسأعود بالزمن إلى ذلك اليوم الذي مات فيه أبي، وإلى تلك اللحظة

التي تعرف فيها أنس على كنان. كنت لأمنع أشياء عدة حدثت لي
ولأشخاص آخرين، ولكن أحيانًا ما يكون في الفقد قوة، فلولاه لما
أصبحت أحتمل المصائب!

سأل تولاي:

- وأين هو عرش الزمن؟

أجابه ميرون مشيرًا إلى صفحة من بين الصفحات:

- يقع عرش الزمن في بئرٍ تدعى بـ "بئر الهمسات" في جزيرة
مهجورة تسمى "روسالكا".

قطبت جبيني وأنا أسأله:

- إنها المرة الأولى التي أسمع فيها عن تلك الأماكن في عالمنا!

تطلع ميرون إلى وجهي ثم قال بجدية:

- ومن قال أنها في عالمنا؟

تبادلت نظرات الحيرة والارتباك مع تولاي ومراد، فأضاف ميرون
ليريحنا من عذاب التفكير:

- روسالكا هي جزيرة من بين جزرٍ أخرى طافية فوق بحرٍ من
الثقوب أو البوابات الزمنية التي تفصل عوالمهم عن عالمنا، ولكي
ندخل إليها نحتاج إلى فتح واحدة من تلك البوابات. وتلك البوابة
الزمنية مفتوحة بالفعل، فقد أراحنا النكرومانسر من عناء فتحها! إنها
ذلك الثقب في منتصف البحر بين مملكة الشمال ومملكة بيورين،
وهي السبب في اختفاء السفن. لم تبتلعهم البوابة، بل أكلتهم

وحوش الناريث التي تحرسها!

سأله تولاي:

- هل تلك البوابة هي السبب في انشقاق السماء؟

أجابه ميرون:

- نعم، ولكن لا تتسبب كل البوابات الزمنية في انشقاق السماء..
أعني أن فتح البوابة التي يختبئ فيها عرش الزمن هي من تفعل ذلك!

توقف عن الكلام لأنه نظر إلى مراد ثم قال:

- سأعيد إليك قواك لأننا لن نحتاج إلى السفر عبر الزمن، فالعرش لم يتزحزح من مكانه أبدًا! إنه يقبع في تلك البئر منذ آلاف السنين لم يقترب أحد منه من قبل!

يا للغرابة! هذه القوى الخارقة تنتظر من يستخدمها في بئر مظلمة ولكن أحدًا لم يجرؤ على استخدامها من قبل! قال مراد بضيق:

- هل هذا يعني أننا سنضطر إلى الذهاب إلى تلك البوابة الزمنية على متن سفينة ما؟

أوما ميرون بالإيجاب ولكنه قطب جبينه متساءلاً:

- لماذا أنت غاضب؟

أجابه مراد على الفور:

- لأننا سنضطر لأن نطلب من بيرى توفير تلك السفينة بقبطانها

وهو أمر لن أتمكن من فعله!

سأله ميرون بوجه متغضن:

- لماذا؟

زفر مراد بقوة ثم قال:

- لا بد أن شقيقتي أرسلت لها بخطاب تحكي فيه عن الشجار الذي حدث بيننا وكادت تقتلني فيه عندما اكتشفت أنني أطلقت سراح القاتل! ستخبر بيدي أن لومينا هي شقيقة القاتل، وعندما ترانا ستلقي بالقبض علينا جميعًا!

حدجه ميرون بنظرات تحمل الكثير بين ثناياها، يبدو أنه غاضب ولكنني لاحظت أنه يحاول ألا يظهر غضبه بقدر ما يستطيع! تطلعت إلى وجه سيلين الممتعض وهي تحاول إدراك الأمر، فهي لم تكن تعرف حتى هذه اللحظة أن أنس هو القاتل!

قال مراد:

- سنسافر جميعًا إلى بيورين، ولكنني سأترككم لأذهب إلى بيدي لأتناقش معها في الأمر. لا ينبغي أن تراكم فأنا لا أضمن رد فعلها!

أخرج ميرون من جيب عبائه السوداء تلك البلورة التي كان لونها أزرق والتي ساعدته من قبل في امتصاص قوى أنس ومراد. وضع يده اليسرى فوق ذراع مراد الأيمن فخرج منها شعاعًا أسود اتجه إلى الذراع الأيسر وكوّن عقدة بينهما تكونت منه. أبعد ميرون يده عن ذراع مراد ثم وجه البلورة إلى العقدة فخرج الشعاع الأزرق متجهًا إليها لقطعها فتبدد الشعاع الأسود ثم اختفى بداخل البلورة التي

امتصته فأصبح لونها أسود مجدداً. عندما انتهى ميرون توهج جسد
مراد بالنيران البيضاء وكأنه طيز استعاد جناحيه!

لا أدري لماذا شعرت بالأمان الذي افتقدته طوال الرحلة عندما
رأيت النيران تنبعث منه ثم الثقب الأسود وهو يُفتح، يا له من
مشهد! ألقِ نظرة أخيرة على هذه الجزيرة التي احتضنت آلامي
وربتت على أشجائي بحنانها. على الرغم من المشاعر المؤلمة التي
ضربت قلبي هنا فإن الطبيعة دائماً ما وجدت طريقة للتخفيف عني
بأمطارها ورياحها وأصوات حفيف أشجارها. شعرت بالامتنان لكل
شيء. دخلت مع مراد إلى الثقب الأسود الذي فتحه ثم خرجنا منه
لنتسمر عندما رأينا المفاجأة!

أطلال مملكة

خرجوا من الثقب الأسود واحدًا تلو الآخر ولكنهم تسمروا في أماكنهم أمام باب المدينة الملكية عندما راقبوا المشهد أمامهم. تناثرت على الأرض شظايا الباب الخشبي الكبير الذي كان منتصبًا بين جداري السور الضخم الذي يفصل المدينة عن القرية. لا بد أن هناك قوة خارقة أطاحت بالباب وتسببت في هدم بعض الأجزاء في السور المرتفع فتبعثر الحطام أمامه في مشهد مخيف. رفعوا أنظارهم جميعًا إلى السماء التي تلبدت بالغيوم السوداء والتي غاب عنها القمر والنجوم. نظرت لومينا إلى الأرض فتفاجأت أنها مغطاة بالثلج الأسود!

تطايرت ندفات الثلج السوداء في الهواء محلقة من حولهم وهم يتبادلون نظرات الهلع والقلق فيما بينهم. لم ينظر أحدهم حتى الآن إلى حال القرية من خلفهم، ولكن سيلين فعلت فانطلقت صرخة مدوية منها وهي تنظر إلى الجثث المتجمدة على الأرض المغطاة بالثلج الأسود! جثث عديدة لأطفال ونساء ورجال ملقاة بإهمال على الأرض الثلجية ومن حولها تناثرت شظايا الأكواخ الخشبية فتري بعضها فوق جثثهم والبعض الآخر بجانبهم!

راقبوا المشهد في صمت، فلم يعد هناك ما يُقال في هذه اللحظات! ماذا سيقولون؟ لقد انتهى العالم حقًا! سارت لومينا وهي تعرج بين أطلال القرية وجثثها المتجمدة ثم قالت:

- هل تأخرنا إلى هذه الدرجة؟

تساقطت الدموع من مقلتيها وهي تنظر إلى جثة طفل رضيع تحتضنه أمه وعلى وجهها ارتسمت ابتسامة بريئة! تذكرت والدتها التي تركتها في القصر فشعرت بغصة في قلبها فاستدارت وهي تنظر إلى الباب. سار مراد إلى بقايا الباب المحطم ثم صعد عليها ووقف يراقب المدينة الفارغة إلا من جثث النبلاء والقرويين على حد سواء! فتح ثقبًا أسود إلى حديقة القصر فلم يعترضه الحراس لأن المكان كان خاليًا.

سار بين الجثث الملقاة على الأرض ينظر إليهم بذهول حتى وصل إلى باب القصر المفتوح على مصراعيه ليتفاجأ بمجموعة من الناس يجلسون على الأرض صامتين ينظرون إلى الفراغ شاردين الذهن! عندما رآهم اشتعل الأمل في نفسه فابتسم زغفا عنه عندما شاهدتهم وهم يتنفسون. كانت رؤيتهم وهم في قيد الحياة كفيلاً بأن تجعله يشعر بالغبطة والسرور فوقف يتنفس الصعداء وهو يراقبهم. لم يسمح مراد لمشهد الناجين من نهاية العالم بأن ينسيه مهمته فخرج من القصر مسرعًا ثم فتح الثقب الأسود وعاد إلى الباب المحطم، عندما خرج قال بحماس وهو يلهث:

- هناك ناجون في القصر!

تهللت أسارير لومينا وسيلين وهما ينظران إلى مراد مبتسمين على الرغم من تسقاط دموعهما! قالت سيلين بصوت مبحوح والدموع تسيل أنهارًا على وجنتيها:

- يجب أن أعثر على عائلتي!

قال تولاي بعبوس:

- لتتحرك الآن بحق الإله! هل ستجلسون هكذا تبكون على أطلالكم؟ أولئك الناس بالقصر يعتمدون علينا. يكفي ما عانوه بسبب تأخيرنا.

تقدم ميرون من مراد ثم قال:

- سأخذ الطبيبة سيلين إلى القصر.. لنتقابل عند الميناء.

قال مراد بذهول:

- ولكننا بحاجة إلى بحار!

- سأعود بواحد.. لا تقلق.

سار ميرون إلى الطبيبة الجالسة على الأرض ثم قال:

- لقد انتهت الرحلة بالنسبة إليك، نحن ممتنون من أجل ما فعلته

لنا!

نهضت سيلين وهي تنظر إليهم جميعًا تودعهم بنظراتها ولكنها أسرع إلى لومينا ثم احتضنتها وهي تلمس وجنتها قائلة:

- توخي الحذر يا لومينا، نحن نعتمد عليك!

ابتسمت لومينا والدموع محتشدة في عينيها ثم أومأت بالإيجاب. فتح ميرون العقب الأسود ثم دلف فيه من بعد سيلين في حين وقفت لومينا تراقب الأطلال من حولها بوجه خالٍ من أي تعبير، وكأن وجهها عاجز عن رسم التعبيرات المناسبة في هذا الموقف.

تقدم منها مراد ثم قال:

- لومينا، يجب أن نرحل الآن، ما زال النور يتنفس في جُئح الليل!
لم تعنِ كلماته شيئًا، فهي متعبة وتحتاج إلى الراحة. أصبح الحزن والفرح سيان، لم تعد تفرق بينهما. فتح مراد الثقب الأسود فدخلوا جميعًا فيه ثم خرجوا إلى الميناء. لم يختلف حاله كثيرًا عن القرية أو باب المدينة، فالسفن محطمة تنتشر أشلاؤها في كل حدبٍ وصوبٍ. غرق البعض منها في مياه البحر والبعض الآخر منقلب رأسًا على عقب! نظروا جميعًا بذهولٍ إلى الجثث الغارقة في البحر أو الملقاة على الميناء ثم تبادلوا النظرات فيما بينهم. لا توجد حلول أخرى سوى السفر إلى منتصف البحر عن طريق الثقوب السوداء. فُتح ثقب خلفهم خرج منه ميرون الذي توقف مكانه ولم يتحرك وهو يراقب الميناء وحده.

قال تولاي:

- من الجيد أنك لم تعثر على ربان، لأننا لم نعثر على السفن ابتداءً!
قال ميرون:

- لقد عثرت على واحد بالفعل أخبرني أن الميناء محطم، ولكنني لم أرحل إلا عندما سألته عن طريقة للسفر في البحر فأخبرني أنني سأجد مراكب صيد صغيرة على الشاطئ بجانب الميناء محفوظة بداخل كوخٍ هناك.

أشار بسبابته إلى كوخٍ كبيرٍ للغاية انتصب على رمال الشاطئ الصغير ولكن الظلام لم يبين ملامحه بوضوح. ساروا إلى الشاطئ بجانب الميناء ثم وقفوا أمام الكوخ يتطلعون إلى المراكب بداخله.

تقدم تولاي وميرون يتبعهما مراد إلى الكوخ ثم حاولوا بكل ما أوتوا من قوة أن يحملوا المركب ويسيروا به على رمال الشاطئ ليصلوا إلى البحر.

عندما نجحوا في مسعاهم صعدوا على متنه عدا تولاي الذي راح يدفع به حتى غطت المياه صدره فساعده ميرون على الصعود. اتخذ مراد مجلسًا بجانب لومينا في حين جلس تولاي بجانب ميرون وهو يمسك بمجداف الأول يمسك بالآخر ثم راحا يجدفان في البحر المظلم. انطلقت كرة نارية من يد مراد أنارت لهم ما حولهم فجعلت الرؤية ممكنة إلى حد ما وكأنها مصباح على متن المركب. لم تتزحزح عيني تولاي عن لومينا التي التزمت الصمت تمامًا وهي تنظر إلى الميناء بامتعاض.

جدف ميرون وتولاي متجهين إلى رحلة مجهولة لا يعرفون عنها شيئًا. أشار كتاب "عين الإعصار" إلى أن يذهبوا إلى جسر الموتى ولكنهم لا يعرفون كيف يذهبون إلى مكان في منتصف البحر، كما أنهم لا يعرفون ما الذي من المفترض أن يحدث عندما يصلون إلى البوابة الزمنية فقد مات أنس الذي كان يعرف عنها كل شيء.

تنهدت لومينا بوهن والألم في قدمها يشتعل في حين راقبها مراد وهو يتطلع إلى وجهها ليشاهد نظراتها المتألمة بكل ما يحمله في قلبه من عشق تجاهها. التفتت تنظر إليه ثم ابتسمت بحزن وهي تتذكر المرة الأولى التي رآته فيها، ثم تعالت ضحكاتها عندما تذكرت معاملتها الجافة له فقد كانت سليطة اللسان لا تكثر بمكانته! نظروا إليها متعجبين ولكنها لم تبرر ضحكاتها إليهم!

تجهم وجه تولاي وهو يراقب مراد ولومينا مخترقًا إياهما بنظرات يملؤها الغضب والحزن. التفتت لومينا تنظر إلى البحر وهي تراقب أمواجه المظلمة التي لا توحى بالخير أبدًا. تساقطت الدموع على وجنتيها أنهارًا ثم تحول بكائها إلى نحيب جعل مراد ينظر إليها بقلقي في حين قطب ميرون جبينه متعجبًا لبكائها هكذا!

قالت لومينا بصوت مبحوح:

- لم أقصد أن أجعل هذه الرحلة غير محتملة ولكنني حقًا أشعر بالامتنان، ممتنة لكل ما حدث، على الرغم من أنني أتألم فإنه في عتمة الظلام يولد النور. ربما فقدت كل شيء، ربما سأفقد الكثير في اللحظات القادمة، ولكنني لن أقف أمام الموت باستسلام!

نظرت إليهم جميعًا تتطلع إلى وجوههم ذات الملامح المرتبكة، قالت:

- سأحارب لأجل أولئك الذين ينتظروننا.. أنا لا أخشى الموت، ولكنني إن مث، فسأموت وأنا أبتسم.

لم يدر أحد فيهم لماذا تقول ما قالت. لم يدركوا الأمر، ولكن ذلك الشعور الذي يخالجهما لم يتوقف عن النبض بداخلها! شعور الاقتراب من النهاية والموت أصبح لا يفارقها أبدًا، خرجت منها الكلمات وكأنها تُطمئن قلبها فلم تكن تعنيهم بكلامها بل عنت نفسها.

راح المركب يترنح يمينًا تارة ويسارًا تارة أخرى فوق الأمواج التي بدأت تمور قليلًا. شعرت لومينا أن جفنيها يزنان أطنانًا كالجبال فكم رغبت في النوم بشدة! قاومت السقوط في غياهب النوم للحظات

ولكنها لم تشعر بنفسها ورأسها تسقط على كتف مراد الذي تسمر مكانه ولم يتحرك وهو يراقب وجهها النائم بسلام. راقبها الرجال الثلاثة والضوء الأبيض يخرج من جسدها ليجمع على قلبها.

قال ميرون وهو ينظر إلى الضوء بوجه ممتعض:

- إن ما يحدث لها لا يريحني، لا يريحني البتة!

سأله تولاي:

- لقد ظننت أن النجمة بداخل القلادة هي التي تجمع فوق قلبها، وهي من تجعلها تسافر عبر الزمن إلى تلك الأماكن لتشهد ما حدث.

تساءل مراد بقلبي:

- وماذا يعني هذا بالضبط؟ هل روح لومينا هي التي تسافر عبر الزمن؟

أجابه ميرون:

- لم أعد متأكدًا أن روحها تسافر عبر الزمن من الأساس!

شرارة الانتقام

فتحت عينيّ لأتفاجأ بأنني أقف في سليستيا، في ذلك المكان الذي وقفت فيه أول مرة عندما أحرقت ليونيد الشاب المتسلل إلى جزيرتهم! لم يختلف المشهد كثيرًا لأن أهل سليستيا وقفوا متجمهرين أمام تلك المنصة التي وقف عليها ليونيد بجانب أدلين المسلسلة وهو يمسك بأداة تشبه الأوتاد التي كانت تمتص قوى سحرة النور بمذبحه التطهير. يبدو أنه على وشك حرمانها من قواها بوصفها ساحرة نور. وقفت أدلين تنظر إلى الأرض بوجه مكفهر غاضب في حين لاحظت بريندا تقف بعيدًا عني وهي تحمل طفلًا رضيعًا بين ذراعيها ضمته إلى صدرها وهي تبكي.

قال ليونيد بصرامة:

- اليوم نجتمع لنشاهد مشهدًا فريدًا من نوعه لن يتكرر ثانية! اليوم نراقب انشقاق فردًا منا وهبوطه إلى عالم آخر بعيد عنا. تذكروا دائمًا أن القانون العادل لا يفرق بين أحد، فالكل سواسية أمامه! أتمنى أن يكون نفي أدلين إلى عالم آخر عبرة لمن يُعتبر.

يا إلهي! ما هذه القسوة؟ ما هذا الرجل؟ هل ينفي ابنته وحفيده هكذا وبذلك السهولة؟ هل انتزع أحدهم قلبه ووضع مكانه حجرًا؟ هل هذا حقًا هو ثمن الفضول؟ لولا الفضول لما عرف الناس أي شيء عن كل ما يدور من حولهم، أليس كذلك؟ لماذا تدفع أدلين ثمن فضولها؟ تذكرت عندما عاقبتني الكائنات المتوحشة بالقصر الملكي عندما نبشت قبر الأسرار! يبدو أن الفضول مكروه ولكنني لم أعرف هذا سوى الآن.

لم يستغرق الأمر منه كثيرًا؛ فما هي إلا لحظات معدودات وانتهى كل شيء! تألمت أدلين وصرخت وهي تبكي في حين تمتص الأداة قواها. لا أدري لماذا ذكرني المشهد بالطائر الذي يُقَص جناحيه! تعالى صوت بكاء الطفل الرضيع على ذراعي بريندا التي راحت تبكي بحرقة وهي تراقب شقيقتها.

قال ليونيد بعدما أبعد الأداة عن ابنته وأعطائها إلى شخص ما يقف بجانبه:

- فقدت أدلين قواها، سلية ليونيد المعظم، وحامية عرش الزمن، ولكنها لم تعد منا الآن، ولهذا السبب سيأخذها "بيلور" مع طفلها الملعون إلى العالم الذي اختارته لتكمل حياتها فيه كواحدة من سكانه!

تعجبت كثيرًا وأنا أنظر إلى الطفل الصغير، ما هو مصيره يا ثرى؟ ألن يكون كوالدته؟ ألن يصبح ساحر نور مثلها؟ هناك أمر غريب لا أفهمه! اتسعت عيني من الدهول عندما رأيت أجساد الأشخاص من حولي تتبدد وتختفي وكأنها سحب من الظلام تتبخر في الهواء! استبدل بكل شيء من حولي أشخاص وأشياء أخرى مختلفة تمامًا عما كانت عليه منذ قليل.

رأيت نفسي أقف في منتصف مكان محاط بأربعة أعمدة رخامية بيضاء مطعمة بألوان أخرى كالأزرق والأحمر وبجانبني انتصبت بئر صغير ولكنها لم تكن ممتلئة بالمياه بل بالنور الأبيض المتوهج الذي كاد يصيبني بالعمى لولا أنني أغلقت عيني بسرعة. فتحتهما ببطء وأنا أتحاشى النظر إلى البئر فوقعت عيني على ما يوجد خلف

يبدو أنني أقف في مكانٍ يسبح في السماء محاط بالسحب من جميع الاتجاهات. نظرت إلى الأرض من أسفلي فرأيتها مصنوعة من الرخام نفسه الذي ضيّعت منه الأعمدة المحيطة بهذا المكان الذي أقف فوقه. تقدمت من الحافة ثم نظرت بالأسفل لأتفاجأ ببحر الثقوب الزمنية فنظرت إلى الأعلى لأرى سليستيا تسبح فوق!

لماذا لم أر هذا المكان الذي أقف عليه من قبل؟ استدرت فوقعت عيني على كتابين موضوعين فوق عامودين مصنوعين من الرخام الأبيض لا تتخلله ألوان أخرى. اقتربت بحذرٍ من الكتاب الأول، وبمجرد أن رأيت تلك الرسومات المألوفة تراجعت بضعة خطوات إلى الخلف لأنني تذكرته، إنه كتاب السحر الأسود، ولا بد أن الكتاب الآخر هو كتاب السحر الأبيض.

لماذا أراهما الآن أمامي؟ من المفترض أن ساحر النور الأعظم دمر كتاب السحر الأبيض، أليس كذلك؟ أو لم يدمره؟ انفتح ثقباً من خلفي خرجت منه بريندا وهي تمسك بعصا مألوفة لي، إنها عصا الظلام. كانت هناك امرأة ذات شعر أسود كالليل لها عينيّن زرقاوين متوهجتين طويلةً نسبياً ممشوقة القوام وترتدي عباءة سوداء اللون، لا يبدو أنهما يعلمان بوجودي لأن المرأة سارت بجانبني فتلامست أكتافنا ولكن لم يصدر منها أي رد فعل كما توقعت.

وقفت أمام كتاب السحر الأسود ثم أشارت لبريندا فأعطتها الأخيرة تلك العصا المألوفة لي، قالت المرأة:

- بريندا، يجب أن أسألك للمرة الأخيرة، هل أنتِ واثقةٌ مما سنفعل؟

لن يوجد سبيل للتراجع، حتى عرش الزمن لن يتمكن من إنقاذنا إن حدث أي خطأ من أي نوع.

قالت بريندا بوجه حزين:

- أيتها الكاهنة، ألم تكوني حاضرة عندما أوصت والدتي ألا يتسرع والدي في الحكم على أدلين؟ لقد فهمت شخصية ابنتها وأدركت أنها لن تقبل بالقوانين ولا بد أنها ستخالفها يوماً ما، وعلى الرغم من هذا ضرب بوصيتها عرض الحائط وحرّم ابنته من النور، ولم يكتف بهذا القدر بل لعن طفلها.. أي عقاب هذا؟

الآن أفهم لماذا ترغب بريندا في مساعدة شقيقتها. إنها تطلب من الكاهنة صنع عصا الظلام التي تحمل قوى سحرة النور بداخلها ويمكن لأي شخص أن يستخدمها.

تنهدت الكاهنة ثم قالت بوجه متجهم:

- أنت تعلمين أنني الوحيدة التي باستطاعتها الحضور إلى هنا وأنها مهمتي الأولى والأخيرة، الحفاظ على توازن الكون، السحر الأبيض والأسود معاً، ولكنني سأحذرك للمرة الأخيرة، إن ما سنفعله الآن ليس كفيلاً بأن يحرّمنا من قوانا فحسب بل سيقرب الكون بأكمله رأساً على عقب إن وقعت هذه العصا في الأيدي الخاطئة.

تبدل كل شيء للمرة الثانية فتبدد في الهواء ليحل محله ذلك الكوخ الذي يختبئ فيه أكين وابنه روبين. وقف حشد من الناس أمام الكوخ الذي كان يحترق وتتصاعد نيرانه الغاضبة إلى السماء!

استمعت إلى صرخات مفزعة لطفل صغير بداخل الكوخ يستغيث

بوالده وهو يقول بألم:

- أبي، لماذا تركتني وحدي يا أبي؟ النيران تأكل جسدي.. إنها تحرقني.

نظرت إلى الرجل القادم من بعيد وهو يتسلل بين صفوف الحشد يدفعهم ويزيحهم ليفسحوا له الطريق. وقف أكين ينظر بذهول وذعر إلى النيران التي راحت تلتهم خشب الكوخ، ولكنه حاول أن يدخل إلا أنني رأيت الجنود يمسكون به، ولكنه حاول ضربهم والتمص من قبضتهم لينقذ روبين الصغير الذي جعلت صرخاته المتألمة عيني تدمعان وأحدثت غصة في قلبي.

قال روبين وهو يصرخ:

- لماذا تحرقني يا أبي؟ لن أخالف أوامرك مرةً أخرى، أقسم لك يا أبي، لا تحرقني!

انفطر قلبي وأنا أستمع إلى صرخاته المستغيثة ولكنني بكيت أنهارًا عندما شاهدت أكين ينتحب وهو يبكي ويصرخ لكي يتركه الجنود ولكن دون جدوى. نسيت أنني مجرد طيف عندما اندفعت إلى الجنود وأنا أضربهم ولكن هيهات! لم تكن لضرباتي أية فائدة فأنا طيف، طيف سافر إلى الماضي وشاهد ما حدث.

هدأت صرخات روبين بعد وقتٍ قليل فساد الصمت المكان. أدرك أكين أن ابنه فارق الحياة فرقع على الأرض ودموعه تتساقط على ملابسه. كان ينظر إلى الرماد أمامه بحسرةٍ فاغرا فاه وفاقداً للنطق. شعرت أن هناك شيئًا غير عادي يحدث من خلفي لأنني سمعت صوت

خطوات تقترب مني فالتفتُ لاكتشف أنني أنظر إلى عيين ظالمتين
يقدح الشر منهما، إنه الملك الذي غرس السيف في قلبي عندما
هامت روحي في جسد إلينا!

تبادلنا النظرات لغواي شعرت فيها بأنه يراني! تقدم من أكين
الجالس على الأرض ثم قال بصوتٍ رخيم:

- أتى لي رجل أقرضك المال ولكنك لم ترده إليه فأخبرني أنه
رآك تختبئ في هذا الكوخ مع ابنك روبين، أخبرك ذلك الرجل أنني
لا أهتم، فقد قتلت زوجتي تلك الطفلة القاسية التي قتلت ابنتي،
ولكنني لم أكتف! استلثت السيف ثم قتلت المرأة المهملة التي أهملت
ابنتها ولم ترها وهي تسقط المرأة على جسد صغيرتي. ظننت أن
الأمر انتهى، ولكنني كنت مخطئًا؛ إذ قال لي الرجل إنه ذهب إليك
ليطالبك بماله فلم يجده في الكوخ! ظل الرجل يسأل ويبحث عنك
حتى عثر على روبين الذي تفوه بأشياء كثيرة من بينها اعترافه بأنه
من أسقط المرأة على صغيرتي!

اهتز صوته وهو يتحدث فظننت أنه يحارب البكاء باستماتة، أردف
قائلًا:

- لقد كنت غيبًا يا أكين إلى تلك الدرجة التي سمحت لك بترك طفلي
مجنون مريض وحده يتجول في أنحاء القرية. أتعلم ماذا فعلت
عندما علمت من ذلك الرجل مكان روبين؟ أتيت إلى هنا وأخبرت
الطفل أن والده ذهب ليحضر له طعامًا وأنه لا بد أن يأتي في أقرب
وقت. أخبرته أن يجلس في الكوخ لينتظرك ثم أغلقت الباب وأشعلت
النيران فيه بنفسه!

انحنى الملك وهمس في أذن أكين قائلاً:

- أنا لن أقتلك يا أكين.. سأسمح لك بالعيش لتعاني من فقدان عائلتك معلماً عانيثاً!

لم يتحرك أكين قيد أنملة وللحق أظن أنه فقد النطق فهو في حالة من الصدمة التي عقدت لسانه تماماً! انتصب الملك واقفاً بشموخ مصطنع ولكنني شعرت أن روحه تحترق حزناً على موت ابنته.

صاح قائلاً وهو ينظر إلى أهل القرية الواقفين يتطلعون إلى وجهه بخوف:

- أنا لست بملك ظالم! القصاص مشروع في تلك المواقف.. لم يعد لي شيء هنا، ولأنني شخص عادل، سأعفو عن روحه فهو لم يقتل ابنتي!

تصاعدت الهمهمات المؤيدة لقرار الملك من بين الحشد المتجمهر فلم يجرؤ أحدهم على الاعتراض أو مواجهته! قال أحد القرويين وهو رجل عجوز نحيف للغاية يرتدي ملابس بالية:

- ليحي الملك "المير" العادل!

اختفى كل شيء وتبدد للمرة الثالثة وتغير ليحل محله مكان آخر تماماً. وقف على رمال الشاطئ نفسه الذي سقطت فيه أدلين، نظرت باتجاه البحر المظلم فرأيت أكين يقف أمامها وهو يترجأها قائلاً وهو يبكي:

- سأعيدها إليك.. لقد وعدتيني يا أدلين! إنها عائلتي.. ماذا ستفعلين لو قتلوا ابنك لايدن؟ ماذا لو قتلوا زوجك كيرال؟

اتسعت عيناى واسم كيرال يتردد في أذني! كيرال هو زوج أدلين؟
وابنهما هو لايدن؟ يا إلهي! ما هذا العبث؟ أومأت أدلين ثم قالت:
- سأساعدك يا أكين، ولكنني سأذهب بنفسني إلى سليستيا..
انتظرنني هنا.

رأيت الشاطئ يتلاشى ليحل محله ذلك المكان الغريب الذي رأيت
فيه كتابي السحر الأسود والأبيض معًا. وقفت الكاهنة أمام أدلين
التي أمسكت بعصا الظلام في يدها وهي تقول:

- ابتعدي عني.. لم آت إلى هنا لإيذاء أحد. سأخذ الكتابين وسأرحل
ولن تروا وجهي ثانية.

لم أر ملامح دهشة وذعر على وجه أحد من قبل كما رأيتها مرتسمة
على وجه تلك الكاهنة. يبدو أن ما تحاول أدلين فعله خطير للغاية
وسيقرب الكون بأكمله رأسًا على عقب كما أخبرت بريندا من قبل.
توهج جسد الكاهنة بالنيران البيضاء أسفل عباؤها السوداء ثم
تقدمت بحذر من أدلين وهي تقول:

- أدلين، لا يمكن أن تذهبي إلى عرش الزمن.. لم يتحكم فيه أحد
من قبل.

اقتربت منها أدلين وهي تقول والدموع تنهمر على وجنتيها:

- إن لم أتحكم في عرش الزمن سيموت طفلي! سأمنع والدي من
إلقاء اللعنة عليه وإلا اضطررت لمرافقته طوال حياته إلى حق
زمنية مختلفة حتى لا يموت! أي عذاب هذا؟ من يفعل هذا في
حفيده؟

لم تجد الكاهنة الكلمات المناسبة لتعبر عما تشعر به بداخلها، قالت بعد برهة من التفكير:

- أنصتي لي يا أدلين، سأحدث مع والدك فعسى أن يقتنع بإبطال هذه اللعنة.

- سحرة النور الذين يطلقون اللعنات لا يستطيعون إبطالها، أنت تعين هذا جيدًا.

قالت الكاهنة وجسدها يتوهج بالنيران:

- أنا آسفة ولكنني لن أسمح لك بأخذ كتاب السحر الأسود.

وجهت أدلين عصا الظلام ناحية الكاهنة وهي تقول:

- من قال أنني سأخذ كتاب السحر الأسود فقط؟

انطلقت النيران من عصا الظلام فدفعت بالكاهنة إلى الخلف وأطاحت بها عدة أمتار لتسقط من الأعلى إلى بحر العقوب الزمنية وعلى وجهها ارتسمت ملامح الدهشة فهي لم تظن أن أدلين ستفعل ما فعلته! انطلقت النيران مرة أخرى دون قصد من أدلين وتوجهت إلى البئر المنيرة فتصدعت إلى نصفين ليخرج منها النور يزحف على الأرض الرخامية متجهًا إلى بحر العقوب الزمنية ثم سقط بداخل إحداها! وقفت أدلين تنظر بوجل إلى ما يحدث ولكنها أسرع في إمساك الكتابين ثم رفعت عصا الظلام لتفتح الثقب الأسود ودلفت إليه بسرعة.

وقفت أشاهد سليستيا وهي تتصدع من فوق ويحدث بها

تشققات كبيرة ثم استمعث إلى الصرخات التي تصم الآذان قادمةً منها! تمايلت الصخرة الكبيرة التي أقف فوقها إلى اليمين ثم تصدعت وبدأت في الانهيار ولكن تلاشى كل شيء فجأةً وتبدل قبل أن أسقط!

وقفت أمام كوخ أكين أنظر إلى أهل القرية وهم يجرون هلعًا في كل الاتجاهات في حين أمطرت السماء نيرانًا بيضاء راحت تحرق من تلمسه ولكنني لم أرَ حروقًا في أجسادهم! الصراخ في كل مكان يكاد يتسبب لي بالصمم. جلست على الأرض مغطيةً أذني بيديّ الاثنتين وأنا أشاهد حالة من الهرج والمرج تعم المكان، فهناك من سقط أثناء الركض فكان البقية يمشون فوق جسده غير مباليين! وهناك من راحت النيران تشتعل فيه وهو يصرخ راغبًا في لمس أي شخص أمامه وكأن النيران عدوى ستنتقل إلى الشخص الآخر وستبتعد عنه!

تعالّت أصوات صرخات الأطفال وذويهم يحملونهم ويجرون وهم لا يعرفون إلى أين المفر! القرية تشتعل من حولي بالنيران التي لم تتمكن من إيدائي أو إيدائهم! رفعت نظري إلى السماء لأرى ثقبًا سوداء كثيرة تفتح ويخرج منها سحرة النور من أهل سليستيا الذين راحوا يدفعون بالنيران إلى البحر لكي لا تحرق أهل القرية البائسين الذين لم يتأثروا بها في المقام الأول!

لقد سئمت، لا أرغب في البقاء أكثر من هذا، صحت قائلةً بغضبٍ:

- لماذا لا أستيقظ؟

لم يجبني أحد فأنا كالشبح بالنسبة إليهم، أشاهد ما يحدث دون

الانخراط في الأمر والمشاركة فيه! بمجرد أن لمست النيران البيضاء الأرض حدث ما لم أتوقعه أبدًا! بدأت الأرض في التصدع إلى أجزاء صغيرة كالجزر ثم ارتفعت في الهواء واحدة تلو الأخرى وأنا أحاول التمسك بوحلها لكي لا أسقط! بدأنا في الارتفاع جميعًا حتى توقفنا في الهواء فزحفنا إلى حافة الأرض التي استلقيت فوقها ونظرت إلى الأسفل لأرى حفرة كبيرة بها نور أبيض وهاج!

راقبت الجزر الصغيرة من حولي وهي تطفو في الهواء فوق الحفرة المتوهجة بالنور. شاهدت كيرال حاملاً طفله الرضيع بين ذراعيه وبجانبه أدلين التي كانت تحمل الكتابين وعصا الظلام في يدها على إحدى الجزر القريبة مني.

انفتح ثقبًا آخر خرجت منه بريندا وهي تصيح في أدلين:

- أدلين، إنه قادم لكي يقتلك! يجب أن تأتي معي الآن.

نظرت إليها أدلين ثم قالت وعلى وجهها أمارات الفزع:

- لا، لن أترك لايدن وكيرال وحدهما!

صاحت فيها بريندا وهي تبكي:

- أدلين! أتوسل إليك أن تأتي معي، إن أتى ليونيد إلى هنا سيقتلك وسيقتل عائلتك.. لنهرب معًا.

نظرت أدلين إلى كيرال ثم نظرت إلى الطفل الرضيع والدموع تسيل على وجنتيها، قالت لكيرال وهي تحتضنه:

- سأهرب، سأبحث عن حل للجنة السفر عبر الزمن التي لعن بها

طفلنا. يجب أن تسافر معه وألا تتركه فليؤنيد لن يسعى خلفكما بل خلفي لينتقم مني. خذ هذين الكتابين ولا ترهما لأحد قط. اهرب يا كيرال.

انزعزت القلادة حول رقبتها ثم وضعتها حول عنق كيرال وهي تقول:

- عندما ترغب في استدعائي، افتح هذه القلادة واهمس باسمي، سأسمعك يا عزيزي!

أظن أن كيرال غير مدرك لأي شيء تقوله فهو يتطلع إلى وجهها بلامحٍ تائهة مرتبكة، سألها بقلق:

- كيف ستسمعينني؟

أشارت إلى القلادة حول عنق بريندا ثم قالت:

- عن طريق هذه، أعدك أننا لن نفترق.. سأبحث عن حلٍ لإبطال هذه اللعنة وسأعود! تأكد يا كيرال ألا تمكث في الزمن نفسه أكثر من عامٍ واحدٍ وإلا مات الطفل! ولا تسافر للزمن نفسه مرتين!

تذكرت شيئًا أخبرنا به ميرون عندما قابلناه للمرة الأولى؛ فلقد أطلق على النكرومانسر اسم غريب لم أفهمه وقتها، ولكنني الآن أفهم، فإن المسافر عبر الزمن الملعون بهذه اللعنة هو لايدن وهو أيضًا النكرومانسر!

تعالَت صرخات الطفل وكيرال يحمله بين ذراعيه فحملته أدلين ثم ضمته إلى صدرها وهي تبكي هامسةً في أذنه الصغيرة:

- لا تخف يا عزيزي، ستعود أمك وسينتهي كل شيء.

بكت وهي تضع قبلةً على جبهة الطفل ثم سلمته لكيرال وقالت
قبل أن ترحل:

- احتفظ بعصا الظلام، ستساعدك في السفر عبر الزمن!

تبدل كل شيء للمرة الخامسة فأجفلت لأن الأمر أصبح مثيرًا
للاستفزاز حقًا إلا أنني بدأت في الاعتياد عليه! أراني الآن أقف أمام
أكين المتقوقع على نفسه في ركنٍ مظلمٍ من الكوخ، لا أظنه يعرف ما
جرى بالخارج! من الواضح أنه ما زال يعاني من الصدمة التي جعلته
يفقد النطق بعد أن شاهد روبين وهو يحترق حيًا!

فُتح الباب فرأيت كيرال يقول:

- أكين! ألن تخرج عن ذلك الصمت أبدًا؟ أود حقًا أن أريك ما حدث
بالخارج، لم لا تخرج وترى بنفسك ما حدث؟

لم ينطق أكين وظل يحمق في الفراغ أمامه شارد الذهن وكأن
عينيه قد فقدتا معنى الحياة تمامًا واستسلمتا لغياهب اليأس
والشجن! عاد كيرال يقول والطفل الرضيع يتثاءب في مشهدٍ محبٍ
إلى النفس كثيرًا:

- أنا لا أعرف كيف تسير الأمور مع سحرة النور، بل لا أعرف شيئًا
عن السفر عبر الزمن البتة، ولكنني أمتلك كتابين بهما من أسرار
الكون ما سيجعلنا أقوى شخصين في ليموريا بأسرها!

ليموريا؟ بالطبع! الآن تتضح الصورة كاملة! لم تكن مملكة ليموريا
كما وصفها مراد قبل هبوط النور إليها لأنها كانت خالية من السحر،

ولكنها الآن تشهد فجرها، فجر ليموريا! انتبه أكين إلى ما يقوله شقيقه فالتفت ينظر إليه، أردف كيرال:

- حتى لو فشلنا في تغيير الماضي، أعدك أننا سننتقم من المير وزوجته!

في هذه اللحظة فقط نطق أكين لأول مرة بصوت أجش:

- كيف؟

وضع كيرال الطفل على المهد ثم أمسك بكتابي السحر الأبيض والأسود ثم اتجه إلى عصا الظلام وأمسكها وهو يقول:

- بهؤلاء!

تبدل المكان مرة أخرى فلاحظت أنني أقف في مكان يتوهج بنور قوي يقف في منتصفه أكين وكيرال وأجسادهما تتوهجان بنيران سحرة النور المميزة! تسمرت مكاني وأنا أشاهد الحماس والسعادة على وجهيهما عندما خرجت النيران من أياديهم وهي تطفو فوقهما على استعداد لحرق أي شيء سواههما! ابتلعت ريتي وأنا أشاهد المشهد باستغراب ولكن دهشتي زالت عندما تغير كل شيء في لمح البصر! تبدل كل شيء وحل محله كوخ أكين، وقفث بداخله أنظر إليه وهو يصيح في كيرال قائلاً:

- إنه مكتوب هنا يا رجل! إنه عرش الزمن الذي سيساعدني في العودة إلى الماضي لكي أمنع روبين من قتل تلك الفتاة!

صاح كيرال:

- هل فقدت عقلك يا هذا أم أنك جاهل لا تعرف القراءة؟ كُتب هنا في كتاب السحر الأبيض أن عرش الزمن سيجعلك تعود إلى الماضي لتغيير ما حدث، ولكن حتى تعثر عليه يجب أن تفتح البوابة الزمنية المؤدية إلى جسر الموتى والتي ستجبر السماء على الانشقاق مما سيؤدي إلى نهاية العالم في نهاية المطاف!

صاح أكين بغضبٍ أفزع الطفل النائم في مهده فاستقيظ مفزوعًا وهو يصرخ وينتحب:

- ليحدث ما يحدث يا كيرال! ما الذي تبقى لي لكي أعيش لأجله؟ لقد فقدت أسرتي بأكملها! طفلك يبكي هنا ولكنه بجانبك، تحتضنه كل دقيقة في حين يتعفن ابني وابنتي أسفل التراب!

توجه كيرال إلى الطفل الباكي ثم حمله وهو يضمه إلى صدره ثم قال بحدة:

- هل تحسدني الآن على طفلي ملعون تبحث والدته عن حل لإبطال لعنته وتعيش هاربة من والدها المخبول؟ هل تحسدني على كل هذا يا أكين؟

قال أكين والدموع تتساقط من مقلتيه:

- اعطيني قلادتك يا كيرال وسأرحل ولن ترى وجهي ثانية!

رمقه كيرال بنظراتٍ قاسيةٍ للغاية كمن خاب ظنه في شخصٍ عزيزٍ على قلبه، قال بصرامة:

- حسنا! لنعتبر هذا فراق بيني وبينك، ولكنني أحذرك، إن اعترضت طريق أدلين لكي تأخذ القلادة منها سأعثر عليك يا أكين، سأعثر

عليك ولن أرحمك وقتها! وهذه القلادة؟ لن تأخذها أبدًا!

استدار أكين على الفور واتجه نحو الباب ثم نظر إلى كيرال شزراً
ليقول:

- هل تعرف أن روبين مات بسببك؟ لقد تركته في الكوخ وحده
مع صديقنا الذي لم ينتبه لحاله بل تركه يتجول في القرية بلا
رقيب حتى عثر عليه ذلك الوغد الذي أخبر الملك بمكانه. تركت
طفلي المريض وذهبت معك إلى سليستيا لأنقذ أدلين وابنك لايدن!
لم أكتف بذلك وحسب بل ساعدتك في قتل ليونيد لحمايتك أنت
وعائلتك، وبعد كل تلك التضحيات تقف أمامي الآن لتهددني بجرأة
لو أنني اعترضت طريق أدلين لآخذ منها القلادة فلن ترحمني! لن
ترحميني لأنني أرغب في استعادة عائلتي؟

سمعت صوت مألوف ينادي باسمي وهو يقول:

- لومينا، استيقظي الآن!

جسر الموتى

فتحت لومينا عينيها لتتفاجأ أن المركب تترنح كالشكاري في عرض البحر! نظرت إلى مراد الذي أمسك بها لكي لا تسقط في المياه المظلمة ثم رأت ميرون وتولاي وهما يحاولان بكل ما أوتيا من قوة أن يسيطرا على المركب الذي راح شيء بالخلف يجرها ويسحبها إليه عنوة!

سألت مراد وهي ترتجف من الخوف والبرد معًا:

- ماذا يحدث؟

انشغل ميرون وتولاي في السيطرة على المركب الذي كان على وشك الغرق. لم ينتبهوا إلى وحوش الناريت التي دارت حول القمر المنير وهي تتراقص رقصة الموت استعدادًا للوليمة! شحب وجه ميرون وهو ينظر إلى الوحوش التي تنتظر أن يقترب أحدهم من البوابة الزمنية لتنقض عليه! تعالت الأمواج في البحر فامتلا المركب بمقدار كبير منها، فما هي إلا لحظات حتى يكون الغرق حتميًا. شاهدت لومينا ثعابين سوداء تخرج رؤوسها من البحر فراحت تصرخ وهي تشير إليها في حين رمقها الرجال الثلاث بنظرات متعجبة! صاح تولاي:

- لا توجد ثعابين سوداء في البحر يا لومينا!

تعالت أصوات الرياح المربعة في الأفق فراح صفيها يبت الهلع في أنفسهم! جعل رذاذ الأمواج الرؤية صعبة للغاية لأنهم مضطرون إلى غلق أجفانهم لأنه يحرق أعينهم كثيرًا! لم يتمكن أحدهم من

رؤية ذلك الثقب الذي تدور حوله موجةٌ ثائرةٌ نظرًا لبُعد المسافة، ولكنهم تفاجؤوا بأن القمر قريب منهم للغاية وكأنه مصباحٌ يتدلى فوق رؤوسهم! ارتعدت أوصال لومينا وهي تراقب المشهد المرعب من حولها. راحت ذكريات الغرق تلوح أمام عينيها، فتذكرت خوفها وهي تغرق وحدها أسفل مياه البحر المظلم!

صاحت قائلةً بصوتٍ مرتعش:

- ما الذي سنفعله الآن؟ نحن على وشك الغرق، وأقسم أنني رأيتُ ثعابين تراقبنا وتنتظر غرقنا!

اختل توازنها عندما مال المركب إلى اليمين قليلًا فأمسك مراد بذراعها وهو يجذبها إليه قبل أن تسقط في المياه. ظل المركب يتمايل حتى انقلب رأسًا على عقب فسقطوا جميعًا وغاصوا أسفل المياه. راحت الأمواج تضرب لومينا أسفل سطح البحر المظلم فلم تعد تتمكن من الرؤية أو التنفس. أحاطها ذراعان قويان من الخلف ثم سحبها إلى الأعلى فراحت تستنشق الهواء وهي تسعل تارةً وتبتلع القليل من المياه تارةً أخرى! سبح تولاي إلى المركب المنقلب ولومينا تتشبث به حتى وصلا إليه واستندا عليه!

قال مشيرًا إلى الوحوش حول القمر:

- هل ترين تلك الوحوش أم أنني مُتوهم؟

قالت لومينا وهي تكبح الرغبة الملحة في السعال:

- أين مراد؟

أجابها بصوتٍ مرتعشٍ من برودة المياه:

- لا أدري، لم أَرَهُ.

من أسفل المياه انبثق رأس مراد الذي سبح إليهما ثم استند على المركب وهو يسأل لومينا:

- هل أنت بخير؟

أومأت بالإيجاب وأسنانها تصطك من البرد، سألته:

- أين ميرون؟

جاء صوته بعيدًا قليلًا وهو يصيح:

- هنا!

نظرت لومينا إلى الجانب الآخر من المركب فرأت ميرون وهو يحاول السباحة ليصل إليهم، قال:

- لومينا، افتحي القلادة!

فعلت لومينا ما أمرها به فخرجت النجوم ثم سبحت في الهواء فوقهم، نظرت لومينا إلى ميرون بنظرات متسائلة فقال بضيق قاطبًا جبينه:

- من المفترض أن تتحول إحداهن إلى ثقب حتى تبتلع وحوش الناريث! لماذا لم تتحول؟

تبادلوا نظرات الحيرة فيما بينهم فلم يجد أحدهم إجابة لسؤال ميرون، ولكن نظرات تولاي تحولت إلى الوحوش المحلقة حول القمر وهو يفكر. أمسكت لومينا بقلادتها ثم فتحتها أمام النجوم فدخلوا

فيها قبل أن يجرفهم البحر وتضيعها ثم ارتدتها حول عنقها ثانية! سحبتهم الأمواج نحو الثقب ذي الموجة فلاحظ تولاي أن الوحوش انتبهت إليهم!

قال بسرعة محذراً إياهم:

- إنها الوحوش، ستلتهمنا الآن! يجب أن تفتحي القلادة بسرعة.

قالت لومينا معترضة:

- ولكنني فتحتها ولم يحدث شيء يا تولاي!

صرخت الوحوش وكشرت عن أنيابها وهي تقترب منهم احتفالاً بالوليمة التي يقدمها البحر إليها! انزلت يد لومينا بسبب الأمواج العائرة فابتعدت عن المركب قبل أن يمسك بها أحد منهم. راحت تحملها الأمواج وتجرها قسراً إلى الثقب فانطلقت منها صرخات الفزع مما جعل المياه تتسرب إلى جوفها! وقفت الوحوش على المركب تنظر إلى ميرون ومراد اللذين أطلقا نيرانهما نحوها ولكن النيران أثارت استفزازها أكثر بدلاً من أن تحرقها!

حاول تولاي أن يسبح إلى لومينا التي كانت الأمواج تغرقها وهي تستنجد بهم في حين انشغل مراد في إطلاق النيران التي تفادتها الوحوش بجدارية! صاح ميرون قائلاً:

- لم ترَ النجمة الوحوش لأنهم لم يحاولوا إيذاؤنا ولكنهم يفعلون الآن لذا ستتحول إلى ثقب!

اقتربت إحدى الوحوش من تولاي وهي تنظر في عينيه على استعداد لالتهامه ولكن ميرون أطلق حزم من الأشعة الزرقاء التي

انطلقت إلى جناحيها ثم قيدتهما لينتھز الفرصة لسحبها إلى الخلف لتبتعد عن الأول! سبح مراد إلى لومينا وحاول الإمساك بها ولكن الثقب ظل يجذبهما إليه فلم يتمكن من الاقتراب منها!

لم يتمكن تولاي من السباحة إلى لومينا لأن إحدى الكائنات وقفت أمامه على المياه وهي تسير فوق الأمواج العائرة ببطء وقد صدر منها صوت مرعب خفق قلبه بسببه خوفًا! إنها المرة الأولى التي يشعر فيها بالخوف! ها هو ذا الآن يسبح في البحر وهو ينظر إلى عيني الكائن بخوف ولكنه لم يستسلم! استل سيفه من أسفل المياه ثم غرسه في فم الكائن على حين غرة منه! استسلم الكائن إلى قبلة الموت أخيرًا فسكنت أنفاسه ثم غاص في أعماق البحر المظلم!

حاولت لومينا الإمساك بقلادتها عندما سبح مراد إليها ثم أمسك بها أخيرًا وساعدها على فتح القلادة التي انطلقت النجوم منها إلى السماء، انبعث من واحدة منهن نور قوي يصيب الأعين بالعمى أحرق الكائنات فماتت على الفور. تحولت النجمة إلى ثقب أسود كبير ابتلع جثث الكائنات المتوحشة فيه. تكونت السحب الغازية الملونة ثم توجهت إلى الثقب فانطلق نور قوي للمرة الثانية.

وُلدت النجمة من جديد من رحم الثقب الأسود ثم عادت إلى القلادة مع النجمتين الأخرتين. أغلقت لومينا القلادة على الفور وهي تصارع الأمواج الهائجة! لم يفلت لومينا ومراد من قوة جذب الثقب المتزايدة فدلّفا إليه عنوةً في نهاية المطاف! سقط الاثنان من البوابة الزمنية على جسر مصنوع من معدن غريب لونه رمادي معتم معلق في الهواء! كان الجسر يصل بين جبلين غطى الثلج قمتهما، نظرت

لومينا إلى أسفل الجسر فرأت بحر العقوب الزمنية يطفو بالأسفل
فذكرها المشهد كخيرًا بجزيرة سليستيا!

خرج ميرون وتولاي من الثقب ولكن الأول كان ينزف من كتفه
فذهلت لومينا عندما رآته لذا قالت بقلق:

- هل أنت بخير يا ميرون؟

أجابها كاذبًا:

- لا تقلقي! أنا بخير.

ساروا واحدًا تلو الآخر على الجسر المعدني بتؤدة حتى لا يسقطوا
من فوقه. وصلوا جميعًا إلى قمة الجبل الجليدية فتوقفوا ليراقبوا
المكان من حولهم. لم يكن الجبل المعلق مثل سليستيا بل هو مكان
قفر خالٍ من كل شيء حتى البشر! تراصت هضاب وتلال وجبال غير
مرتفعة في الأفق وقد غلفها الضباب الذي لم يحجب الرؤية كاملة بل
جعلها ممكنة إلى حدٍ ما! ما أثار انتباههم أن المكان من حولهم كان
منيرًا وليس مظلمًا كما كانوا في البحر!

سأل مراد:

- ماذا الآن؟ أين عرش الزمن؟

أجابه ميرون:

- من المفترض أن تشير القلادة إليه!

نظروا جميعًا إلى القلادة التي لم تتوهج ولم يخرج منها شعاع
ليشير إلى البئر التي تخفي عرش الزمن بداخلها! تبادلوا نظرات

الحيرة وعدم الفهم فيما بينهم فقال تولاي:

- ربما يحجب البثر ذلك الضباب هناك!

زفرت لومينا في ضيقٍ ثم جلست على الأرض ودفنت وجهها بين يديها وهي تفكر في نهاية هذه الرحلة السرمدية التي لا تنتهي أبدًا! جلس مراد بجانب لومينا ثم أطلق كرة نارية لتدفئتهما في حين وقف تولاي بجانب ميرون يراقب الأفق بترقب! انتفضت لومينا هلعًا في مكانها عندما سمعت الصوت الذي كان قد هدا قليلًا في الآونة الأخيرة! إنها أجراس السماء عادت ثقرع بجنونٍ من جديد!

التفتت لومينا حولها وكأنها تبحث عن يقرع تلك الأجراس التي لا تهدأ ولا تنذر بالخير أبدًا! ابتلعت ريقها عندما رأت ذلك الذي يقف على سفح تلٍ قريبٍ من الجبل! وقف الملمم يراقبهم كالنسر الذي يرتقب اللحظة المناسبة للانقضاض عليهم!

قالت لومينا بصوتٍ مرتجف:

- إنه لايدن! إنه النكرومانسرا!

تفاجأوا بما قالت فأخبرتهم بما رأت باقتضابٍ وهي نائمة. وعلى حين غرة من الجميع، انطلق الشعاع من القلادة مشيرًا إلى شيء ما خلف التل الذي يقف عليه الملمم! لم يتحرك الملمم قيد أنملة مما أثار استغرابهم، ولكن لومينا اقتربت من حافة الجبل وهي تصيح وكأنه سيتمكن من سماعها:

- لن تتمكن من انتزاع القلادة مني للاستيلاء على عرش الزمن يا

لايدن!

لم تعرف لومينا أن لايدن سمعها بالفعل لأن ابتسامة واسعة ارتسمت على ثغره أسفل لعامه! لاحظ الشعاع الذي انطلق من قلادتها مشيرًا إلى تلك البئر خلف التل فنظر إليها وهو يفكر كيف سينتزع منها القلادة.

قال ميرون:

- سأفتح الثقب إلى بئر الهمسات وسندلف إليه ثم سأذهب مع لومينا لوضع النجوم في العرش ومن ثم سنسافر عبر الزمن لمنع لايدن من فتح البوابة الزمنية التي عبرنا من خلالها منذ قليل.

سكت قليلًا ثم أضاف وهو ينظر إلى تولاي ومراد:

- ستحاولا عرقلة لايدن ومنعه من اللحاق بنا.

فتح ميرون الثقب الأسود وعيناه لم تتزعزعا عن الملثم الذي راح يراقبهم بترقب على استعداد لفتح ثقب مثلهما ليخرج إلى البئر! دلفت لومينا بسرعة يتبعها مراد وتولاي ثم ميرون فخرجوا إلى أرض تسبح فوق بحر الثقوب الزمنية، انتصبت فيها بئر كبيرة للغاية مظلمة لا يوجد بها مياه ولكن هناك درجات استقرت على جزء من جدارها تصل إلى قاعها!

فُتح ثقب آخر في الهواء خرج منه الملثم وهو يراقب لومينا وينظر إلى عينيها المرتعبتين وهي تسمع أجراس السماء تُقرع بعنف. وقف تولاي شاهزًا سيفه وتوهج جسدي ميرون ومراد ثم انطلقت منهم الكرات النارية في الهواء نحو الملثم ولكنه أعادها إليهم فدفعت بالرجال الثلاث إلى ما خلف البئر! سقط الرجال على ظهورهم

ففقدوا الوعي على الفور تاركين لومينا وحدها! وقفت تنظر بخوف إلى الملمم الذي نظر إلى السماء ثم قال لها وهو يقف أمامها:

- أنتِ تسمعين الأجراس، أليس كذلك؟

تفاجأت لومينا بأنه يسمع أجراس السماء مثلها! بسرعة شديدة أماطت اللثام عن وجهه ولكنه لم يمانع! تراجعت لومينا بضعة خطوات إلى الخلف وهي تنظر إلى الرجل الذي وقف أمامها غير مكترث لأي شيء!

تمت:

- أنت، أنت...

قال لها بعصبية:

- ألا يعجبك ما تريئه؟

تراجعت إلى الخلف نحو البئر وقلبها يخفق مضطربًا من المشهد أمامها! لم يكن وجهه مألوفًا فهي أول مرة تراه فيها، ولكن ذهولها كان بسبب فكه الذي تساقط اللحم عنه فلم يعد هناك سوى العظام! شاهدته لومينا بوجه ممتعض مما أثار غيظه لذا صاح في وجهها:

- هل ما تريئه يثير اشمئزازك إلى هذه الدرجة؟

انتفض جسده من شدة الغضب وهو ينظر إليها، قالت بصوت مبحوح:

- أنت لا تثير اشمئزازي أيها النكرومانسرا!

عبس وجهه وهو ينظر إليها باستغراب، صاح بغضبٍ قائلاً:

- هل تظنين أنني النكرومانسر؟ أتظنين أنني ذلك اللعين الذي تسبب في عنائي؟

صمت لثوانٍ معدودات ثم أضاف وعروقه المنتفخة في عنقه بارزة:

- لقد تركت كيرال عندما تزوج وأنجب ثم تنقلت بين الأزمنة، لم يُسمح لي بالبقاء في الزمن الذي أسافر إليه سوى عامٍ واحدٍ فقط وإلا يحدث كما ترين أمامك! عانث في مرةٍ وواجهت لعنة السفر عبر الزمن التي لعني بها جدي فمكثت في زمنٍ أحببت فيه فتاة وكنا على وشك الزواج وقتها. مضى العام وجاء وقت السفر ولكنني لم أفعل فبدأ لحم فكي يتساقط أمامها وأنا أقف على منصة الزواج، أمام مرئي منهم جميعًا تحولت إلى مسخٍ! بمجرد أن سافرت إلى زمنٍ آخر توقفت لحم فكي عن التساقط! لم أقع في الحب بعدها، لم تكن لي عائلة، لم يكن لي أشقاء، لم يكن لي أطفال! كل هذا بسبب النكرومانسر الحقيير الذي طارد ليونيد واستولى على قلادته فلم يسمح لي بالتحكم في عرش الزمن الذي اكتشفت أنه الدواء لهذه اللعنة! نعم، أخبرني ليونيد في حلمٍ أنني إن وقفت أمام ضوء نجوم عرش الزمن سأشفى من تلك اللعنة دون الحاجة إلى تغيير الماضي أو أي زمنٍ آخر!

تاهت الحروف في حلق لومينا فلم تعرف ماذا تقول. إن لم يكن هو النكرومانسر، فمن يكون إذن؟ عبر اسم ميرون في عقلها فأغمضت عينيها وهي تضغط على كل كلمةٍ تخرج من فمها وهي تقول:

- إنه ميرون!

لم يفهم لايدن ما تقوله، سألها:

- ماذا؟

قالت ودموع الغضب تتساقط من مقلتيها:

- إنه ميرون! إنه النكرومانسر.

أفزعتها الكرة النارية التي مرت بجانبها متجهةً إلى لايدن على حين غرة منه لتدفعه إلى الخلف عدة أمتار! كان ميرون يقف خلفها وهو يقول:

- لومينا، ماذا تنتظرين؟ هيا بنا لنذهب إلى عرش الزمن!

التفتت وهي تنظر إليه بعينين باكيتين ثم قالت:

- أنا لست غبية يا ميرون، أم يجب أن أقول، أيها النكرومانسر؟

امتعض وجهه وهو ينظر إليها، قال:

- ما الذي...

لم يكمل جملته لأن لايدن قذف بكرة نارية دفعت بميرون إلى الخلف فسقط على ظهره وهو يتأوه. عاد مراد إلى وعيه فلاحظ أن تولاي لم يستيقظ من إغماءته فراح يهز كتفه حتى فتح عينيه.

اقترب لايدن من لومينا ثم قال:

- الأمر بسيط للغاية، ستنزلين معي إلى قاع هذه البئر لتضعي النجوم في عرش الزمن ومن ثم سأطلق سراحك!

أطلق مراد كرة نارية نحو لايدن ولكنه تفادها وقبل أن يمسه

بلومينا ابتعدت عنه على الفور ولكن عرجة قدمها تسببت في سقوطها على الأرض. توهج جسد مراد وهو يندفع نحو لايدن فتوهج جسد الأخير بالنيران مثله، تصادم الاثنان وانطلقا يضربان بعضهما البعض ولكن مراد صاح قائلاً:

- اذهبا إلى عرش الزمن الآن!

أمسك تولاي بيد لومينا ثم ساعدها على النهوض فوقفت وهي تنظر إلى ميرون الذي راقبها مرتبكاً! قالت لومينا:

- إنه النكرومانسريا تولاي!

نظر تولاي إلى ميرون بتجهم ولكنه وجه سيفه نحوه قائلاً وهو يخفي لومينا خلف ظهره:

- أقسم لك إن اقتربت منها سأقتلك!

كاد ميرون يفتح فمه ليقول شيئاً ما ولكن الكرة النارية التي اندفعت نحوه منعتة لثسقطه ثانية على الأرض! انتهز تولاي الفرصة فأمسك بيد لومينا ليهبطا الدرج في البئر. ما إن وطأت قدمها القاع حتى اتسعت عيناها عندما نظرت إلى المكان المختبئ بالأسفل! إنه مكان واسع للغاية كانت جدرانه سوداء مطعمة ببلورات ماسية لامعة أضاءت المكان إلى حد ما!

انتصبت الصخور الصغيرة في كل مكان على الأرض الحجرية التي يقفان عليها يتخللها حفر مضيئة باللون الأزرق المختلط بالأبيض في مشهد بديع! لاحظت لومينا أن الشعاع يشير إلى تمثالين لرجلين واقفين في نهاية المكان يمسان بنجمتين في يدهما يحرسان

مدخلًا بينهما! تعالت أصوات أجراس السماء فانتفضت لومينا في مكانها وشعرت بغصة في قلبها، قالت:

- تلك الأجراس تحذرنني من شيء ما! ولكن لماذا يسمعها لايدن؟
لماذا لا يسمعها أحد سوانا؟

لم يرد تولاي لأنه لا يملك إجابة لسؤالها! حاولت لومينا أن تتجاهل أجراس السماء وسارت تخطو أولى خطواتها نحو المدخل بين التمثالين. دلفت إليه وحدها فوقعت عينها على غرفة واسعة نسبيًا أضأت جدرانها أحجار الزمرد الصغيرة التي يشع منها اللون الأخضر في مشهد بديع، وانتصب في منتصفها جسم معدني متوهج كبير الحجم لونه أزرق فاتح كلون السماء، يشبه الماسة كثيرًا، استقرت ثلاث فتحات دائرية في الواجهة الأمامية له! نظرت لومينا إلى النجوم المتوهجة بداخل القلادة حول عنقها فاستمعت إلى ذلك الأنين الذي صدر منها من قبل فأجفلت ولكنها فتحتها على الرغم من كل شيء!

عاد ذلك الشعور باقتراب نهايتها يخالج قلبها وعقلها فراح يهلك فيهما هلكًا! ما أن فتحت القلادات حتى انطلقت الثلاث نجومات في الهواء ثم استقرت في الفتحات الثلاث بعرش الزمن! ازداد توهج النجوم بداخل العرش، الذي لم يكن كالعروش التي يجلس عليها الملوك، بل هو أغرب من الخيال! إنها لا تعرف ما هي الخطوة التالية لذا وقفت تشاهد الضوء أمامها بانبهار يشوبه الوجل من المشهد المهيّب!

استمعت إلى خطوات تولاي المضطربة فاستدارت تنظر إليه

قائلة:

- إن كان هذا هو عرش الزمن، فلماذا لا يشبه العروش التي يجلس عليها الملوك في عالمنا؟

نظر إليها تولاي بوجه خالٍ من أي تعبير ثم قال:

- أشكرك يا لومينا، أنا ممتن لكل ما فعلتيه، والآن لتنعمي بنوم هاديء.

قبل أن تفتح فمها لتستفسر عما قصده بكلامه كور قبضة يده اليمنى ثم لكم وجهها بقوة ففقدت الوعي على الفور! سقطت على الأرض في حين سار تولاي إلى عرش الزمن الغريب وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة مرعبة. وقف أمام الجسم يتحسس المعدن الأملس وهو ينظر إلى الضوء المنبعث منه في مشهد مهيب. بمجرد أن رفع يده من على العرش انطلق ضوء النجوم إلى قلبه ليخترقه فتوهج جسده وانبعثت منه النيران ثم خفت شيئًا فشيئًا حتى عاد كما كان.

قال مبتسمًا وهو ينظر إلى لومينا:

- لقد أطلق عليه العرش مجازًا يا عزيزتي. إن ساحر النور المحظوظ الذي تخترق نيران عرش الزمن قلبه يصبح كالملوك الجالسين على عروشهم، بل يصبح سيد الكون بأكمله!

نور وظلام

هل ضربني تولاي ففقدت الوعي؟ لماذا ضربني؟! لاحظت أنني أقف أمام قلعة سوداء جدرانها تقف في مشهد مهيب أعلى تل في مكان مظلم يجري نهر صغير أسفله! سرث إلى القلعة وأنا أراقب السماء من فوق! لماذا تبدو غريبة عن أي سماء رأيته من قبل؟ هناك تعرجات في السماء جعلتها منحنية في الكثير من الأماكن مما أثار ذهولي حقًا! سمعت أجراس السماء ثقرع مجددًا فازدادت نبضات قلبي هلعًا وارتعدت أوصالي وأنا أسير إلى تلك القلعة التي تشبه الوحش المختبئ في الظلام!

وقفت أمام بوابة القلعة المخيفة المصنوعة من الحديد المطعم بنقوش خفرت فيها لجماجم تخرج منها الثعابين! اقتربت من البوابة ثم ألصقت أذني اليسرى بها عسى أن أستمع إلى أي شيء ولكنني تفاجأت عندما فُتحت ببطء على مصراعيها! تراجعث إلى الخلف قليلًا وأنا أشاهدها تُفتح هكذا وصريها يبت الهلع في نفسي! انتشر الظلام الدامس بداخلها فلم أتمكن من رؤية أي شيء ولكنني سرث على الرغم من هذا! تقدمت إلى الأمام وقلبي يخفق بشدة لا أسمع شيئًا سوى أصوات خطواتي المضطربة وأنفاسي المتلاحقة!

اشتعلت المشاعل على جانبي القلعة فجأة فانتشر الضوء في المكان مبددًا الظلام المفزع! وقفت في مكان يشبه القاعة الملكية في مملكة الشمال، فهو كالبهو ولكن لا يوجد به أثاث سوى عرش أسود اللون جلس عليه رجل يرتدي عباءة سوداء تغطي رأسه فلم تُظهر ملامحه تركع أمامه فتاة مسلسلة كما رأيته في الحلم! رأيت

على جانب العرش قناع الأيل نفسه الذي ارتداه حارس الغابة
الصامتة فقطبت جبيني استغرابًا!

اقتربت منه أكثر والخوف يزلزل روحي ولكنني توقفت عندما رفع
رأسه وهو يقول بصوت أجش:

- انظري إلى المخلصة! انظري لتعرفي أنه لا سبيل إلى الخلاص!

رفعت الفتاة الراكعة على الأرض رأسها وهي تنظر لي بعينين
مجوفتين! لم يكن هناك عينان بل فراغًا أسود استقر في جمجمتها.
تراجعت بضعة خطوات إلى الخلف من هول الصدمة عندما أيقنت
أنها أدلين، قالت وهي تبكي بلا دموع:

- أين لايدن؟ أين طفلي الصغير؟

لم يطاوعني صوتي في البداية على الخروج من حلقي ولكنني
حاولت مرارًا أن أتحدث حتى تمكنت من إخراجه قائلةً بصوت
مبحوح:

- هل بإمكانكما رؤيتي؟

قال الرجل الجالس:

- نراك، نسمعك، نشعر بك، نصطحبك إلى الوجهة التي رغبت بها!
نعترف لك بأسرارنا، نخبرك بأننا نهيم بك عشقًا!

إن ما حدث تاليًا جعلني أفقد النطق تمامًا! أزاح الرجل غطاء رأس
عباءته ليعتريني الدهول وأنا أنظر إلى وجهه مألوف للغاية! نظرت
إلى وجهه ظننته بريئًا من قبل! أغمضت عيني وأنا أحاول أن أهدئ

من روعي. قلت بعد عناء بصوتٍ مخنوق:

- أكين!

سألته بصوتٍ مبحوح:

- كيف؟

نظر لي بعينيه اللامعتين ثم قال:

- دعيني أخبرك بكل شيء فأنت تستحقين معرفة الحقيقة يا لومينا!

كانت أدلين تثن وهي راكعة على الأرض أمام العرش الكبير الذي كان يجلس عليه! تقدم مني ثم رفع يده اليمنى لتتكون سحابة من الغبار الأسود أمام وجهه فنظرت إليه بذهول.. إنه تولاي! رفع يده مرة أخرى فتبدد الغبار وتلاشى فعاد وجه أكين ينظر لي ثانية!

وقف أمامي ثم قال:

- عندما تركت كيرال توجهت إلى الملك وزوجته فرأيتهما تحولا إلى سحرة نور! بعد كل شيء يا لومينا، بعد كل ما اقترفاه في حقي وصل إليهم النور وحولهم إلى سحرة! يا للسخرية! لم أحتمل فعدت إلى كيرال مرة أخرى عندما أدركت أنني لن أتمكن من قتلها؛ فنييران سحرة النور لا تؤثر في أجسادهم، هل تتخيلين الصورة الكاملة هنا يا لومينا؟ أشخاص أثرياء جابرة يعيشون في قصور كافأهم الزمن بأن منحهم قوى خارقة على قواهم! ما هذا الظلم؟ ما هذا العبث؟ أين العدل؟

نطق بالكلمة الأخيرة وهو يصيح في وجهي فانتفضت في مكاني
فزغًا! أضاف بعد أن هدا قليلًا:

- عدت إلى كيرال ثم أخبرته ثانية أنني أرغب في الوصول إلى
عرش الزمن، رفض بالطبع فسرقت كتاب السحر الأسود، ظن
الغبي أنني سأسعى إلى كتاب السحر الأبيض لأنه الأقوى، ولكنه
كان مخطئًا! لم أكن أسعى لسلك دروب شريفة في مسعاي، سعيت
لانتقام، الانتقام من الملك وزوجته، الانتقام من أنمار الذي وشى
بروبين، الانتقام من ليونيد، وأخيرًا، الانتقام من الزمن!

أشعر أنني على وشك أن أفقد الوعي، ابتلعت ريقى وأنا أنتظره
ليكمل، أردف:

- اتخذت الغابة الصامتة مسكنًا لي، عشت فيها أمارس السحر
الأسود لإحياء عائلتي من الموت فأطلقوا علي اسم النكرومانسر
أو مستحضر أرواح الموتى ولكنني فشلت فيما فعلت! فشلت حتى
عاقبني الزمن مرة أخرى! حول جسدي إلى وعاء بالي من أغصان
الأشجار وعظام الحيوانات! نعم يا لومينا، حارس الغابة الصامتة
الذي رأيته كان أنا! وكنت أنا من أمسك بجسد أنس ثم مزقته إربًا
إربًا أمامك!

سألته بصوت مرتعش والدموع تتساقط من مقلتي:

- لماذا؟

اقترب مني أكثر ثم قال:

- أنت من بين الجميع، أنت الوحيدة التي ظننها النكرومانسر أنها

ستفهم ولكنك حاربتنا بكل ما أوتيت من قوة! عندما فتحت القلادة العام الماضي وأغلقت البوابة إلى مملكة الجحيم التي يتعفن فيها جسده الملعون اكتشف النكرومانسر أنه عاد إلى البداية مرة أخرى! سجنتم أنس في متاهة الزمن ومات كنان في ذلك الممر الأحمر! بمن سيستعين النكرومانسر حينها؟ ولكنه فكر، فكر كثيرًا طوال العام الماضي، كيف السبيل إلى النجاة؟ حتى أدرك، أدرك أنه إن رغب في القيام بفعل شيء ما يجب أن يفعله بنفسه، أليس كذلك؟

صمت قليلًا وهو يراقب تعبيرات وجهي ثم قال:

- تواصل النكرومانسر معي عندما وقفت على شاطئ البحيرة، أخبرني بكل ما سيحدث لنا في المستقبل! شعرت بالذعر لأن مصيري سيكون التعفن في الجحيم، ولكن ما أثار هلعي حقًا هو فكرة حبسي إلى الأبد في ذلك المكان المستعر بالنيران بمفردي ولا يوجد معي أحد من عائلتي! أخبرك تولاي أنه يخشى الوحدة، أخبرك أنه يخشى الموت وحيدًا، أليس كذلك؟ لقد كنت أنا من أتحدث يا لومينا وليس تولاي! فكما ترين، يقرع تولاي أجراس السماء الآن في "بريسكالا".

صمت قليلًا وهو ينظر خلفي ثم استطرد:

- عندما غادر أكين مملكة ليموريا اصطحب معه مجموعة من أهل القرية الذين نجوا من الانهيار العظيم! ذهبوا جميعًا إلى الغابة الصامتة ثم عاشوا على أطرافها وأطلقوا على تلك المنطقة "مملكة نييولا". مارسوا السحر الأسود وكأنه دين جديد! اتخذوه إلهًا عبدوه حق عبادته! عاشوا في مستنقع من الدماء حتى ناداني النكرومانسر ليخبرني أنه أوكل لي مهمة! أفزعني الأمر في البداية، لأنه طلب مني

أن أسافر إلى المستقبل، لا يمكن أن تتواجد نسختين من الشخص نفسه في زمن واحد! أتعلمين ما الذي يحدث عندما تتواجد نسختك التي تعيش في الحاضر مع تلك التي تعيش في الماضي؟

قالت أدلين:

- الانشقاق السماوي! لن يحتمل الزمن العبث به!

سألته باستغراب:

- ولكن ميرون قال أن الانشقاق السماوي يحدث عندما تُفتح البوابة إلى جسر الموتى فقط!

قال أكين مبتسمًا:

- لم يكن ميرون سوى شخصٍ ساذجٍ لعب دور مهم في خدعة نسجت خيوطها في خيالي!

سكت قليلاً مراقبًا دموعي المنهمرة على وجنتي، ثم أردف:

- أمرني النكرومانسر بالسفر عبر الزمن بالنيابة عنه لفتح البوابة الزمنية لجسر الموتى للاستيلاء على العرش، ولكنني لست من سلالة حُماته بل لايدن واحد منهم؛ لذا فكرت كثيرًا كيف أنفذ خطتي المحكمة التي ستنجح أخيرًا على الرغم من فشل مئيلاتها في الماضي! تركت الغابة الصامتة وسافرت إلى مملكة بيورين لأفتح البوابة الزمنية ولكنني تفاجأت بوحوش النارِث تحاول منعي من الدخول إليها! عاودت الأمر ثانيةً ولكنني فشلت، تواصلت مع النكرومانسر ثانيةً من خلال الممر الأحمر في القصر الملكي بمملكة الشمال وأخبرته أنني فشلت فأخبرني أنني لا بد أن أعثر عليك

لاستخدام القلادة! لم أنس حينها أن أترك مفتاح غرفة مراد أمام شقيقته لتعثر على الخطاب الذي أرسلته إليه حتى تحاول قتله!
أضاف مبتسمًا:

- على الرغم من أن النكرومانسر علم أن قلادتك ستجعلك ترين الحقيقة لأنها ستجعل روحك تسافر إلى الأماكن التي ستروي لك حكاية الشقيقين فإنه لم يحاول منعك من خوض هذه المغامرة! هل تعرفين شيئًا عن انبعاث الروح يا لومينا؟ كانت روحك تغادر جسدك عندما تنامين لترين ما حدث لأدلين ولأكين بالأخص، فانبعاث الروح يتبع الانشقاق السماوي ولهذا السبب راحت روحك تغادر جسدك كلما نمت أو، كنت على شفا حفرة من الموت!

استدار ثم توجه إلى أدلين وأمسك بالسلسلة ليسحبها إليه فتختنق وتأن وهو ينظر إليها بحقد غير مبرر على الإطلاق! قال وهو يضغط على كل كلمة تخرج من فمه:

- هذه العاهرة من حُماة عرش الزمن الذين يملكون قوةً يتميزون بها عن بقية سحرة النور وهي انبعاث الروح، كما أنهم يحمون النجوم ويتحدثون من خلالها إلى بعضهم البعض! لم تكن تخاطبك يا لومينا بل كانت تخاطب بريندا! تواصلت مع شقيقتها عن طريق القلادة بأمرٍ مني حتى تساعدك طوال الرحلة قبل أن أسلمها في نهاية المطاف إلى حارس الغابة!

تفاجأت بما يقول، سألته بوجهٍ ممتعض:

- وما علاقتي ببريندا؟

أرعى السلسلة عن عنق أدلين التي كادت تُختنق بسبب جذبه لها
ثم تقدم مني ثانية وهو يقول:

- إنها نجمة بريندا، أو بالأحرى، روحها! في العام الماضي، اختارتك
القلادة لحمايتها لأنها علمت ما سيحدث في العام التالي فلا تنسى
أن البوابة إلى العوالم الأخرى تُفتح كل عام وفي الوقت نفسه، فكان
عليها استغلال كل هذا فاخترتك روح بريندا كوعاءٍ تنتقل فيه في
المستقبل!

- هل هي من كانت ترشدني في القصر الأسود عندما محت كائنات
الظل ذاكرتي؟ هل تعيش روحها بداخل القلادة؟
استدار وهو يقول مولياً ظهره لي:

- تسبب فتحي لتلك البوابة الزمنية في انشقاق السماء فأصبح
الماضي والحاضر بل والمستقبل أيضاً يسرون جميعاً في الاتجاه
نفسه بمحاذاة بعضهم البعض! لم تكن روحك تسافر عبر الزمن إلى
الماضي بل عبر المكان في الحاضر!

استدار ليراقب ملامح وجهي المذهولة ثم قال بصرامة:

- أترين يا لومينا؟ لعبت دوراً مهماً للغاية في هذه اللعبة!
استخدمتك بريندا كوعاءٍ تنتقل فيه إلى الماضي لتريك ما حدث
فتعرفين الحقيقة، عندما فتحت القلادة اختارتك حينها للحفاظ
عليها فأصبحت حاميةً لعرش الزمن مثلها!

اتسعت عيني من فرط الذهول وكنت على وشك أن أقول شيئاً ما
ولكنه قال قبل أن أفتح فمي:

- من قال أن حامي عرش الزمن لا بد أن يكون من سحرة النور؟
يكفيك فتح القلادة والهمس بداخلها لمساعدتك كما فعلت بالعام
الماضي، حينها فقط سيذهب جزء من روحك إلى النجمة وستוכל
مهمة حماية العرش إليك في المقابل، ولهذا السبب رفضت القلادة
أن تذهب لأحد سواك فكان عليّ أن أصطحبك في رحلة عبر الزمن
إلى أماكن تواجد القلادتين الآخرين! كانت واحدة منهما معي، ولكن
لم يكن من المنطقي أن أظهر إليك في جسد فارس مقدام هائم في
سماء عشقك ومعني القلادة، أليس كذلك؟ كان لزامًا عليّ أن أترك
القلادة في الغابة الصامتة مع الحارس الذي انتقم منه الزمن وحوله
إلى وحش يحلق فيها! والأغرب من هذا كله أنني علمت أن القلادة
الأخرى التي امتلكها كيرال ضاعت أسفل المياه عندما أغرق الساحر
الأسود ليموريا، ولكنني لم أخبركم أبدًا! تصنعت الغباء والجهل بكل
تلك الأمور لأقترب منك وأجعلك تشعرين بالشفقة عليّ.

صمت ثم أكمل:

- هل تتذكرين القسم الذي أقسمه أنس؟ أنا من أخبرت ميرون به
عندما زرته في الحلم وكأنني كيرال! نعم يا عزيزتي، أنا من أقنعت
ميرون بأن يعثر عليك، وأنا من أخبرته بتلك المعلومات التي لم يكن
يعرفها من قبل.

صمت قليلًا وهو يراقب دموعي، أضاف:

- هل تعلمين أن أنس كان مصدر تهديد لي؟ إن كان اقترب من
عرش الزمن ورآني أستخدمه لحاربني! كان يجب عليّ أن أتخلص
من جميع مصادر التهديد واحدًا تلو الآخر! اتفقت مع حارس الغابة

الصامته بأن يقتل أنس بحجة أن هناك روحًا لا يجب أن تغادرا في الواقع، كانت هذه مزحة سخيفة أخبرت بها ميرون عندما زرته في منامه!

ابتسم وهو ينظر إلى دموعي الغزيرة التي لن تجف أبدًا، كنت أنتحب كلما تحدث، شعرت أنه يشعر بالغبطة لمجرد رؤية دموعي هكذا! استطرد:

- أتعرفين أن أنس علم أنه سيموت في الغابة؟ نعم، لقد بدأ يشك في أمري ولا أدري ما الذي فضحني، ولكنني رأيت نظراته لي يا لومينا! لم تكن نظرات بريئة فكان يجب علي أن أتخلص منه على الفور! زرت ميرون في هيئة كيرال وأقنعتة في المنام بأنه عليه أن يضحى بروح في الغابة، بل وأمرته أن يخبر تولاي وأنس بهذا الأمر وألا يخبرك أنت ومراد فأنتما مهمان للغاية! عندما علم أنس بهذا الأمر، ظن المسكين أنك تحبين تولاي فقد رآكما معًا! أخبره ميرون أن مراد مهم في هذه الرحلة وأنه لا يوجد أحد ليضحى بروحه سواه! تطوع المسكين لكي يفني روحه من أجلك! أتعلمين؟ إنه شخص شجاع حقًا! هل ستصدقينني إن أخبرتك أنني تمنيت لو كان شقيقي؟

لماذا لا أستيقظ من هذا الكابوس؟ انهمرت الدموع على وجنتي سيولًا لا تجف ولا تتوقف، كانت كلماته تعتصر قلبي النازف فتساقط الدماء في مستنقع من الألم! طوال هذه المدة كان يتحاشى الإجابة عن السؤال الأهم، قلت وأنا أمسح دموعي:

- لقد فهمت الآن كل شيء، أشكرك على توضيحك لي، ولكن يظل

هناك سؤال مهم للغاية لم أعرف إجابته حتى الآن!

اقترب مني للغاية وهو ينظر في عيني قائلاً:

- وما هو ذلك السؤال؟

تحاشيت النظر في عينيه وأنا أقول:

- كيف عرفت أن بيرى ستختار تولاي للسفر معنا عبر الزمن؟

أجابني مبتسماً:

- يا لسخافتي! لقد تغافلت عن ذكر تفاصيل قصة تولاي. حسناً، لتعتبري أن من كان يتعامل معك طوال الوقت هو تولاي الحقيقي، حتى ذلك اليوم الذي طلب فيه منك أن تذهبي معهم للاحتفال بيوم الموتى! أمسكت به عندما عاد إلى القرية بعد منتصف الليل ثم دفعت به إلى المادة المظلمة كما فعلت مع كيرال لأحبسهما في بريسكال! لقد كنت أنا الملمح الذي سجنهما، ولم يكن لايدن كما أوهمتكم!

سكت قليلاً وهو يراقب دهشتي باستمتاع. استطرد:

- لم أكن بحاجة إلى قتل تولاي وشرب دماؤه حتى أتحوّل إلى شكله كما فعل أنس من قبل! يكفي أن أستخدم غبار الموتى لأسحر أعين من ينظر إليّ فيراني تولاي على الرغم من أن جسدي ووجهي لم يتغيرا في المقام الأول! احتاج الأمر مني القليل من طقوس استحضر الأرواح التي أنا بارع فيها بالفعل! أترين يا لومينا؟ كنت بحاجة ماسة لأن أصطحبكم في هذه الرحلة متخفياً في هيئة رجل آخر حتى أحملك من كل شيء. كانت حمايتك هي شغلي الشاغل! ولكي أجيبك عن سؤالك، فإن عصا الظلام التي سرقتها مع كتاب

السحر الأسود من كيرال هي التي أجبرت بيرى على اختيار تولاي.
لقد زرتها يا لومينا بل وأجبرتها على نسيان هذه المقابلة عندما أغادر
غرفتها.

ساد الصمت بيننا لبرهة ولكنني قلت عندما تذكرت كلام مراد عن
أجراس السماء:

- إذن، لقد كان تولاي هو من يقرع تلك الأجراس طوال الوقت. يا
إلهي! الآن فهمت لماذا أسمعها أنا ولايدن!

- نعم، تولى تولاي مهمة قرع أجراس السماء وهو يثرثر مع كيرال
الذي أخبره ألا ييأس وألا يتوقف عن قرعها حتى تأتي حامية عرش
الزمن، لقد أدرك كيرال الأمر يا لومينا! كان على وشك أن يخبر مراد
بكل شيء، ولكنني نفيت روحه إلى بريسكالا وأنا أرتدي اللثام في
المقابر حينها!

صمت قليلاً ثم قال مبتسماً:

- أنت ولايدن فقط من تسمعان تلك الأجراس لأنها صُنعت خصيصاً
ليقرعها السجين فيسمعها حُماة عرش الزمن! ولهذا السبب كان لايدن
يسمعها ولكنه لم يمتثل للنداء! وبالمناسبة، إن لم ينقذ أحدهم تولاي،
ستفنى روحه كما حدث لروح كيرال!

سألته بوجه مكفهر:

- من الذي كتب كتاب عين الإعصار؟

أجابني مبتسماً:

- كتبته أدلين عندما كانت في سليستيا لأنها رأت المستقبل وعلمت أنها ستفترق عن بريندا! سلمت الكتاب إلى صديقة لها فظل معها لسنوات قبل أن يهبطوا جميعًا إلى مملكة ليموريا. حينما أغرقها الساحر الأسود أسفل البحر غادرت الصديقة مع كيرال إلى مملكة الشمال، فظل الكتاب معها حتى مذبحه التطهير التي تم تعذيب سحرة النور فيها ثم إلقاء أجسادهم وكل ما يمتلكونه من كتب وأشياء أخرى في مستنقع الأراكن!

سألته بضيق:

- ولكن لم كل هذا العناء؟ كان بإمكانك أن تسرق القلادة التي مع بريندا وتلك التي مع كيرال وتذهب إلى عرش الزمن مع أدلين لتنتهي المهمة بالفعل، ولكنك اخترت الطريق الأصعب وهو السفر عبر الزمن للبحث عن القلادتين، ولكنني لا أعلم السبب في هذا!

ابتسم قائلاً:

- أنت لا تفهمين.. لقد انتزعت قلادة ليونيد بعد موته، وأمسكت بأدلين ولكنني لم أتمكن من العثور على قلادتها التي أهدتها إلى كيرال فبحثت عن بريندا ولكنني لم أعثر عليها قط، ولكن لم يكن هذا هو العائق الوحيد، فبسبب إغراق الساحر الأسود لليموريا ونفي كيرال للنكرومانسر أصبحت مهمة البحث مستحيلة، فمن كان سيبحث من الأساس؟ لم يكن النكرومانسر يمتلك الوقت الكافي للبحث عن القلادتين ولهذا السبب اضطر للاستعانة بنسخته التي تعيش في الماضي، أي أنا، أكين، حتى أنجز له المهمة التي فشل في تحقيقها، ولكنني وجب علي أن أفعلها في المستقبل!

ساد الصمت قليلاً ولكنه قطعه عندما سألني بصراحة:

- هل تحكم أكين في عرش الزمن؟

سأله بوجه مكفهر:

- ما الذي تريده الآن؟

ابتسم ثم أجابني:

- أليست الإجابة واضحة؟ أريد عرش الزمن لاستعادة عائلتي.

- ولكنك مخطئ كعادتك يا أكين!

رفع حاجبيه اعتراضاً ثم سألني:

- لماذا؟

قلت على الفور:

- أنت مخطئ يا أكين، على الرغم من تحكم تلك النسخة منك في الحاضر في العرش فإنك لن تتمكن أبداً من السيطرة على تلك القوى لأنني من حُماة العرش، ووحدي من سآمر حارس الزمن بالانصياع إلى أوامرك أو لا!

أقسم أنني رأيت الشر يتطاير من عينيه! وقف أمامي ينظر في عيني وهو على وشك أن يفجر رأسي! تعالت ضحكات أدلين من الخلف ثم قالت:

- مفاجأة يا أكين! مفاجأة غير سارة، أليس كذلك؟ لم يخبرك أحد من قبل أن عرش الزمن وحده غير مفيد أبداً، فلا بد من سيطرة

حُماته على الحارس!

قال وهو يبتسم بحمايس:

- أنا أعرف كل شيء!

قالت أدلين وابتسامة الانتصار لم تفارق وجهها:

- وهل كنت تعرف يا عزيزي أن حارس الزمن لا يمكنك رؤيته إلا عندما تفتح الثقب الزمني لتغيير الماضي؟ هذا يعني أن لومينا ستضطر لمرافقتك إلى الثقب، بل طوال الرحلة إلى الماضي، فأنا كما تعلم لم أعد من سحرة النور وبالتالي لن أتحكم في حارس الزمن!

رأيت صدره يعلو ويهبط من فرط الغضب في حين ارتعشت يداه من العصبية وكأنه على وشك قتلنا ولكنه تراجع عن تلك الفكرة! زفر بقوة ثم قال وهو يضغط على كل حرف يخرج من ثغره موجهًا كلامه لي:

- إذن، من الآن فصاعدًا لن تفارقيني!

تسائلت بذهول:

- ماذا؟ لا...

لم أكمل جملي لأنه دفع بي إلى الخلف فطرت في الهواء عدة أمتار وأنا أصرخ ثم فتحت عيني لأجد المفاجأة! وقفت في تلك الغرفة التي بها عرش الزمن وتولاي يقف بجانبه ينظر لي. نظرت إلى يديّ فرأيتهما مقيدتان بحزم ضوئية في حين استند ظهري إلى الحائط فتفاجأت أنني أقف كالمصلوبين!

قال تولاي:

- لم يكن من المفترض أن تستيقظي! لماذا دفع بروحك إلى الحاضر مرة أخرى؟

لم أرد عليه لذا قال:

- ستلتزمين الصمت الآن؟ حسنًا!

تقدم مني ثم قال:

- أخبرني أكين أنك من حُماة عرش الزمن وأنتِ ستتحكمين فيه من خلال حارس الزمن! ولكن، من هو حارس الزمن؟

نظرت إليه بازدراء وأنا أقول:

- لا داعي لأن تختبئ خلف ذلك الوجه، بإمكانك أن تُظهر وجهك القبيح الآن!

ابتسم وهو ينظر إليّ نظرات تحمل الوعيد بين طياتها. أوشك على قول شيء ما ولكننا سمعنا صوتًا قادمًا من خارج الغرفة لذا أمسك بي على الفور فتحررت يداي ولكنه أحاط عنقي بذراعه الأيمن. رأيت يده اليسرى تتوهج استعدادًا لمن سيأتي! دخل مراد الغرفة ولكنه توقف عندما شاهدنا في ذلك الوضع، أظن أن المفاجأة عقدت لسانه لأنه لم يتحدث بل ظل ينظر إلينا باستغراب ولكنني أرحته عندما قلت:

- إنه النكرومانسرا!

تمتم مراد:

- ماذا؟

أوشك أكين على فعل شيء ما ولكنه توقف عندما استمعنا جميعًا إلى ذلك الصوت المفزع القادم من الأعلى! بدأت الغرفة تهتز من حولنا وكأنها على وشك الانهيار، نظرتُ إلى مراد وأنا أصرخ باسمه عندما فتح أكين العقب ثم دخل فيه على الفور وهو يسحبني معه!

أمواج عاتية

خرج أكين ولومينا إلى جسر الموتى ثم وقفا يراقبان ما يحدث خارج البوابة الزمنية التي تفصل البحر الأزرق عن جزيرة روسالكا! نظر الاثنان بذهولٍ إلى السماء خارج البوابة التي أمطرت ثلجاً أسود في المياه! فُتح ثقب خلفهم فإذ بمراد وميرون يخرجان معاً مما أجبر أكين على الإمساك بلومينا والقفز في تلك البوابة إلى البحر.

غاصت لومينا في الأعماق الباردة وهي تكافح للصعود إلى السطح ولكن أكين أمسك بها على الفور ثم فتح ثقباً إلى الميناء الملكي بمملكة بيورين. خرجا من الثقب ولومينا تسعل وهي تبصق المياه من فمها محاولةً أن تستنشق أكبر قدرٍ من الهواء وهي تحاول الوقوف.

نظر أكين إلى السماء التي تلونت باللون الأحمر مع الأسود في مشهدٍ مفرعٍ وهي تمطر زخات من الثلج الأسود. لاحظت لومينا أن الانشقاق السماوي اتسع للغاية ليكشف عما بداخله! أصبحت الكتلة الظلامية بداخل الانشقاق واضحة للغاية وكأنها وحش يتربص بهم! استمعت لومينا إلى خطواتٍ قادمةٍ من خلفها فاستدارت لتجد لايدن رافعاً يده اليمنى في الهواء وهو يتمتم بكلماتٍ غريبةٍ وبلغةٍ غريبةٍ لم تفهمها فحدث أمر غريب للغاية!

خرجت الكتلة الظلامية من الانشقاق ثم توجهت نحو يد لايدن وكأنه من يتحكم فيها. اتسعت عينا أكين وهو يراقب ما يحدث فصاح قائلاً:

- لايدن! سأساعدك في التخلص من اللعنة! اجعل حارس الزمن
ينصاع لأوامري وسنحقق معًا ما تتمناه!

لم يستمع لايدن إلى كلامه بل أطلق الكتلة الظلامية التي اتخذت
شكل الأفعى المكشرة عن أنيابها وهي تتجه نحو أكين لتعصر
جسده ولكن نورًا قويًا للغاية انطلق منه ليبددها! أطلق لايدن النيران
التي توجهت إلى أكين فدفعت به إلى الخلف مسافة بعيدة ليسقط
في البحر! جرت لومينا تختبئ خلف أحد الأكواخ التي لم يحدث لها
ما حدث للبقية ثم جلست على الأرض لتلتقط أنفاسها!

خرج ميرون ومراد من ثقب فُتح بالجوار فشاهدا لايدن الذي
توهج جسده بالنيران وراح يقذف بالكتلة الظلامية نحوهم يتخللها
بعض من صواعق البرق الحمراء والتي تسببت في الندبات والحروق
على جسديهما وهما يصرخان من الألم! أطلق أكين خيوط الضوء
الأزرق التي كبلت لايدن ليتوقف تعذيبه لميرون ومراد على الفور
وهو يتلوى من الألم على الأرض!

نهضت لومينا ثم اتجهت إلى ساحة المعركة وهي تعرج على قدمها
المتألمة بعد سماعها لصوت مراد وميرون. تقدمت منهما فأمسك بها
مراد ليخفي جسدها خلفه وهو يقول لأكين:

- هذه المعركة يجب أن تنتهي يا أكين!

نظر إليه أكين مبتسمًا وهو يقول:

- أهذا استسلام؟ ولكنني لا أرى الراية البيضاء!

تلوى لايدن على الأرض محاولًا التملص من تلك الخيوط الضوئية

التي تكبل جسده وتعتصره وكأنها أفاع! قال ميرون وهو يتقدم من أكين:

- أيها النكرومانسرا! أعلم أنك ترغب بالسفر عبر الزمن لاستعادة عائلتك، ولكن حارس عرش الزمن لن يسمح لك! يجب أن ينصاع لأوامر حماة عرش الزمن فقط! تراجع عما تفعل لأن فعلتك هذه ستنتهي الحياة في الممالك أجمعين بل في العوالم والأزمنة كلها! صاح أكين بغضب:

- لتنتهِ الحياة في الكون بأكمله فأنا لا أبال!

توهج جسد أكين بالنيران ثم راح يطلقها نحو مراد وميرون. وقف الاثنان وهما يتفاديان النيران تارةً ويسقطان بسببها على الأرض تارةً أخرى! تمكن أكين من إطلاق خيوط الضوء التي كبلت جسديهما كما فعلت مع لايدن! لم يكن أحد يدري أن هناك طفلة صغيرة تشاهد المشهد بانبهارٍ وذهولٍ أمام باب المدينة المحطم.

لاحظت لومينا وجودها فصاحت وهي تقول:

- ابتعدي!

لم يبال أكين عندما رأى الطفلة الصغيرة فنظر إلى لومينا ثم قال:

- لقد سئمت الانتظار! انتظرت طوال أعوامٍ كثيرة، اشتقت إلى هذه اللحظة يا لومينا، لماذا لا تفهمين؟ أنا بائس!

استطرد وهو يقول بغضب:

- أنا بائس يا لومينا مثلك، ماتت عائلتي كلها، لم يعد هناك أحد لي.

لِمَ لا تشفقين على حالي؟

قالت لومينا وقد امتلأت عينها بالدموع:

- نعم، نعم، أنت محق، لقد فقدت عائلتي مملك، ولكنني لن أعيدهم!
ما حدث قد حدث يا أكين، فلا يمكن إعادة الموتى.

- إن أعدت والدك وأنس إلى الحياة ألن تشعري بالسعادة؟ انظري
في عيني وأخبريني أنني مخطئ!

تذكرت لومينا مشهد أنس وهو يموت أمامها فشعرت بغصة تشتعل
في قلبها المكروب. يا له من عرض مغري للغاية يستحق التفكير فيه!
اقترب منها أكين غير مبالي بالرجال الثلاثة المقيدين على الأرض بلا
حول ولا قوة، أضاف:

- فكري في الأمر يا لومينا، فكري في حياة تخلو من التعقيدات،
حياة بها والد يلعب معك وأنت طفلة صغيرة، حياة لا يوجد فيها
سور عالٍ يفصل بين الأثرياء والفقراء. نحن المهمشون يا لومينا!
نحن بقايا الطعام المتروكة على موائدهم. نحن الفضلات التي
يخرجونها في نهاية اليوم إلى تل القمامة، أتذكرينه؟ ذلك الذي
رأيت فيه الجمّة الهامدة. تخيلي حياة تضحكين فيها مع أنس.

ساد الصمت قليلاً وأشباح الماضي تتراقص أمام عيني لومينا؛
فحضن أنس الدافئ يطاردها، وضحكات والدها تداعب مخيلتها.
بكت كما لم تبك من قبل! ركعت على الأرض وهي تنظر إلى أكين
الواقف أمامها على استعداد لفتح الثقب الزمني إلى الماضي لتغييره،
قالت بصوت مبحوح:

- كم أشتاق إلى والدي يا أكين، ولكم أشتاق إلى أنس! ولكنني لن أضعهما في كفة والكون بأكمله في كفة أخرى!

تقدم منها بغيظ ثم أمسك بذراعها ليرغمها على النهوض ويده الأخرى تتوهج بالنيران قائلاً:

- أترين تلك الفتاة هناك؟ جميلة للغاية، أليس كذلك؟ إن لم تأمرني حارس الزمن بالانصياع إلى أوامري أقسم لك أنك ستترين جسدها يحترق وهي حية حتى يتحول إلى رماد!

تفاجأ الجميع بصوت امرأة قادم من بعيد وهي تقول:

- لومينا، هل هذه أنت يا عزيزتي؟ لقد تأخرت في العمل كثيرًا!!

راقب الجميع والددة لومينا وهي تصعد التل الصغير لباب المدينة المحطم فكادت تتعثر وهي تهبط منه، ولكن الطفلة الصغيرة أمسكت بها. تهلت أسارير والدتها وهي تنظر إلى لومينا ولكن سرعان ما تجهم وجهها عندما رأت أكين ممسكًا بها هكذا، صاحت وهي تحاول الاقتراب:

- لومينا، ماذا يحدث يا عزيزتي؟

همس أكين في أذن لومينا:

- أقسم إن لم تأمرني الحارس بالسماح لي بالسفر عبر الزمن لإنقاذ عائلتي سأشعل النيران فيها الآن وسأجعلك تشاهدينها وهي تحترق أمامك لتصبحي لومينا الملعونة! لومينا التي يُقتل كل من يقترب منها كما أخبرت تولاي!

بكت لومينا وهي تنظر إلى والدتها الواقفة على مسافة قريبة منها
وهي تنظر إليها بعبوس لا تفهم ما يدور حولها. صاح مراد:

- لومينا، لا تستمعي إليه!

همس أكين في أذنها مجددًا:

- هل ستستمعين إلى مراد الذي فقد عائلته بأكملها؟ هل
ستستمعين إلى شخص يكن البغض لوالدتك التي أخفت قاتلًا في
كوخها؟

أصبح كلام أكين كالوساوس التي تداعب عقلها فبكت لومينا وهي
تتأرجح بين القرار الصائب و الخاطيء! قالت بنبرة متألّمة:

- أنا آسفة يا مراد، لن أتحمل فقدان شخص آخر!

صاح مراد:

- لومينا، لا تفعلي! سينتهي الكون بأكمله إن غير أكين ما حدث
بالماضي! ستنتهي العوالم ولن يتبقى سوى الناجون فقط! سيموت
الكثيرون يا لومينا!

تمتت وهي تبكي بحرقة:

- سامحني!

اتسعت ابتسامة أكين وهو يفتح الثقب الزمني ولكن ابتسامته
تلاشت عندما خرج من الثقب رجل ليس كالرجال! قوي البنيان
طويل عريض المنكبين يرتدي سترة وسروالًا أسودين يتوهجان
باللون الأزرق! أمسك في يده بسيف غريب الشكل ليس كأى سيف

يراه المرء فهو مشتعل بنيران زرقاء وهاجة! ما جعلهم جميعًا ينظرون بذهولٍ إليه هو لون بشرته المظلمة! لم تكن بشرة سمراء بل مظلمة لا يرى شيءٌ منها سوى العينين المتوهجتين بالضوء الأزرق!

اقتربت الطفلة الصغيرة من لايدن وهي تحاول إمساك الحزم الضوئية التي قيدت يديه ولكنها صرخت ثم تراجعت إلى الخلف عندما لمستها فاحترقت أصابعها لذا جرت مسرعةً إلى داخل المدينة وهي تبكي.

قال أكين بعصبية:

- أخبريه أن يسمح لنا بالذهاب إلى مملكة ليموريا قبل هبوط النور إليها!

أقلت لومينا نظرةً أخيرةً على والدتها ثم مراد وميرون وهي تقول:
- سامحوني! لقد اضطررت لفعل هذا!

نظرت إلى حارس الزمن المخيف أمامها ثم قالت بصوتٍ مرتجف:
- أرغب في العودة إلى مملكة ليموريا قبل هبوط النور إليها!

ابتعد حارس الزمن عن العقب ليسمح لأكين بالدخول فيه ولكن لايدن صاح بغضب:
- لا، لا، سأنتقم منكما. سأقتلك يا لومينا!

رحل أكين تاركًا إياهم في ذهولٍ من المفاجأة التي حدثت فور اختفائه بداخل العقب! اتسع الانشقاق السماوي فخرجت نيران مستعرة من السماء التي قذفت بكراتها الملهبة إلى الأرض! بمجرد

أن اختفى أكين في الثقب تبددت الحزم الضوئية فتحرر الرجال الثلاثة ثم نهضوا جميعًا.

اندفع لايدن نحو لومينا ثم أمسك بعنقها وراح يخنق فيها غير مكترث لأي شيء! نهض مراد ثم أمسك بستره لايدن ليبعده عن عنق لومينا فتركها الأخير ثم لكم وجه الأول فنزف الدماء من أنفه على الفور! لم يكمل لايدن ما كان على وشك فعله لأنه رأى مشهدًا أغرب من الخيال نفسه! كانت موجة مخيفة للغاية يبلغ ارتفاعها مئات الأمتار تسير في البحر وهي تقترب كالوحش من الميناء! ابتلع لايدن ريقه ثم فتح ثقبًا أسود دخل فيه على الفور.

صاح مراد قائلاً بوجه شاحب وهو يتفادى إحدى الكرات النارية الساقطة من السماء:

- يجب أن نحذر الناس في القصر!

قال ميرون بعصبية:

- هل أنت مجنون؟ إن الأمواج تقترب والسماء تمطر شهبًا فوق رؤوسنا! هل تظن أن الوقت سيساعدك في تحذير من بالقصر؟

قال ميرون وهو يفتح ثقبًا إلى عالمه:

- آسف، لقد خسرتم المعركة!

دخل في الثقب تاركًا إياهما هكذا ينظران إلى الأمواج المربعة وهي تسير ببطء يعير الهلع! فتح مراد الثقب بسرعة فصاحت لومينا:

- أين ستذهب؟

أجابها على الفور:

- لتحذيرهم! هلم!

جرت لومينا إلى والدتها الواقفة تنظر إلى ما حولها بذهول ثم أمسكت بيدها وهي تجرها حتى وصلت إلى الثقب! خرجوا منه فأسرع مراد إلى القصر وهو يصيح أثناء فتحه لثقب آخر إلى مملكة ليموريا في الماضي:

- يجب أن تدلفوا إلى الثقب في الحال!

كانت بيرى تجلس على الأرض بين مجموعة من النبلاء وبعض القرويين، نهضت على الفور وهي تسأل مراد بخوف:

- ماذا هناك؟

- سينتهي حاضرننا يا بيرى! لا وقت للأسئلة! لتدلفوا الآن جميعًا!

ساعدتهم لومينا في الدخول إلى الثقب واحدًا تلو الآخر. أجبرت لومينا والدتها على الدخول فهي لم تفهم ما يدور حولها ولم ترغب في ترك ابنتها وحدها، ولكنها فعلت في نهاية المطاف! كان المشهد مؤلفًا مثيرًا للהלوع بحق! تعالى صراخ الأطفال الذين لم يفهموا ما يحدث، فكل ما يحيط بهم هو الرعب والفرع. صاحت لومينا في وجه من يقف متسممًا مراقبًا الأمواج التي تقترب كثيرًا من القصر. نظرت إلى مراد وهي تبكي بحرقة لأنها تعلم أنهم لن ينجوا؛ فالأمواج على مشارف القصر ولم يدخل سوى عدد قليل من الناس إلى الثقب! أدركت ما يحدث، إنه يضحي بحياته من أجلهم جميعًا!

لم تحتمل فخفق قلبها بشدة وهو يصارع الألم الذي راح ينخر فيه

كما ينخر البرد في العظام! قالت وهي تنتحب:

- لن أتركك! هذه المرة لن أرحل! سأبقى معك هنا، لا يهم ما سيحدث.

احتشدت الدموع في مقلتيه وهو ينظر إليها، إنها المرة الأولى التي تراه فيها وهو يبكي هكذا. صاح في الناس:
- أسرعوا.

اقتربت الأمواج كثيرًا فلم يعد يفصل بينها وبين القصر سوى مسافة قليلة. ترك الناس الثقب ونظروا بوجل إلى الأمواج المرتفعة التي راحت تقترب منهم كالغول! بدأ الثقب في الانغلاق فنظر مراد إليه بذعرٍ وهو يختفي غير مستوعٍ لما يحدث!
صاحت لومينا:

- ما الذي يحدث؟

أدرك مراد أن الثقب لا بد سينغلق لأن العالم ينتهي ولن يبقى مكانٌ للسحر في حاضرهم بعد الآن! نظر إلى لومينا وهو يصيح:

- هلمي الآن وادلفي إليه!

كانت تهز رأسها نفيًا وهي تبكي أنهارًا، ظلت تردد:

- لن أتركك هذه المرة، لن أرحل!

انغلق الثقب فراحت الناس تفر إلى الأماكن العالية، فمنهم من صعد إلى الأدوار العلوية بالقصر ومنهم من خرجوا إلى الحديقة وهم يصرخون غير مدركين لأي وجهة سيتجهون! تفاجأت لومينا أن هناك

بعض من الأشخاص الواقفين خلفها لا يتحركون ومعهم تلك الطفلة التي حاولت مساعدة لايدن ولكن أصابها احترقت! حاول مراد أن يفتح الثقب فكان يُفتح ولكنه سرعان ما ينغلق! نظر خلفه فأخذ الطفلة وهو يقول للرجل الذي يحملها:

- سادخلها في الثقب!

يبدو أن الرجل لم يسمعه من الأساس فعيناه لم تتزحزحا عن الأمواج العاتية؛ لذا أخذها مراد وهو يسلمها إلى لومينا التي حملتها على الفور ثم حاول فتح الثقب ولكن الأمواج اقتربت كثيرًا، فلقد تخطت السور العالي المحيط بالقصر! تضرع مراد للإله وهو يحاول فتح الثقب فلم تطعه قواه هذه المرة بل خذلته كالخونة في المعركة!

أطاحت الأمواج العاتية بكل ما اعترض طريقها فكانت تكنسه ليغوص في أعماقها فلا يراه أحد مرة أخرى! انصاعت قوى مراد لرغبته أخيرًا فتمكن من فتح الثقب الذي ما إن اتسع في الهواء حتى راح ينكمش مرة أخرى ولكن مراد دفع بلومينا فيه فرأت نفسها تسقط بداخله وهي تحمل الطفلة! انتحبت لومينا وهي تنادي على مراد باسطة يدها إليه لتمسك به ولكنه أملٌ مزيف! شاهدها والثقب ينغلق فاستمع إلى صرخاتها ونحيبها فقال وهو ينظر إلى عينيها للمرة الأخيرة:

- لا تنسيني يا لومينا!

انغلق الثقب فوقفوا جميعًا ينظرون إلى الأعلى، إلى تلك الأمواج العظيمة. تطلعوا إليها بأعين زائغة مستقبليين الموت! ساد الصمت

عليهم فلم يعد أحد يصرخ. استمعوا إلى أصوات الأمواج وهي تسير
مقتربةً إليهم، استسلموا إلى مصيرهم فوقفوا يراقبون الموت وهو
يتقدم منهم وعلى وجوههم ارتسمت ابتساماتٍ حزينة! جرى أحد
الأشخاص إلى إحدى الأركان في القاعة الملكية ثم جلس القرفصاء
على الأرض ليبكي في حين لم يتحرك البقية لأنهم انتظروا، انتظروا
النهاية!

المعركة الحاسمة

راقبت السماء من فوقى وأنا مستلقية على ظهري فوق الرمال أشعر بأن الكون بأكمله يدور بالأعلى! دفعني مراد إلى داخل الثقب وضحى بحياته من أجلي ومن أجل الكثيرين! يبدو أن الدموع جفت في مقلتي لأنني لم أبك بل بقيت هكذا أحملق في السماء.

أين أنا؟ أو بالأحرى في أي زمن أنا؟ لم أعد أسمع أجراس السماء، لا بد أن روح تولاي فنت كما حدث لروح كيرال! أغمضت عيني قليلاً ثم أطلقت أعلى صرخة تمكنت من إخراجها! صرخة ألم وشجن على كل ما اقترفه الزمن في حقي!

كنت دائماً كبش الفداء في كل المعارك! إلى متى ستعاقبني الحياة؟ لم يتبق لي أحد حتى تسلبه مني سوى والدتي التي لا أعلم أين هي! لماذا تصر الحياة على أن أبقى حية؟ لماذا تتعمد تركي هكذا أراقبهم واحداً تلو الآخر وأعيش لأرى سكرات موتهم؟ هل هذا عقاب على أي كان ما فعلته؟

اعتدلت في جلستي لأنظر إلى أمواج البحر أمامي وهي تضرب رمال الشاطئ، لاحظت أن هناك زجاجة مدفونة بالرمال فراودتني فكرة ممتازة! استندت على يدي وأنا أنهض ثم سرث ببطء وأنا أعرج إليها والتقطتها بيد مرتعشة. وقعت عيني على صخرة انتصبت على الشاطئ فتوجهت إليها ثم كسرت الزجاجاة فوقها فتناثرت شظاياها فوق الرمال.

أمسكت بقطعة منها ورعشة يدي تزداد وكأن هناك جزءاً بروحي

يخشى ما سأفعله في حين يؤمن الجزء الآخر بأنه الحل الوحيد لإنهاء هذه المعاناة التي لا تنتهي أبدًا! نظرت إلى السماء ثم بكيت بحرقّة أخيرًا وأنا أمسك بقطعة الزجاج التي جرحت إصبعي بالفعل.

قلت بصوتٍ مبحوح:

- سامحني، سامحني لأنني سئمت! أعلم أن قتل النفس هو أسوأ ما يمكن للمرء أن يقتصره في حق نفسه ولكنني لم أعد أحتمل، لم أعد أحتمل نزع جراحي الغائرة في قلبي! لم أعد أحتمل رؤيتهم جميعًا وهم يلفظون أنفاسهم الأخيرة تضحيةً في سبيل بقائي في قيد الحياة.

ازدادت رعشة يدي فكادت تسقط منها قطعة الزجاج فأردفت والألم بقلبي يستعر:

- لم أعد أحتمل، هذا الألم في قلبي ظل يتأجج ولكنه ثار كالبركان بعد موت مراد! لماذا سأعيش؟ أرني إشارة ما تجعلني أعيش! لماذا تفعل هذا بي؟ أرحني من هذا العناء! لماذا تصر دائمًا على إبقائي حية؟

سكت قليلًا وأنا أمسح الدموع التي كادت تغرق ملابسي من فرطها. في هذه المرة لم أر السماء تبكي ولا الرياح تنن وكأنها حزينة مستاءة مما أوشك أن أفعله! بسطت ساعدي ثم رفعت قطعة الزجاج الحادة ويدي ترتعش أكثر من أي وقت مضى. بمجرد أن اقتربت من تلك العروق أمسكت يد بي ثم قال صاحبها:

- توقف الآن، ما يزال الأمل موجودًا!

التفت أنظر إلى ذلك الرجل الذي أصبح وجهه مألوفًا مؤخرًا!
تطلعت إلى عينيه الزرقاوتين ثم تمتمت من شدة المفاجأة:

- كيرال؟ ولكن، أنا..

رفع يده في إشارة منه لأصمت، قال:

- لقد أخطأت يا لومينا! أخطأت عندما نفيت أكين إلى مملكة
الجحيم، أخطأت عندما تركت لايدن يرحل دون أن أصرّ على بقاءه!
أخطأت لأنني استسلمت لليأس ولم أبحث عن أدلين! أخطأت عندما
لم أبسط يد العون لمراد عندما أتى إلى هنا العام الماضي، أخطأت
عندما أعمتني شهوة القوة عن كل ما حدث وما سيحدث لنسلي! الآن
سأدفع ثمن أخطائي!

ابتسمت بسخرية ثم قلت:

- لقد انتهى عالمنا يا كيرال، اذهب إلى طفليك وانعم بما تبقى لكما
من وقتٍ قبل نهاية عالمكم! اتركني وشأني وارجل، لقد انتهى كل
شيء!

صاح بحزم:

- بالطبع لا، لم ينتهِ أي شيء! سيعيش الأمل دائمًا في غياهب
اليأس، حتى وإن بحثت عنه طوال الدهر ولم تعثري عليه، لا بد أن
تشرق الشمس مجددًا لتبدد حُلَكة الليل فيتوهج الأمل كالألماص في
سماءٍ ملبدة بالغيوم!

صحت وأنا أبكي بحرقة:

- ابتعد عني يا كيرال، دعني أرحل بسلام! لقد انتهى عالمي ولم يعد لي شيء! لماذا سأعيش الآن؟ أخبرني رجاءً لأنني أشعر بالارتباك الشديد!

تبادلنا النظرات التي تحمل بين ثناياها الكثير، أردفت بنبرة مخنوقة وأنا أنظر إلى السماء:

- حتى لذة الموت والراحة من العناء والألم ترغب في حرمانني منها؟

قال كيرال بنبرة حانية لأول مرة منذ رأيتَه:

- ما بعد الموت يأتي الحساب يا لومينا، سندفع جميعًا ثمن أخطائنا في حق الآخرين، وبالأخص في حق أنفسنا! صحت بغضب:

- ولكنك لا تفهم يا كيرال! أنت لا تعاني مثلما أفعل هنا! لقد خسرت عائلتي بأكملها، فقدت كل من اهتممت لأمره! لماذا سأعيش الآن؟ أخبرني.

ازدادت رعشة يدي فأحكم قبضته عليها وهو يمسك بقطعة الزجاج ثم قال بصوتٍ رخيم:

- إن قتلت نفسك الآن ستذهب تضحيتهم هباءً!

ألقى بقطعة الزجاج في البحر ثم انحنى ليلتقط الشظايا الأخرى ليلقيها فيه مثل مئيلاتها، قال قبل أن يفتح الثقب الأسود:

- سأذهب الآن لأصحح الأمور يا لومينا، سأذهب لإخراج نجوم

عرش الزمن من جسد أكين، أنا بحاجة إليك فهل ستساعديني أم
ستهيبين نفسك لوحش الاستسلام؟

لاحظت تلك القلادة حول عنقه فسألته:

- هل تلك القلادة ستحتوي النجوم بداخلها؟

أجابني وهو يمسكها:

- أطلقوا عليها القلادة ولكنها أبعد ما يكون عنها! إنها وعاء يحفظ
النجوم بداخله كما تحفظ الأرحام الأجنة! الخيار لك، إما أن تأتي
معي لنحارب أكين، إما أن تظلي هنا محاطة بأشباح الماضي التي
ستهلك روحك عاجلاً أو آجلاً!

فكرت في الذهاب معه لقتل أكين! لا أعرف كيف سأفعل هذا
ولكنني أرغب في قتله بشدة! قلت بصوت مبحوح:

- انتظرا!

تقدمت منه ببطء وأنا أعرج على القدم المتألمة ثم نظرت إلى
مملكة ليموريا البديعة قبل أن أدخل الثقب معه. خرجنا لنجد
أكين واقفاً أمام البحر حيث تقابل كيرال وأدلين للمرة الأولى! كان
يحتضن طفليه غير مدرك أننا نقف خلفه! انتهز كيرال الفرصة ففتح
قلادته بسرعة ثم اندفع نحو شقيقه موجهًا إياها نحوه فخرجت
النجمات الثلاث من قلبه لتستقر فيها! كانت السماء حالكة السواد
ونحن نقف أمام البحر فوق الرمال الباردة، لاحظت أنه لا يوجد أحد
بالقرب، فيبدو أن الجميع في مساكنهم!

قال كيرال:

- لقد انتهى كل شيء يا أكين!

تبدد جسدا الطفلان فجأة فراح أكين يتلمس الهواء أمامه بيدين مرتعشتين وكأنه يبحث عن روجيهما اللتين تلاشتا في الهواء دون أثر! صرخ قائلاً:

- لا، لا، ما الذي فعلته؟ لن أتمكن من إنقاذهما ثانية! لماذا؟ أيها الحقيرا!

ابتعدت عن طريقه عندما تقدم من كيرال وأمسك بعنقه ليخنقه وهو يضغط بكل ما أوتي من قوة فسقطت القلادة التي تحمل بداخلها النجوم الثلاث على الأرض فالتقطتها بسرعة وفتحتها لأهمس باسم بريندا! أعلم أن هناك قلادات في جميع العوالم والأزمنة وأنها لا بد ستسمعني! لا يهم الزمن الذي ستسمعني فيه، فهي سوف تلبي النداء في نهاية المطاف، أو هكذا آملت!

لم أجد الوقت الكافي لأشعر بالذهول فكل شيء حدث سريعاً ودون أي مبررات! فُتح الثقب فخرجت بريندا وهي تنظر لي نظرات تحمل معاني الامتنان! كانت تمسك بخنجر في يدها غرسته في ظهر أكين وهي تندفع نحوه قائلة:

- لمت الآن عليك اللعنة!

ترك أكين كيرال ليسقط على الرمال صريعاً! اتسعت عيناى وأنا أشاهد جمته الهامدة هكذا! للحق لم يعد مشهد الموت يذهلني، فهذه المعركة راح ضحيتها العديد من الأشخاص الذين لم أضمر لهم سوى الحب والاحترام! لم تؤثر الطعنة في أكين بل رأيت الخنجر يسقط

خارج جسده بلا دماء!

اندفعت الخيوط الضوئية من يده لتكبل بريندا وهو يقول:

- السحر الأسود لا يموت يا بريندا! كان يجب أن تبذلي جهدًا أكبر
في قراءة الكتب!

استدار وهو ينظر لي بحقدٍ وغضبٍ وهو يتقدم ناحيتي ويده
متوهجة بالنيران التي كانت على وشك أن تطلق نحوي لتحرقني،
صاح بعصبية:

- أنت من تسببت في كل هذا! كنتِ أنتِ دائمًا وراء فشل جميع
مخططاتي ولكنك ستموتين الآن!

ابتسمت وأنا أقول:

- اقذفها يا أكين! أنا لا أبالي إن أحرقتني!

انطلقت الكرة النارية ولكن شخصًا ما خرج من الثقب أمامي
ليزيحها عني! لم أر وجهه ولكنني أدركت هويته عندما قال بصوته
المألوف:

- الآن، سينتهي العبث يا أكين!

قالها ليونيد الذي أمسك بتلك الأداة التي تكبح جماح قوى سحرة
النور في يده، كانت نهايتها مدببة كالسهم! يبدو أنه يرغب في
غرسها في قلب أكين الذي توهج جسده بالنيران وهو ينهال على
ليونيد بالضربات المبرحة التي دفعت به إلى الخلف! نهض ليونيد
وأمسك برأس أكين ثم دفعه إلى الخلف حتى اصطدم بجذع شجرة

انتصبت على الشاطئ راح يضربها فيه! لكمه أكين لكمه جعلته ينزف
الدماء على الفور من فمه فبصقها وراح يستقبل المزيد من اللكمات
وأنا أشاهد المشهد بوجل.

فتحت القلادة ثم همست وأنا أبكي:

- لايدن، أتوسل إليك أن تأتي! إننا في ليموريا قبل ولادة النور
فيها، في المكان الذي تقابل فيه والداك لأول مرة، أتوسل إليك أن
تأتي إلى هنا لكي تقتل أكين وسأعطيك نجوم عرش الزمن!

أسقط ليونيد الأداة من يده والضربات تنهال على وجهه الدامي
ولكن نورًا قويًا انطلق من يده فدفع بأكين إلى الخلف ليسقط في
البحر بقرب الشاطئ! قال ليونيد وهو يبصق الدماء من فمه:

- لماذا تحارب؟ لأجل من يا أكين؟ لقد انتهى كل شيء ولم يعد
بإمكانك تغيير ما حدث في الماضي! يمنحك عرش الزمن فرصة
واحدة فقط لإحداث التغييرات التي ترغب بها! لِمَ العناء الآن؟

نهض أكين مسرعًا إلى الأداة فأمسك بها ثم اندفع نحو ليونيد
ليغرس نصلها في بطنه فخارت قواه وسقط على الأرض واضعًا يده
على الجرح النازف! انتزع أكين الأداة من بطن ليونيد ثم سار إلى
بريندا التي جلست على الأرض مقيدةً تنظر إليه بكل ما تحمله من
كراهية تجاهه! وقف خلفها ثم وضع الأداة على عنقها وهو يقول لي:

- لتشاهدي ما سيحدث الآن يا لومينا، فأنت من تسببت فيه!

على حين غرة منا جميعًا نحر عنقها فتناثرت الدماء على الفور
فوق الرمال! انطلقت صرخة ألم من ليونيد الذي راح يزحف على

جانبه الأيمن ليصل إلى بريندا التي فارقت الحياة بالفعل! نظرت
بذهول إلى جثتها دون أن أتحرك قيد أنملة! ها هي ذا جثة أخرى
تخور صريعةً بسببي!

تقدم أكين من ليونيد ليغرس النصل في رأسه ولكنه توقف قبل أن
يفعل. فُتح ثقبًا فجأةً خرج منه لايدن وهو يدفع بالسحب السوداء
في السماء نحو أكين فدارت حوله ولكنه بددها بالنيران المنطلقة من
يده قبل أن تعتصر جسده!

قال أكين:

- مرحبًا أيها القبيح! لم أشتق إليك بالمناسبة!

اندفع لايدن إلى أكين فسقطا الاثنان في مياه البحر وهما يسددان
اللكمات إلى بعضهما البعض! رأيث ليونيد وهو يزحف حتى وصل
إلى بريندا ثم لمس وجنتها بيد مرتعشة وهو يبكي قائلاً:

- سامحيني، لم أقصد، لقد أعمى الغضب قلبي يا حبيبتي!

لمعت الأداة على الرمال في حين انشغل أكين في تسديد اللكمات
إلى وجه لايدن فانكسرت عظام فكه في مشهد أفزع قلبي كثيرًا!
نهضت بسرعة وأمسكت بالأداة ثم جريت غير مبالية بالألم الشديد
في قدمي واندفعت نحو أكين لأغرس النصل في جانبه الأيسر!
صرخ متألماً ثم استدار لينظر لي وهو يقترب مني والشر يقدح من
عينيه. تراجعته إلى الخلف بهلع حتى تعثرت قدمي المتألمة ثم
سقطت على الرمال وأنا أنظر إليه وهو يطلق الكرة النارية نحوي!

ابتعدت قبل أن تلمسني الكرة النارية وتحرق جسدي. رأيث لايدن

يسحب الأداة من جانب أكين وبحركة سريعة ذبح رقبتة على الفور
ليخر صريعًا بجانبه! نظرت إلى جثته التي تصاعدت منها النيران
شيئًا فشيئًا حتى اختفت تمامًا وهي تتبخر في الهواء! ساعد لايدن
جده على النهوض ثم فتح ثقبًا أسود دخلنا فيه جميعًا!

خرجنا من الثقب ثم وقفنا على رمال شاطئ مملكة ليموريا
فتطلعت بحزن إلى عظام فك لايدن المكسورة! استلقى ليونيد على
الرمال بجانبه فلونتها الدماء بصبغة حمراء بسبب جرحه. دخل
لايدن الثقب مرة أخرى ثم خرج حاملًا جمّة بريندا! وضع جثتها
برفق بجانب والدها الذي لم يتحرك لأنني أظنه فقد الوعي!

نبضات مضطربة

وضع لايدن جمعة كيرال بجانب بريندا ثم استدعى واحد من سحرة النور ليساعده في نقل الجثتين! أتى سحرة النور الآخرين ليحملوا ليونيد إلى الطيبة سيلين التي كانت تقيم بمنزل كيرال. التزمت لومينا الصمت حيث مكثت في إحدى منازل سحرة النور التي تدور في الهواء. خرجت أخيرًا بعد ساعات قليلة لحضور مراسم دفن بريندا وكيرال في مقابر سحرة النور على طرف المملكة. وقفت خارج المنزل العائم في الهواء تراقب حفرة الخلود بالأسفل بنظراتٍ منطفئة، وكأن ما تراه لا يبعث على الانبهار أبدًا. سألت الطيبة سيلين عن والدتها فأخبرتها أنها لم ترها. لم تيأس بل على العكس تمامًا، كانت تؤمن أنها ستظهر ولكن الأمر سيستغرق القليل من الوقت حتى تعثر عليها!

خرج لايدن من الثقب ثم وقف أمامها وهو يقول:

- لقد فعلت ما طلبته مني!

نظرت خلفه لترى تولاي الذي فقد الكثير من وزنه وأصبح وجهه شاحبًا! قالت وهي تبتسم أول ابتسامة حقيقية منذ فترة:

- تولاي، لقد كنت أنت من تقرر الأجراس طوال الوقت!

قال تولاي وهو يبتسم بحزن:

- علمت أنك ستفهمين، ذلك العجوز الذي كان معي لم يحالفه

الحظ!

قالت بعينين ممتلأتين بالدموع:

- سعيدة للغاية لأنني رأيتك ثانية يا تولاي!

على الرغم من أن ملامحه ذكرتها بأعين ولكن روحه هذه مختلفة
كثيرًا عنه؛ لذا لم تشعر بأي تشابه بينهما! قال تولاي:

- من كان سيصدق أننا نقف أمام منزل ساحر النور الأعظم في زمنٍ
آخر بمملكة ليموريا؟ إن هذا ضربٌ من ضروب الخيال!
ابتسمت لومينا ثم قالت:

- صدقني، أنت لا تعرف شيئًا عن المغامرات التي خضتها حتى
الآن!

قال تولاي:

- ذلك المكان الذي حبسني فيه ذلك الوغد كان بغيضًا للغاية يا
لومينا؛ فهو أشبه بأطلال قصر مهجور غُلق في السماء، دارت أسفله
ثقوب كثيرة تدور حول محورها. كانت الأجراس معلقة على أحد
عواميد القصر، فكنت أقرعها بجنون عسى أن تفهمين! لقد كنت أراك،
بل رأيت كل ما حدث من خلال الثقوب أسفل القصر الغريب، وهو
ما زاد الطين بلة؛ لأنني شاهدت معاناتكم ولكنني كنت عاجزًا عن
التدخل، وهو ما آلمني بحق!

قالت لومينا وهي تبتسم بحزن:

- لقد انتهى كل شيء يا تولاي. نحن بخير!

انتزعت القلادة من حول عنقها لتهدئها إلى لايدن كما وعدته. لم

تعد القلادة إليها كما حدث من قبل لأن روح بريندا لم تعد ساكنة بداخلها! أخذها ثم توجه إلى جسر الموتى ليضعها في عرش الزمن! انبعث الضوء المهيّب منه واخترق قلبه فعادت أجزاء فكه إليه واحدةً تلو الأخرى ليصبح طبيعيًا من جديد بوجهٍ وسيم ظل ينظر إلى انعكاسه في مياه البحر قبل أن يغلق البوابة الزمنية إلى الأبد! أنقذ والدته من قبضة أكين الذي يعيش في الغابة الصامتة ثم عاد بها إلى ليموريا حيث تواجد جميع سحرة النور مع البشر الناجين من نهاية العالم!

وقفوا جميعًا في المقابر على أطراف مملكة ليموريا يودعون بدموع الحزن والامتنان جسدَي كيرال وبريندا. وقفت عائلة كيرال تنظر إلى قبره بحزنٍ، فأدلين تبكي بلا دموع في حين بكت ابنته بحرقة ولا يدن يحتضنها هي وشقيقها! لم تحتمل لومينا المشهد أكثر من هذا فغادرت متجهةً إلى الشاطئ.

سارت إلى الجسر المصنوع من الألماس والذي يصل بين بوابة ليموريا الضخمة وشاطئها ثم وقفت على الرمال لتنظر إلى الشمس التي أوشكت على الغروب فكانت تراقب الأفق أمامها بحزنٍ دفين التهم روحها التهامًا! تساقطت الدموع على وجنتيها عندما تذكرت مراد وهو يدفعها إلى الثقب مضحيًا بحياته من أجلها. بكت بحرقة حتى لم تعد قادرةً على الوقوف أكثر من هذا فجلست على الرمال ثم دفنت وجهها بين يديها وهي تنتحب.

جلس شخص ما بجانبها ثم قال:

- لماذا تبكين دائماً؟

كاد قلبها يتوقف عندما سمعت صوت مراد وهو يسألها هذا السؤال! التفتت تنظر إليه ببطء لتتفاجأ أنه يجلس بجانبها وهو ينظر إليها بتلك النظرات المحببة إلى قلبها! كادت تحتضنه ولكنها تراجعت عما رغبت فيه. كان صدرها يعلو ويهبط من فرط السعادة فقالت وهي تبكي بصوت مبحوح:

- ولكن كيف؟

نظر إليها ثم قال مبتسماً:

- عندما دفعتك مع تلك الطفلة إلى الثقب فُتح ثقب آخر ثم خرج منه ميرون وأنقذنا جميعاً قبل أن تُغرقنا الأمواج العاتية!

تساقطت دموع الفرح من مقلتيها وهي تنظر إليه بكل ما تحمله في قلبها من عشق. كانت حزينة منذ ثوانٍ ولكن تهلتت أسارير وجهها بعد رؤيته وهو يجلس بجانبها هكذا! تسلل الحزن واليأس إلى قلبها ثانية فقالت على الفور:

- مراد، هل أنت حقيقي أو أنك من نسج خيالي؟

فتح ثقباً أسود ثم قال وهو ينهض:

- هيا بنا، سأثبت لك أنني حقيقي للغاية!

كالطائر الجريح الذي استعاد جناحيه نهضت لومينا ووقفت أمام الثقب ثم دلفت إليه وخرجت لتجد نفسها تقف أمام كل من كانوا بالقصر قبل الغرق. رأت بيري تنظر إليها بوجه حزين وبجانبها جلست

والدتها التي راحت تنظر إليها باشتياق. ارتمت في أحضانها وهي تبكي أمامهم جميعًا! كانوا يقفون في حديقة بديعة للغاية انتصبت فيها الأشجار والأزهار الزاهية ألونها، جلست لومينا مع الناجين وهي تحكي للأطفال الصغار ما حدث لها في هذه المغامرة العجيبة فاعتلت نظرات الدهول والانبهار وجوههم البريئة!

جلس مراد بجانبها وهو يستمع إليها مبتسمًا فلم تتزحزح عينيه عنها. اقترب منه ميرون ثم قال وهو يغمز له:

- ألم يحن الوقت بعد؟

توتر مراد وشعر بالقلق، ولكنه أوماً بالإيجاب ثم قال:

- سأخبرها الآن!

نهض ثم قال:

- هناك ما يجب أن أخبرك به!

قطبت جبينها متساءلةً ولكنه لم يعطها الفرصة للتفكير حيث فتح الثقب ودعاها للدخول فيه. خرجا الاثنان ووقفا على شاطئ ليموريا فتفاجأت لومينا بمشاعل خشبية مشتعلة انتصبت عليه في مشهد يحبس الأنفاس. أحاطت المشاعل كلاً ما حُفِرَ على الرمال فاقتربت منه لومينا لتقرأه.

قالت بصوت عالٍ:

- هل تتزوجيني؟

اضطربت نبضات قلبها وهي تسمع صوته من خلفها يقول:

- آنسة لومينا، لقد حاولت مرارًا أن أتخطى حبك ولكنني فشلت!
والآن، أطلب منك أن تسمح لي لقلبي بأن يعيش بقية حياته سعيدًا!

خفق قلبها في حلقها وهي تعيد ما قاله مرارًا وتكرارًا في عقلها!
أخافتها الفكرة كثيرًا ولكنها جعلتها تشعر بالغبطة على الرغم من كل شيء. استدارت وهي تقول بصوت مرتعش من التوتر:

- مراد!

وقف أمامها يتطلع إلى وجهها بحزن ثم قال:

- إن كان قلبك يميل إلى تولاي، فكلمة واحدة منك الآن ستخرسني
إلى الأبد!

قطبت جبينها وهي تتطلع إلى وجهه باستغراب ثم قالت:

- لماذا تظن أن قلبي يميل إلى تولاي؟ لقد رحلت عن المملكة
معتقدة أنني سأخطأك وسأنسى! قضيت عامًا كاملاً برفقته ولكنني
لم أشعر تجاهه بشيء! حاولت مرارًا أن أجبر قلبي على الشعور
بمشاعر لم يصدقها في المقام الأول وتجاهلت الحقيقة التي دفنتها
في أعماق قلبي!

خفق قلب مراد وهو يستمع إليها. استطردت قائلة بعدما هربت من
عينيه الدموع:

- نعم يا مراد، أقبل الزواج منك لأنني أحبك ولم أتوقف قط!

شعر مراد في هذه اللحظة أن قلبه سينفجر من فرط النبض!
اتسعت ابتسامته وهو ينظر إليها بكل ما يحمله في قلبه من حب

تجاهها! لم ينتظر فعاد إلى والدته لومينا ليطلب منها الزواج من ابنتها فوافقت على الفور! استقرت الأحوال لعدة أيام والكل يستعد لمراسم الاحتفال التي ستجمع بين قلبين انتظرا كثيرًا حتى يجتمعا.

ارتدت لومينا ثوبًا أبيض بسيط للغاية لم يميزه سوى أنه مصنوع من الحرير الناعم ولا شيء آخر! وقف مراد ينظر إليها بانبهارٍ فقد كانت جميلة بحق. وقف الكل على الشاطئ ينظروا إليها وهي تتقدم من الكاهن الذي وقف بجانبه مراد بانتظارها! كانت تتمنى أن يرافقها أنس أو والدها في حفل زفافها، ولكنها ممتنة للقدر الذي جعل ميرون معها في هذه اللحظة ليحاول تعويضها عما فقدت!

ابتسمت لميرون وهو يسير بجانبها إلى مراد لتبدأ على الفور مراسم الزواج. انتهت مراسم الاحتفال سريعًا بذلك الزفاف الغريب الذي حدث فجأة وكأن الكون سينتهي بعد قليل! أمسك مراد بيد لومينا فسرت قشعريرة في جسدها جعلتها ترتجف من التوتر. دخلا الاثنان في ثقب فتحة مراد ليتركا الجميع خلفهما ثم خرجا منه إلى مكانٍ لم تتوقعه لومينا أبدًا! وقفت على الرمال البيضاء تنظر إلى أمواج البحر التي راحت تحتضن الشاطئ في مشهدٍ بديع لم تَر مدي جماله سوى الآن!

قالت بحماس:

- هل تمزح معي؟ هل جلبتني إلى الجزيرة التي يعيش فيها ميرون؟ ولكن، أين اختفى المنزل؟

- نحن لسنا في الزمن نفسه، أقصد أن ميرون لم يبنِ المنزل بعد! لقد سافرنا عبر المكان وليس الزمان.

استمعت لكلامه وهي تنظر إليه كما لم تنظر من قبل! تسلسل الخوف إلى قلبها ثانيةً فقالت عندما تذكرت شيئاً ما:

- ولكن، ألن ينتهي العالم في الماضي كما حدث في المستقبل؟

ابتسم مراد وهو يضمها إلى صدره لتشعر بنبضات قلبه المضطربة ثم وضع قبلةً فوق جبينها وهو يقول:

- عندما أنقذنا ميرون وسافرنا إلى ليموريا رأيت كيرال، كانت المرة الأخيرة التي أراه فيها، أخبرته بكل شيء فراح يشرح لي أن كل ما حدث سيتوقف عند هذا الحد ولن يحدث المزيد من نهايات العالم في الأزمنة الأخرى إن نجح في إيقاف أكين واستعادة النجوم، كان سيخبرني بخطته ولكن تلك الطفلة التي دفعتها معك إلى الثقب أتت وهي تقول أنك تستلقين على الرمال صامتة! كنت على وشك أن آتي إليك ولكن كيرال أخبرني أنه يحتاجك في مهمة أخيرة حتى تتحكمي في حارس الزمن في حال فشل هو في استعادة النجوم! لم أتمكن من القدوم معه لأن ذراعي كان ينزف الكثير من الدماء فنصحتني الطبيبة سيلين أن أرتاح وألا أسافر مع كيرال!

صمت قليلاً ثم أضاف:

- صحت في كيرال وأخبرته أنني لن أتركك وحدك ولكنه وعدني بأن يحميك مهما كلفه الأمر! عندما علمت بما حدث في ذلك اليوم بعدما أعادكم لايدن شعرت بغصة في قلبي ولكن ميرون منعني من

الذهاب والتحدث معك حتى ترتاحي.

داعبت الرياح شعر لومينا البني وهي تتطلع إلى عيني حبيبها تنظر إليهما نظرات عشق وحب ظلت تكبحها لمدة طويلة ولكنها الآن لا تخشى شيئًا! نظر في عينيها وإلى ملامحها البريئة ثم مسح على شعرها وهو يقول بحنان:

- أحبك يا لومينا، أحبك كثيرًا!

وكان هذه الكلمة شرارة تتقد في قلبها كلما أخبرها بها! نظرت في عينيها بصدق ثم قالت بصوت مبحوح وهي تبسم باستحياء:

- أحبك يا مراد، ولطالما فعلت!

نظر إلى وجهها ذي الملامح الحزينة ونيران الحب تشتعل في قلبه! تبادلًا النظرات بقلبين امتلأ عن آخرهما بدماء العشق والولع، يرغب كل منهما أن يفنى في روح الآخر! وضع يده على وجنتها ثم اقترب من ثغرها ليلعمه فهدأت أمواج البحر وصمتت الرياح! خيم الصمت على كل شيء من حولهما وهما يتبادلان قبلات العشق للمرة الأولى!

همس مراد قائلاً:

- ليس لديك أية فكرة كم رغبت في فعل هذا!

ضحكت ثم قالت بدلال:

- وماذا بعد أن فعلتها؟

ابتسم ثم أحاط خصرها بذراعيه واقترب من أذنها ليهمس:

- سأفعلها مجددًا!

تذكرت في هذه اللحظات محاولاتها المستميتة لقتل نفسها، فأدركت أنها لو كانت سمحت بذلك لفاتها نهايتها السعيدة! إنها تقف بين أحضان زوجها وحبيبها وصديقها المخلص دائمًا وأبدًا، تنظر في عينيه بولع ولهفة وهي ترى فيهما حياة مليئة بالعشق والمغامرة، ولكنها مغامرة رائعة محفوفة بعمار الحب في كل مكان! إنها ترى أطفالهما يهرولون على الرمال وهم يفتحون الثقوب السوداء مثل والدهم في حين تمنعهم هي من فعل هذا. إنها ترى عالمًا به الكثير من العدل، فلا وجود لسور مرتفع يفرق بين الشعوب!

انقشع الليل ولاحت خيوط الفجر الأولى في الأفق فجلبت معها الأمل الذي انساب إلى ثنايا روحها فجعلها تستنشق عبيره وهي تغمض عينيها لتستمتع برائحة الحرية والأمان! فتحت زوجها الثقب الأسود ليعودا إلى ليموريا، ولكن قبل أن تدلف إليه نظرت إلى البحر وهي تبتسم لأنها أدركت في هذه اللحظة أن فجر جديد طلع لتوه.. إنه فجر العالم الجديد!